روايات الهلال

الدائرة الحمراء

إدجار والاس





الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يونيو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

روايات الهلال

Rewayat Al - Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

العدد ٣٧١ ـ نوفمبر ١٩٧٩ ـ ذو الحجة ١٣٩٩
No. 371 — November 1979

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد الحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

أسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من «روايات الهلال» الشهرية اعتبارا من شهر يناير عام ١٩٧٩ :

بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا ٣٠٠ ق . س « ثلاثمائة قرشا سوريا »

لبنان ٢٥٠ ق.ل «مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »

الاردن ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا اردنيا »

الكويت ٣٥٠ فلسا «ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا »

العراق ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلسا عراقيا »

السعودية ٤٫٥ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »





روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

الغلاف بريشة الفنانة
تماضر محمـــد تركى

الدائرة الحمراء

بقلم

إدجار والاس

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال



دار الهلال

مقدمة

من الثابت انه لو لم يقع عيد ميلاد مستر فيكتور باليون فى اليوم التاسع والعشرين من سبتمبر لما كان هنـــاك شيء يعرف باسم سر « الدائرة الحمراء » ، ولبقى على قيد الحياة اثنا عشر شخصا ، ولما تكلم مفتش البوليس عن تاليا دراموند وقال انها لصة وشريكة لعصابة من اللصوص .

فقد دعا مستر باليون مساعديه الثلاثة لتناول العشاء فى مطعم الديك الذهبى بمدينة تولوز ، وكانت ليلة صاخبة مرحة ، ولكن لم يلبث مستر باليون ان تذكر فى الساعة الثالثة صباحا انه إنما جاء تولوز لتنفيذ حكم الاعدام فى مجرم انجليزى اسمه لايتمان .

وقال بلهجة الجد وفى صوت مخمور : لقد بلغت الساعة الثالثة صباحا يا أصدقائى و « الفادة الحمراء » لم تعد بعد .

ومضى ومعه مساعدوه الى فناء السجن حيث تقف عربة منذ منتصف الليلة فيها مختلف اجزاء المقصلة وسرعان ما اقاموا آلة الموت بتلك المهارة التى يكتسبها المرء بحكم العادة وثبتوا السكين فى موضعها ، بيد أن أمهر الصناع لابد أن يتعرض للخطأ اذا ما تدخل نبيذ فرنسا القوى فى الأمر .. فانهم عندما جربوا المقصلة توقفت السكين فى منتصف الطريق ولم تهبط حيث يجب أن تهبط .

وقال مستر باليون يخاطب مساعديه : دعوا هذا الأمر لى .

ووضع مسمارا فى أعلى المقصلة حيث لا يجب أن يكون .

وحان موعد التنفيذ وفتح باب السجن ، واقتيد السجين الى المقصلة . ونظر مستر باليون اليه وقال : تشجع يا صاحبى .

ولكن السجين اجابه : فلتذهب الى الجحيم .

وضغط مستر باليون على احد الأزرار فهوت السكين ولكنها توقفت .

وقام مستر باليون بنفس المحاولة ثلاث مرات ولكنه اخفق فاستولى الغضب على الحاضرين فعادوا بالسجين عندئذ الى زنزانته .

وبعد احدى عشرة سنة تسبب ذلك المسمار فى قتل أناس كثيرين .

الفصل الأول

الاقتراح

دقت ساعة الكنيسة القريبة احدى عشر دقة لم يكد رنين آخر دقة منها يضيع فى الفضـــــاء حتى ظهرت سيارة من جوف الظلام وتقدمت فى صمت امام رجل مجهول كان ينتظر فى البرد القارس . وكان النور المنبعث من مصباحيها الأماميين ضعيفا جدا ، ولم يكن هناك أى ضوء فى الداخل . وبعد تردد يسير تقدم الرجل وفتح باب السيارة وصعد اليها . ولم يستطع أن يتبين سحنة السائق .

وسرت فى بدنه رجفة عندما أدرك الأهمية المريعة للخطوة التى قام بها . ولم تنطلق السيارة ولم يبد الســـائق اى حركة وخيم صمت ثقيل كان الرجل نفسه هو الذى قطعه اذ قـــال فى انفعال وفى شبه غضب : حسنا ؟ . .

فساله السائق : هل أستقر رايك ؟ .

فأجابه الرجل ، وهل كنت ترانى فى مثل هذا المكان لو أن الامر غير ذلك ؟ ام لعلك حسبت أننى اتيت بدافع الفضول ؟ . . . ماذا تريد منى ؟ . . تكلم وسوف اطلعك بدورى على ما اريده منك .

فقال السائق : ولكنى أعرف ما تريد .

وكان يتكلم فى صوت مكتوم غير واضح كمـــا لو كان يتكلم من خلف قناع . وعندما تعودت عينا صاحبه على الظلام تبين فى غموض الوشاح الحريرى الذى يلفه السائق حول رأسه .

وعاد السائق يقول : انت على وشك الافلاس ، وقد بددت أموالا ليست ملكك ، وأنت تفكر الآن فى الانتحار ، ولكنك لا تنوى الانتحار بسبب الافلاس بل لأن لك عدوا اكتشف شيئا لا يشرفك . . . شيئا يجعلك فى متناول رجال البوليس ، وقد حصلت منذ ثلاثة أيام من صديق لك يشتغل فى أحدى الشركات الكيماوية على سم فتاك لا يوجد فى الصيدليات العـــادية وقد قضيت أسبوعا قرات فيه كل شىء عن السموم وتأثيرها . وفى نيتك ، ما لم تقع معجزة تنقذك من الافلاس ، ان تنهى حياتك يوم السبت المقبل أو يوم الأحد . وانا شخصيا أرجح

انك سوف تقدم على الانتحار يوم الأحد .
وسمع الرجل الجالس خلفه يلهث فضحك وقال :
ـ هل انت على استعداد لكى تعمل معى ايها السيد ؟ .
فسأله الرجل وهو ينتفض : ماذا يجب أن أفعل ؟ .
ـ ما عليك الا اتباع تعليماتى وسوف احرص على الا تتعرض لأى خطر ... وساكافئك بسخاء ... اننى مستعد ان امنحك الآن مبلغا كبيرا يساعدك على مواجهة امورك العاجلة ، وفى نظير ذلك ساطالبك بتصريف كل الأموال التى ارسلها اليك وبعمل اللازم لتغطية السندات والأوراق المالية التى يعرف البوليس ارقامها وان تتصرف فى السندات التى يتعذر على التصرف فيها وان تعمل كما لو كنت وكيلى ..
وامسك ثم اردف يقول : وأن تدفع ما أريد عند الطلب .
لم يجبه الرجل الجالس خلفه على الفور ولكنه لم يلبث ان سال في شيء من الحدة : وما هى الدائرة الحمراء ؟ .
وجاءه الرد مشدوها : هى انت .
فقال الرجل مشدوها : انا ؟ .
فأجاب الآخر فى اهتمام : انت الدائرة الحمراء ، ومعك مائة من الرفاق لن تعرف أحدا منهم ولن يعرفك منهم أحد .
ـ وانت ؟ ..
فاجاب السائق : اما انا فاعرفهم كلكم ، فهل توافق ؟ .
فقال الآخر بعد تردد : نعم ..
التفت السائق اليه نصف التفاتة وناوله مظروفا ضخما أخذه عضو الدائرة الحمراء الجديد ودسه فى جيبه وخاطبه السائق عندئذ قائلا : انصرف الآن .
وانطلقت السيارة قبل ان يتمكن الرجل من النطق .
وعبر الطريق وانعطف الى شارع جانبى ، وما كاد يختفى حتى برز من بوابة بيت غير بعيد شبح أسرع يقتفى اثره . وكان الشبح لرجل طويل القامة بدين الجسم يسير فى صعوبة اذ كان مبهور الانفاس . وكان قد قطع ما يقرب من مائة خطوة عندما أدرك انه لا يزال يمسك فى يده بالمنظار المكبر الذى استخدمه فى مراقبة الرجلين .
وعندما بلغ الشارع الرئيسى كان الرجل قد اختفى . وابتسم مستر فليكس مارل ساخرا ولو انه حدس طبيعة الحديث الذى دار بين الرجلين لما ابتسم تلك الابتسامة فان رجالا أشد منه قوة وأكثر بأسا تملكهم الرعب لتهديد الدائرة الحمراء .

الفصل الثاني

الرجل الذى لا يدفع

دفع فيليب باسارد وبقى على قيد الحياة لأن الدائرة الحمراء تبر بوعدها فى الظاهر . وكذلك دفع جاك ريزى ، المالى الكبير ولكن تملكه الهلع ومات بعد شهر ميتة طبيعية اذ كان ضعيف القلب . اما محامى السكة الحديد ، بنسون فقد ازدرى التهديد ووجد بعد ذلك قتيلا بجوار سيارته .

وقد استطاع مستر دريك بيل بمواهبه العجيبة ، التوصل الى اثر القاتل ، وهو زنجى وثب فوق سلم السيارة ، وقتل مستر بنسون بطلقة من مسدسه وأسرع هاربا . واعترف الزنجى بارتكاب الجريمة وشنق من غير أن يبوح باسم الرجل الذى حرضه على ارتكابها . وقد سخر البوليس من قدرة بيل على الاستدلال بطريقة المنطق ولكن مهما يكن من امر فقد مكنتهم قدرته هذه الى الاهتداء الى القاتل المعتوه الذى سرعان ما اعترف بجريمته .

ولا ريب أن كثيرا من الناس دفعوا بعد هذه الجريمة النكراء من غير أن يبلغوا رجال البوليس لأنه مرت فترة طويلة دون أن تذكر الجرائد شيئا عن الدائرة الحمراء . ولكن جاء ذات يوم لمستر بيردمور مظروف مربع فضه وهو جالس الى مائدة الافطار واخرج منه بطاقة عليهـــا صورة مطبوعة لدائرة حمراء . وقال يخاطب ابنه الجالس أمامه على المـائدة .

ــ انك تهتم بمآسى الحياة يا جاك فما رايك فى هذه ؟ .

والقى بالرسالة اليه ثم انثنى الى رسالة أخرى وبدأ يفضها .

والتقط جاك الرسالة من فوق الأرض حيث وقعت وفحصها وهو مقطب الجبين ؟ كانت عبارة عن بطاقة بريدية عادية فيما عدا انهـــا لا تحمل أى عنوان وبها دائرة حمراء كبيرة تلمس حوافها الأربعة ويدل شكلها على انها طبعت بواسطة ختم من الكاوتشوك لأن الحبر لم يكن واضحا فى بعض الأماكن وفى منتصف الدائرة طبعت الكلمات التالية بحروف المطبعة .

« ان مائة الف جنيه بالنسبة الى ثروتك لا تعـد شيئا وسوف تدفع هذا المبلغ أوراقا مالية للرسول الذى سيوفد اليك ردا على الاعلان الذى ستقوم انت بنشره فى جريدة تريبون فى خلال أربعة وعشرين ساعة تفيدنى فيه عن الساعة التى تناسبك .. هـذا هو انذارنا الأخير » .

ولم يكن هناك توقيع .

ونظر جيمس بيردمور الى ابنه من خـلال نظاراته وسأله وهو يبتسم : حسنا . ما رأيك ؟ .

فصاح جاك : الدائرة الحمراء ! .

فأجابه أبوه ضاحكا : نعم ... الدائرة الحمراء ... وهـذه هى الرسالة الرابعة التى تأتينى منه .

ـ الرسالة الرابعة ... يا الهى ! أهذا هو السبب فى اقامة بيل معنا ؟ .

فابتسم جيم بيردمور وأجاب : نعم .

ـ كنت أعلم أنه مخبر سرى خاص طبعا ولكن لم يخطر لى ابدا ...

فقاطعه أبوه قائلا فى فروغ صبر : لا تزعج نفسك بأمر هذه الدائرة الجهنمية فاننى لست خائفا منهـا . ان فروايانت يعيش فى رعب مستمر من هذه العصابة ولا يدهشنى هذا فقد كون كل منا لنفسه أعداء كثيرين .

كان جيمس بيردمور بملامحه الصلبة ووجهه الذى ملأته التجاعيد ولحيته القصيرة التى وخطها الشيب يبدو كما لو كان جـد الشاب الجميل الملامح الذى يتناول طعام الافطار أمامه . وكان قد جمـع ثروة طائلة ولكن بعد أن لقى من المتاعب صنوفا والوانا . وان ذلك الرجل العجوز الذى أوشك أن يموت من العطش فى صحارى كلهارى وهو يبحث عن مناجم وهمية من الماس ، والذى تجمدت أطرافه من البرد القارس وهو يبحث عن الذهب فى كلونديك لقى من الأخطـار الحقيقية ما يجعله يستهين بعصـابة من المجرمين الأشقياء كعصابة « الدائرة الحمراء » على أنه فى ذلك الوقت كان يقلقه خطر آخر اكثر حساسية لا يتعلق به وهو نفسه ولكن بابنه .

ـ اننى واثق من حسن ادراكك وتصرفك وأرجو ألا يغضبك قولى ... اننى لم أحاول قط التدخل فى ملذاتك أو فى اختيار أصدقائك ... ولكن ، الا تظن ... أن من الحكمة فى مثل هذه الظروف ...

وأدرك جاك بيردمور ما يرمى اليه والده فقاطعه قائلا :

ـ هل تعنى مس دراموند ؟ .
اوما الأب برأسه فعاد الابن يقول : ولـكنها سـكرتيرة مستر فروايانت .
ـ أعلم ذلك ، ولست أنتقصها لهذا السبب .. ولكن يجب أن تدرك يا جاك اننا لا نعرف عنها شيئا على الاطلاق ، كما لا نعرف أى شىء عن اسرتها .
طوى جاك المنشفة فى عزم وقد اصطبغ لونه وبرزت عضلات ذقنه دليلا على قوة شكيمته وارادته وقال :
ـ اننى اميل اليها وهى صديقة لى ، ولكنى لم أطارحها الهوى لاننى أعتقد أن صداقتنا ستتحطم لو اننى فعلت .
وبدا الارتياح على وجه الأب فقد قال كل ما يعتقده ضروريا ،وتناول من بين رسائله مظروفا كبيرا ونظر اليه فى فضول ، ورأى جاك أنه يحمل طوابع تدل على انه مرسل من فرنسا وتسـاءل من يكون الراسل .
وفض الرجل الشيخ المظروف واخرج منه مظروفا آخر اقل حجما مختوما بالشمع الأحمر ما ان رأى ما عليه من كلمات حتى قطب جبينه والقاه جانبا دون أن يفضه هو الآخر وقال : أوه ... آوه ...
وانثنى الى بقية رسائله وألقى اليها نظرة فاحصة ثم نظر الى ابنه وقال :
ـ لا تثق ابدا بأى شخص رجلا كان او امراة قبل أن تعرف مساوئه فان رجلا يقدم اليوم لزيارتى ، وهو رجل محترم من رجال المجتمع ، له ماض أشد سوادا من قبعتى ومع ذلك فسوف أعقد صفقة معه . اننى أعرف عنه اسوأ ما يمكن أن يكون .
ضحك جاك وهم بأن يجيب عندما دخل ضيفهما فبادره العجـوز قائلا : صباح الخير يا بيل .. هل استمتعت بالنوم الليلة ؟ ... اقرع الجرس يا جاك ليأتوه بالقهوة .
كان وجود دريك بيل مبعث سرور جاك ، فقد كان فى تلك السن التى يعبد فيها الشباب الغموض والمغامرات الخيالة . زد على ذلك أن بيل لم يكن مخبرا سريا عاديا وانما كانت له مواهب خارقة ... أو تبدو خارقة ، ثم أن مظهره الجميل وعينيه الواسعتين وأسلوبه المهذب الذى ينم عن تربية عالية ، والحركات المألوفة التى تصدر عن يديه الطويلتين الناصعتى البياض ، كل ذلك كان له تأثيره السحرى فى عقول الشباب ذوى الخيال الـكم .

وقال يبل وهو يبسط منشفته : ولكنى لا انام ابدا ..
وامسك الحلقة الفضية المثبتة بالمنشفة وراح ينظر اليها مليا .
ونظر جيمس بيردمور اليه فى شىء من السخرية . اما جاك فقد كان بادى الاعجاب وسأله قائلا : حسنا ؟ ..
ــ ان آخر من امسك بهذه الحلقة جاءته انباء سيئة جدا ... قريب له أو صديق حميم وقع فريسة لمرض خطير .
فأومأ بيردمور برأسه وأجاب : ان جين هيجنز هى التى اعدت المائدة ، وقد جاءتها اليوم رسالة تقول ان امها تحتضر .
وصاح جاك : هل أحسست بذلك بمجرد أن لمست الحلقة ؟ .. كيف خامرك هذا الاحساس ؟ ..
هز يبل رأسه وأجاب : لا أدرى كيف أفسر لك هذا ... كل ما اعرفه هو اننى فى اللحظة التى لمست فيها الحلقـــــة تملكنى شعور غريب بالحزن ، وهذا عجيب ، أليس كذلك ؟ .
ــ ولكن كيف عرفت بما وقع للأم ؟ .
فقال الآخر فى شىء من الخشونة : عرفت ذلك بطريقة ما ... بالمنطق والاستنتاج ... هل جاءتك أنباء جديدة يا مستر بيردمور ؟ .
ناوله جيم البطاقة التى جاءته صباح اليوم ، وقرأ يبل الكلمات التى بها ثم أخذ يزنها فى راحة يده قبل أن يقول :
ــ لقد جاء بها بحار سابق .. قضى مدة من السجن وخسر اخيرا مبلغا جسيما من المال .
فضحك جيمس بيردمور وقال وهو ينهض : ولست مستعدا لان أرده له . هل تحمل هذه التهديدات محمل الجد ؟ .
فأجابه يبل فى هدوء : طبعا .. الى حد اننى انصحك . الا تغادر هذا البيت الا برفقتى .
واستطرد يقول محتجا على اعتراض بيردمور : ان للدائرة الحمراء وسائل مليو درامية من غير شك ، ولن يجد ورثتك اى عزاء عندما يعلمون انك لقيت حتفك كأحد أبطال المسرح .
لزم جيم بيردمور الصمت لحظة . ونظر ابنه اليه فى قلق ثم سأله قائلا : لماذا لا تغادر البلاد يا ابى ؟ .
فصاح بيردمور يقول : أغادر البلاد ؟ .. هل تريد منى أن أهرب امام هذه العصابة الحقيرة ... لسوف ابعث بها ...
ولم يذكر اين يريد أن يبعث بها ، ولكن لم يكن احد من الرجلين بحاجة الى اى ايضاح .

الفصل الثالث

فتاة غير مكترثة

كان جاك بيردمور يسير فى تؤدة بين المروج فى ذلك الصباح وهو يرزح تحت وطأة عبء ثقيل . وحملته قدماه على غير وعى منه خلال المراعى الواسعة حتى الوادى الصغير الذى يبعد عن البيت بنحو ميل والذى يقع فى وسطه السياج الكئيب الذى يفصل بين املاك بيردمور وأملاك فروايانت .

ووقف تحت شجرة ضخمة فى آخر الوادى وراح ينظر الى السياج الفاصل فى قلق . واذا لم يجد احـدا احس بقلبه يـكاد يتوقف عن الحركة . وبعد مسيرة عشر دقائق بلغ الثغرة التى أحدثها هو نفسه فى السياج منذ بضعة أيام ودلف منها الى الناحية الأخرى . وسمعت الفتاة الجالسة على عتبة الكوخ الصيحة الخافتة التى انطلقت من بين شفتيه والتى تدل على مدى ارتياحه .

ورددت الفتاة البصر حولها ثم نهضت واقفة فى شىء من التقزز . كانت رائعة الجمال ذات شعر جميل وبشرة ناعمة . ومضت اليه وفى عينيها نظرة بعيدة عن الترحيب وقالت فى برود : صباح الخير .

فأجاب : صباح الخير يا تاليا .

فعبست اساريرها وقالت فى لهجة الجد : لا أسمح لك بأن ترفع الكلفة بيننا وان تنادينى باسمى مجردا .

ادهشه هذا الفتور وأثار جزعه فقد كان يعلم أنها تتقد حيوية .

وسألها لماذا تبدين هذه القسوة معى ؟ .

ارتسمت على شفتيها شبه ابتسامة وأجابته فى جد :

ــ لأننى قرات كتبا كثيرة وأعلم أن الفتيات العاملات الفقيرات اللاتى لا يبدين من القسوة والشدة ما فيه الكفاية نحو أبناء أصحاب الملايين يلقين أسوأ المصير .

كان صوتها حادا حازما يشير الحيرة واردفت تقول :

ــ ثم انه ليست هناك اية أسباب تدعونى لاستعمال الرقـة فالمرء لا يكون رقيقا فى العادة الا مع الذين يحبهم وأنا لا أحبك .

وكانت تتكلم متعمـدة بحيث اصطبغ وجه جاك تحت وطاة هـذه الاهانة وكره نفسه لمجرد انه هو الذى استفز الفتاة .

وتحولت عنه وهى تومىء اليه براسها لأنها كانت قد رات مخدومها يقترب ، وكانت قد لاحظت انه يراقبهما فى شىء من الضجر .

وبادرها يقول فى حدة : حسبتك مهتمة بمراجعة الحسابات يا تاليا ؟.

كان فروايانت رجلا ضامر الجسم ، فى الخمسين من عمره شاحب اللون متوتر الملامح أصلع الراس ، له عادة بغيضة هى الكشف عن اسنانه الطويلة الصفراء عندما يلقى سؤالا ، كانت عبارة عن تقطيبة توحى سلفا عن اعتقاده بأن صاحبه سوف يتهرب من الاجابة .

ـ صباح الخير يا بيردمور !

القى بالتحية الى الشاب فى لهجة تفيض بالحقد ثم قال :

ـ حسنا .. اننى ذاهب لكى ارى اباك يابيردمور فهل تاتى معى ؟ .

وكانت تاليا قد مضت فى طريقها الى الفيللا فلم يسع جاك الا ان يقبل دعوة فروايانت . وقال هذا الأخير : لاتضع وقت هذه الفتاة يابيردمور ، فان لديها الكثير من العمل ، وانى واثق ان اباك لن يروق له هذا .

هم جاك بأن يغلظ القول للرجل ولكنه لم يلبث ان راجع نفسه . كان يمقت هارفى فروايانت وقد ازدادت كراهيته له فى هذه اللحظـة لموقفه المستبد الذى وقفه من الفتاة .

ومشى مستر فروايانت مع الشاب بمحاذاة السياج فى طريقه الى الباب القائم فى آخر الوادى وهو يقول : ان هذا النوع من الفتيات ..

ولكنه لم يلبث ان امسك وصاح يقول وهو يشير الى الثغرة التى مر منها الشاب : من الذى احدث هذه الثغرة بحق الشيطان ؟ .

فاجابه الشاب فى غلظة : انا ... ان السياج ملكنا ، وبهذه الطريقة يمكننى اختصار الطريق ... تعالى يا مستر فروايانت .

لم ينطق هذا الأخير بكلمة وهو يمر من الثغرة . وارتقى الرجلان المطلع فى بطء وهما فى طريقهما الى الشجرة الضخمة التى توقف جاك عندها منذ لحظات .

وكان فروايانت قد التزم الصمت لفرط استيائه من الشاب .

وبلغا قمة المطلع عندما تقبضت يد على ذراعه فجأة ، فتحول ورأى جاك بيردمور يحملق فى جذع الشجرة فى دهشة وذعر ونظر فروايانت الى حيث ينظر الشاب وما كان يفعل حتى ارتد الى الخلف وقد امتقع لونه ، فقد رأى على جذع الشجرة دائرة حمراء كان طلاؤها لا يزال رطبا طريا .

الفصل الرابع

مستر فليكس مارل

القى جاك بيردمور حوله نظرة سريعة فاحصة فلم ير غير رجل يسير على مسافة بعيدة في هدوء في طريقه الى فيللا بيردمور وفي يده حقيبة . وتوقف الرجل عندما ناداه جاك والتفت الى الخلف . واسرع جاك اليه وقال : من انت ؟ .. وماذا تصنع هنا ؟ .

نظر الرجل اليه . كان طويلا نحيف الجسم ولكن ثقل حقيبته جعلته يلهث . ومرت لحظة قبل أن يسترد أنفاسه ويقول اخيرا :

ـ اسمي مارل ... فليكس مارل ... لعلك سمعت عني ، واظنك انت مستر بيردمور الشاب .

فقال جاك : هو ذلك .. ولكن ماذا تفعل هنا ؟ .

فأجاب مارل في صوت متقطع : قيل لي ان هذا اقصر طريق من المحطة الى البيت ولكني ارى أن هذا غير صحيح ... انني قدمت لكي أرى اباك .

وسأل الشاب ثانية : هل مررت بهذه الشجرة ؟ .

ـ ولم هذا السؤال ؟ .. قلت لك انني قدمت راسا عن طريق الحقول .

لحق مستر فروايانت بهما في هذه اللحظة ، وما كان بصره يقع على الرجل حتى هتف : هذا مستر مارل ! ... انني اعرفه ... قل لي ، الم تر أحدا يسير بجوار هذه الشجرة .

هز مستر مارل راسه نفيا . كان يبدو أن الشجرة لا تهمه على الاطلاق . وقال : بل انني لم الحظ وجودها .. ولكن ما معنى هذا ؟ .

فأجاب هارق فروايانت : لا أهمية لذلك .

وبلغوا الفيللا اخيرا . وكان جاك قد حمل عن مارل حقيبته .. ولم يحس بأى ارتياح نحو الرجل فقد كان صوته غليظا وحركاته عادية وتساءل جاك عن نوع العمل المشترك الذى يربط هذا الرجل بأبيه .

وكانوا قد اقتربوا من البيت عندما أفلتت فجأة من بين شفتي مارل صيحة وارتد خطوة الى الخلف .. وبدا عليه الرعب والهلع

وامتقع لونه واخذ يرتجف من اعلا راسه الى اخمص قدميه .
ونظر جاك اليه فى دهشة كبيرة ، بل ان فروايانت نفسه صاح يقول فى انفعال : ما الخبر ؟ ... ماذا بك ؟ ..
فان الانزعاج الذى سببته له رؤية الدائرة الحمراء واضطراب مارل فجاة وبدون سبب واضح جعلاه لا يملك نفسه الا بشق النفس .
وتمتم مارل : لا شيء .. لا شيء .. اننى ...
وامسك .. وزمجر فروايانت : لا شك انك ثمل .
ودخل الزائران . أما جاك فانثنى يبحث عن بيل ، ووجده مستلقيا فوق مقعد فى الحديقة . عاقدا ذراعيه وقد غرق فى تفكير عميق .
ورفع بيل عينيه عندما سمع خطوات جاك وابتدره قائلا : لا اعلم .
واذ رأى دهشة الشاب ضحك وقال : الم تكن تنوى ان تسالنى عن السبب فى الرعب الذى استولى على مارل ؟ .
ـ هذا صحيح .. انت رجل مدهش يا بيل . الحظت ما طرا على مارل من الخوف فجاة ؟ .
فأومأ دريك بيل وقال : نعم .. رايته قبل ان يتملكه الخوف ... يمكنك ان ترى الطريق كله من مكانى هذا .
واستطرد يقول وهو مقطب الجبين : انه يذكرنى برجل سبق ان رايته ولكنى لا أدرى من هو ... هل ياتى الى البيت كثيرا ؟ ... لقد اخبرنى ابوك انه قادم ، وقد حدست أنه هو الذى ينتظره ابوك .
هز جاك راسه وقال : هذه اولى مرة أراه فيها . ولكنى اذكر الآن ان ابى وفروايانت يتعاملان مع رجل اسمه مارل ، وقد ذكر ابى اسمه ذات مرة واظنه سمسار عقارات ... وأبى يهتم بالاراضى والعقارات ولكن هناك شيئا آخر يابيل اننى رأيت علامة الدائرة الحمراء على شجرة .
وسرد عليه الأمر فى اسهاب . وسرعان ما نسى البوليس السرى فليكس مارل وراح يصغى الى قصة الشاب فى اهتمام . واختتم جاك قصته قائلا :
ـ اننى واثق تماما ان الدائرة لم تكن موجودة بالشجرة عندما مررت بها لأول مرة . ولا ريب انها رسمت بينما كنت اتحدث مع .... مع صديق . فالشجرة لا يمكن أن ترى من خلال السياج ولابد أن بعضهم اقترب منها ثم ابتعد دون أن يلحظه أحد . ما رايك فى هذا يا بيل ؟ .
فقال البوليس السرى فى ايجاز : اننى شديد القلق .
ونهض واقفا وراح يسير فى الحديقة . وبعد هنيهة تركه جاك لافكاره .
وفى هذه الاثناء كان فليكس مارل عاجزا عن الادلاء عن الفرض الذى

جاء لأجله . كان الأمر يتعلق بشراء وبيع أراض ، كما قال جاك ولكن مستر مارل لم يستطع أن يقدم اية معلومات أو توضيحات وتمتم يقول : انني اكاد لا استطيع النطق يا سادة .

وللمرة الرابعة رفع يده المرتعشة الى فمه واستطرد : انه توعك طارىء ، فارجو المعذرة ... لقد وقع لي حادث صباح اليوم .

ــ ما هو ؟ .

ولكن مارل بدا غير ميال لتقديم اى تفسير واكتفى بأن هز راسه وأجاب : لا أدرى ماذا أقول .. لا يمكنني ان اناقش اى موضوع اليوم ... يجب ان نؤجل الأمر الى الغد .

فصاح فروايانت في حدة : وهل تعتقد انني تكلفت القدوم هنا اليوم لكى اسمع هذه السخافات ؟ اقول لك انه لابد من انجاز هذه الصفقة حالا .. اليس هذا رايك انت يا بيردمور ؟ .

ولكن بيردمور لم يكن تهمه الصفقة في شيء فراح يضحك بكل قوته ثم قال : لعل المسألة ليست من الأهمية كما تظن ، واذا كان مستر مارل يشكو توعكا فيجب الا نزعجه .. هل تحب أن تقضى الليلة عندى يا مارل ؟ .

فصاح مارل على الفور كما لو كان قد رأى شبح الموت : أوه ، كلا .. كلا .. لا اريد البقاء وأرجو الا يكدرك ذلك .. يجب أن اعود .

فقال صاحب البيت في غير اكتراث وهو يجمع أوراقه من فوق المائدة : كما تشاء .

وخرج ثلاثتهم الى الردهة حيث كان جاك .

وانطلقت سيارة بيردمور بمارل وحقيبته الكبيرة الى المحطة .

وصدرت من الرجل عندئذ تصرفات غريبة فقد شحن حقيبته الى المدينة ثم استقل القطار ولكنه لم يلبث أن غادره في المحطة التالية .

واقدم عندئذ على عمل يدعو الى الدهشة حقا ، فعلى الرغم من انه لم يكن من هواة الرياضة فقد قطع على قدميه الأميال التسعة التى تفصل المحطة عن أملاك مستر بيردمور ، ولم يسلك الطريق القصير .

وكان الليل قد هبط عندما بلغ الغابة الخاصة التى تتاخم الحديقة . وجلس فوق العشب في اعياء ولكن في عزم وتصميم وانتظر حتى ساد المكان الظلام التام . ولكنه قبل ذلك أخرج مسدسه الثقيل الذى اخذه من الحقيبة قبل أن يتركها في المحطة ، ثم فحصه في دقة وعناية .

الفصل الخامس

الهاربة

قال جيمس بيردمور فى ضجر : لا ادرى لماذا لم يات ذلك الرجل .
فسأله جاك : اى رجل ؟ .
ـ اننى أعنى مارل ..
فقال بيل : اهو ذلك الرجل العريض الكتفين الذى رايته أمس ؟ .
كان الرجال الثلاثة يقفون فى شرفة الفيللا حيث يمتد البصر امامهم .
وكان قطار الصباح قد اقبل ثم انطلق عائدا ، وكان الدخان المتصاعد منه لا يزال يرى من بعيد وهو يختفى .
واجاب المستر بيردمور : نعم .. يجب ان اتحـدث مع فروايانت تليفونيا لأخبره بان ياتى .
وحك جيم بيردمور ذقنه فى شيء من التفكير ثم استطرد يقول :
ـ ان مارل هذا يثير حيرتى فهو رجل قدير ... اعتقد انه لص تائب .. او ارجو أن يكون قد تاب على الأقل ... ترى ، ماذا دهاه بالأمس ؟ .. لقد كان شاحب اللون كالأموات .
فقال جاك : لا ادرى .. لعله أصيب بنوبة قلبية . لقد ذكر لى انه عرضة لمثل هذه النوبات .
ضحك بيردمور الأب ومضى الى القاعة وعاد ومعه عصاه وقال :
ـ سأقوم بجولة قصيرة .. كلا .. لا فائدة من مرافقتى يا يل فانا فى حاجة الى التفكير .. اننى اعدك بالا اتجاوز املاكى وان كنت لا اعلق اية اهمية على تهديدات هؤلاء المجرمين .
هز يل راسه وقال : ومع ذلك فان وجود شعار الدائرة الحمراء..
اتى بيردمور بحركة من يده تدل على الازدراء وقال :
ـ انهم فى حاجة الى أكثر من هذا لابتزاز مائة الف جنيه منى .
ولوح بيده مودعا ، وهبط الدرجات الحجرية الأمامية للقصر واخذ يجتاز الحديقة . وتابعه ابنه ورجل البوليس السرى بنظراتهما . وقال جاك : هل تعتقد أن ابى يستهدف للخطر حقا ؟ .
راح يل يتابع بعينيه مستر بيردمور وهو يبتعد ثم تحول الى الشاب

وأجاب : خطو ؟ .. نعم .. اننى أعتقد انه يستهدف لخطر شديد .
فقال الشاب وهو لا يحول بصره عن أبيه الذى بدأ يختفى .
ـ ارجوك ان تكون مخطئا .. انه لا ينظر الى الامر نظرة جدية كما تنظر انت اليه .
ـ ذلك لأنه لم يمر بما مررت أنا به من تجارب . واننى أعلم انه ذهب لرؤية مستر بار رئيس ادارة الأمن ، الذى نصحه بأن يكون على حذر.
وعلى الرغم من المخـاوف التى بدات تستبد بالشاب فقد ابتسم وقال : ومع ذلك فأنتم ، اى رجال البوليس السرى لا تتفقون أبدا مع رجال البوليس الرسمى .
فقال بيل فى توكيد : اننى شديد الاعجاب بالمفتش بار . انه بطىء ولكنه قوى جدا . وقـد سمعت أنه من أشـد رجال البوليس دقة ، واعتقد ان رؤسائه بخسوه حقـه بسبب الدائرة الحمراء .. فقد سمعت أنهم أنذروه بالاستقالة اذا لم يتمكن من القبض على هذه العصابة.
وفى أثناء هذا الحـديث الوجيز كان مستر بيردمور قد بلغ غابة صغيرة تبدأ بعد الحديقة وتوغل فيها .
واستطرد بيل : وقد تعاونت مع بار فى التحقيق الذى دار بشان جريمة الدائرة الحمراء الأخيرة وقد أدهشنى ...
وامسك فجاة ... وتبادل الرجلان النظرات ، فقد دوت رصاصة ولم يكن هناك اى شك فى ذلك فقد كان صوتها واضحا قريبا وكان صادرا من الغابة . واسرع جاك فوثب من فوق السور واخذ يجرى صوب الغابة وخلفه بيل .
وما كاد يتوغلان فى الغابة نحو عشرين مترا حتى وقع بصرهما على جيمس بيردمور ملقى فوق الأرض جثة هامدة فارقتها الحياة .
وبينما كان جاك يحاول عبثا رد الحياة الى أبيه خرجت فتاة من الناحية الأخرى للغابة وتوقفت لحظة لتمسح يدها المخضبة بالدم فى العشب ثم أسرعت الى الثغرة التى سبق أن أحدثها جاك فى السياج وتسللت منها الى الجانب الآخر ثم أخذت تجرى الى الكوخ المهجور .
وما ان بلغته حتى نظرت تاليا دراموند حولها وهى تلهث ... كانت بيضاء اللون كالثلج وبعد أن تحققت أن أحدا لا يراها دخلت الـكوخ وجثت على الأرض فى ناحية منه وحاولت بأصابع مرتعشة أن ترفع لوحا من الألواح الخشبية . وافلحت فى ذلك بعد مجهود كبير فكشفت عن فجوة فى الأرضية . ألقت فيها المسدس ثم أعادت اللوح مكانه .

الفصل السادس

تاليا درآموند مجرمة

راح مدير البوليس ينظر الى قصاصة الجـريدة الموضوعة فوق مكتبه وهو يجز على شاربه الـكثيف الذي وخطـه المشيب . وادرك المفتش بار من هذه الحركة ما ينتظره فوقف فى انتظار العاصفة .

كان رجل مفرط البدانة قصير القـــامة بحيث كان كل من يراه يتساءل كيف تسنى له الالتحاق بادارة البوليس . وكان يشرف على الخمسين ، له وجه احمر مكتنز ، يبدو على ملامحه الذكاء .

زمجر الكولونيل مورتون ، مدير البوليس قائلا : ما رايك فى هذا يا بار ؟ . .

حك المفتش بار ذقنه ولم ينطق فى حين عاد المدير يقول :

ــ لقد قتل المستر جيمس بيردمور على الرغم من ان البوليس كان على علم بالتهديدات التى وصلته من المجرمين . ثم انه قتل على مقربة من بيته ولا يزال القاتل طليقا . وللمرة الثانية نجد انفسنا عاجزين امام جريمة مروعة مستغلقة الأسرار .

واستطرد يقول بلهجة الايعـــاز : انك لجأت الى مستر يبل فى الجريمة السابقة لكى تتوصل الى القاتل ، فهل رايته هذه المرة ؟ .

أومأ المفتش بالايجاب ، وسأله المدير : وماذا يقول ؟ . .

تململ المفتش فى وقفته وقال فى ارتباك :

ــ سخافات كثيرة عن رجل اسمر يشكو الما فى اسنانه .

فاسرع المدير يقول : وكيف اهتدى الى هذه الحقائق ؟ .

ــ من فحص الخرطوشة الفارغة التى عثرنا عليها فى مكان الجريمة. ولكنى لا استطيع ان اتيح اى اعتبار لهذا الهذر .

اضطجع المدير فى مقعده الى الخلف وقال : ارى يا بار انك تزدرى بمعلومات قد تكون على جانب كبير من الفائدة . مهما يكن من امر أرجو الا تستخف باستنتاجات يبل ، فان لهذا الرجل مقدرة عجيبة .

فقال بار فى امتعاض : هل تعتقد حقـــا يا سيدى المدير ان من الممكن ، بمجرد النظر الى خرطوشة فارغة ، استنتاج كل شىء عن

الرجل الذى استخدمها ومعرفة أوصافه وطبيعة أفكاره ؟ .
فقال المدير فى هدوء : ليس فى هـــذا أى سخف يا بار ... فان الاستنتاج عن طريق لمس الأشياء علم معترف به منذ وقت طويل ، وهناك اشـــخاص ذوو حساسية عجيبة تمكنهم من رؤية أشياء تستعصى على غيرهم من سائر البشر ، ويبل من هؤلاء الأشخاص .
فقال بار : لقد كان موجودا على كل حال مع مستر بيردمور الابن على مسافة مائتين متر من مكان الجريمة ولم يتمكن من كشف القاتل .
اوما المدير براسه وقال : وانت كذلك لم تتمكن من القبض عليه حتى الآن . انك اطلعتنى منذ اثنى عشر شهرا على خطة لمهـــاجمة الدائرة الحمراء ، وقد وافقتك على هذه الخطة فى ذلك الحين وانتظرنا منك نتائج باهرة ، ولكنى أرى الآن انه يجب أن تبحث لك عن خطـــة اخرى ويؤسفنى ان اقول لك هذا يا بار .
لم يجب بار على الفور ، ولكن ، بعد تفكير قصير اخذ مقعدا وجلس بجوار المدير فأثار بذلك دهشة هذا الأخير ثم قال فى حدة لم يسبق ان صدرت منه قبل ذلك :
ــ دعنى أقول لك شيئا أيها الكولونيل ... ان الأشخاص الذين تتكون منهم الدائرة الحمراء من السهل الاهتداء اليهم .... واننى واثق من هذا ولكنى أسعى وراء الزعيم نفسه فاننا اذا قضينا عليه قضينا على الأذناب فى الوقت نفسه ، ولهذا احتاج الى سلطات اوسع .
ــ سلطات أوسع ؟ .. ماذا تعنى .. بحق الشيطان ؟ .
ــ ساوضح لك الأمر ..
وتكلم بار طويلا وبطريقة حملت الكولونيل على التزام الصمت ، وقد استبدت به الدهشة .
وبعد ذلك بأقل من ساعة كان بار يدخل عمارة كبيرة وسط البلد . وفى الدور الثالث قرع باب مكتب البوليس السرى دريك ييل . وكان هذا فى انتظاره .
ولا يمكن أن نتصور الفرق الشاسع بين هذين الرجلين فبقدر ما كان بار بدينا ضخم الجسم كان ييل نحيفا نشطا بادى الرقة والعصبية فى وقت واحد . وابتدره ييل قائلا : كيف كانت مقابلتك مع المدير ؟ .
ــ على أسوأ ما يكون ... انه حاقد على ولكن هل اهتديت الآن الى شىء جديد ؟ .
ــ اهتديت الى الرجل الذى يشكو من أسنانه . انه يدعى سيبلى ، وهو بحار قديم شـــوهد على مقربة من فيللا بيردمور فى غداة اليوم

الذى وقعت فيه الجريمة . وها هى ذى برقية يخطروننى فيها بأنهم القوا القبض عليه أمس بتهمة السكر والعـــربدة وعثروا معه على المسدس الأوتوماتيكى ، وهو المسدس الذى اعتقد انه استخدم فى ارتكاب الجريمة ، ولعلك تذكر أن الرصاصة التى استخرجت من جثة مستر بيردمور ثبت انها أطلقت من مسدس أوتوماتيكى .

أتى بار بحركة تدل على الدهشة وسأله : وكيف اهتديت الى هذا ؟.

ضحك بيل فى رقة وقـــال وعيناه تبرقان فى مرح : انك لا تثق بطريقتى ، ومع ذلك فاننى بمجرد أن امسكت الخرطوشة الفـــارغة استطعت أن أرى الرجل كما أراك أنت أمامى الآن . وقـــد ارسلت أحد رجالى خلفه ، وها هى ذى النتيجة .

وأشار الى البرقية التى فى يده .

تقلصت ملامح بار .. فكان من اثر ذلك ان زادت دمامة وجهه .

وقال فى رقة : اذن فقد القوا القبض عليه .. هل هو الذى كتب هذا ؟ .

واخرج من محفظته قطعة من الورق تآكلت حوافها من اثر النار ، وناولها لبيل فسأله هذا الأخير : اين وجدتها ؟ .

ــ بين الرماد ، فى مدفأة مستر بيردمور .

وكان واضحا أن قطعة الورق هذه جزء من ورقة كبيرة مزقت الى قطع صغيرة ، وقد ظهرت بها هذه الكلمات التى خطتها يد مرتعشة :

ادعك وشانك

تدعنى وشانى

مجمع ب

جرافت

وقال بيل : ادعك وشانك ... تدعنى وشانى ... مجمع ب ... جرافت ... هذه الفاز لا افهمها ...

ووضع الورقة فى راحة يده مدة طويلة ثم استطرد : اننى لا اشعر بأى شيء ... لا ريب أن النار بددت ما كان عالقا بها من آثار .

اخذ بار الورقة واعادها الى محفظته فى عناية وقال :

ــ اردت ان أقول لك أن شخصا يلبس حذاء مدببا ويدخن سيجارا كان يتسكع بجوار البيت . وقد وجدت آثار الحذاء ورماد السيجار على مقربة من شجرة .

فقال بيل وقد تملكته الدهشة بدوره : بالقرب من البيت ؟ .

فأومأ المفتش واستطرد : ان نظريتى هى أن احدهم أراد أن يحذر مستر بيردمور من الخطر الذى يتهدده فكتب له الرسالة وارسلها

الى البيت ليلا ، ولا ريب أن الرجل العجوز قد استلمها لأنه احرقها ، فقد وجدت الرماد فى المكان الذى يجمع فيه الخدم رماد السجاير .

وسمع نقر خفيف على الباب فقال يبل : هذا هو جاك بيردمور .

ودخل هذا الأخير ، وكان شاحب اللون تدل هيئته على أنه قضى وقتا عصيبا . وضغط على يد يبل وحيى بار ثم قال يخاطب يبل :

ـ هل من جديد ؟ .

ثم تحول الى بار وسأله : انك كنت فى الفيللا امس ... فهل اكتشفت شيئا ؟ .

ـ لا شىء يستحق الذكر ..

ـ اننى اقبلت الى المدينة لزيارة مستر فروايانت . ويجب أن أقول اننى وجدته محطم الأعصاب وفى حالة يرثى لها .

ولم يذكر لهما استياءه لعدم مقابلته لتاليا دراموند ، ولكن بار لم يكن فى حاجة الى ذلك اذ كان يعرف شعور الشاب نحو الفتاة .

واطلعه يبل على أمر البحار الذى تم القبض عليه .. ثم أردف يقول :

ـ ولكنى لا اعلق اية اهمية على أمر هذا البحار ، فاننا اذا فرضنا جدلا أنه هو الذى قتل والدك فهو قطعا لا يعدو أن يكون وسيطا وآلة تعمل لحساب الدائرة الحمراء نفسه . وسوف يذكر لنا من غير شك نفس القصة التى ذكرها لنا غيره وهو انه كان فى حاجة ماسة الى المال عندما التقى به مجهول واغراه بمبلغ كبير ليقتل والدك . وهكذا ترى أننا بعيدون كل البعد عن الحل .

وخرج الرجال الثلاثة معا . وقبل أن يذهب جاك الى الوكيل الذى يهتم بأمر التركة رافق بار ويبل الى المحطة حيث كان فى نيتهما أن يستقلا القطار الى المدينة الصغيرة التى تم فيها القبض على البحار القاتل . وكانوا يسيرون فى شارع مزدحم كثير الحركة عندما صاح جاك فجأة ، فقد خرجت فتاة من محل للرهونات يقع فى الصف المقابل ما كاد يراها حتى ندت عن شفتيه هذه الصيحة .

وصاح بار بدوره : آه ... اننى لم أر هذه الفتاة منذ سنتين ! .

فاتسعت عينا جاك دهشة وقال : منذ اكثر من سنتين ... هل تقصد هذه الفتاة الواقفة على الافريز ؟ .

فقاطعه بار فى صوت هادىء : أجل ... انها تاليا دراموند ... انها لصة ... وتعمل مع عصابة خطيرة من اللصوص .

الفصل السابع

التمثال المسروق

وقف جاك بيردمور لا يتكلم ولا يريم كالمصعوق عند سماعه هـذه الكلمات . اما الفتاة فقد استوقفت سيارة اجرة لم تلبث ان انطلقت بها من غير ان تدرى ان هناك من يراقبها .

وعاد جاك يقول فى لهجة آلية : تعمل مع عصابة من اللصوص !! .

وهتف عندما رأى المفتش يهم باجتياز الشارع : ولكن اين يذهب ؟ .

فأجابه بار : اريد ان اعرف ما الذى كانت تفعله فى محل الرهونات.

ــ لا ريب انها رهنت شيئا لحاجتها الى بعض المال ...

ولكن جاك احس بضعف دفاعه ... تاليـــــا دراموند ، ربيبة اللصوص والمجرمين ! .. هذا غير معقول ... غير ممكن اطلاقا .

ومع ذلك فقد أسرع خلف المفتش واصغى الى الحديث الذى دار بينه وبين صاحب المحل وهو فى شبه ذهول . وامر صاحب المحل أحد موظفيه باحضار الشيء الذى رهنته الفتاة ، وكان تمثالا صغيرا من الذهب لوجه بوذا وقال عندما اطلعه بار على شخصيته :

ــ والغريب انها لم تطلب غير عشرة جنيهات مع انه يساوى اكثر من مائة .

فسأله بيل وكان قد لزم الصمت : هل ذكرت لك شيئا ما ؟ .

ــ لم تزد عن انها فى حاجة الى المال وانها لا تريد مبلغا كبيرا حتى تتمكن من استرداده بسهولة .

ــ وهل تركت لك عنوانها ؟ .. او ذكرت لك اسمها ؟ ..

تدخل الكاتب الذى قام بخدمة الفتاة عندئذ وقال :

ــ قالت ان اسمها تاليا دراموند وانها تقيم فى رقم ٢٩ بشارع بارك جيت .

فصاح بيل : ولكن ... هذا هو عنوان فروايانت ...

وكان جاك يعلم ان هذا هو عنوان مستر هارفى فروايانت وتذكر وفى حلقه غصة ان هوية فروايانت هى جمع التحف الشرقية .

وأعطى بار لصاحب المحل ايصالا بالتمثال ثم دس التمثال فى جيبه

وهو يقول : سنذهب فورا الى مستر فروايانت .
وتدخل جاك فقال فى يأس : لندع هذه الفتاة وشأنها بحق السماء ... لعلها وقعت فريسة الاغراء مفاجىء ... اذا كان فى الامكان اصلاح الأمر بالمال فانى على استعداد ...
أصغى يبل الى الشاب فى عطف وسأله : هل تعرف الآنسة دراموند ؟ .
أومأ جاك بالايجاب اذ أقعده الحزن عن الكلام وأحس برغبة غريبة تدفعه الى الفرار والاختفاء فى اى مكان . وقال بار فى لهجة العزم :
ـ هذا مستحيل .. اننى من رجال البوليس الرسميين وواجبى يحتم على أن أسأل مستر فروايانت اذا كانت الفتاة قد رهنت هذا التمثال بناء على أمره .
فقال جاك فى حدة : اذن اذهب بمفردك .
ذلك أن قلبه لم يطاوعه على ان يحضر اذلال الفتاة المسكينة ولعن بار ورماه بالقسوة والغلظة لمسلكه هذا . وتمتم يقول مخاطب يبل بعد أن انصرف المفتش : لا يمكن أن تكون هذه الفتاة قد أقدمت على مثل هذه السرقة التافهة ... ليتنى ما نبهته اليها .
فأجابه البوليس السرى وهو يربت بيده على كتفه : لقد لمحها هو قبل أن تنبهه اليها .
ثم اردف يقول : جاك ... لماذا كل هذا الانفعال ؟ ... ولماذا كل هذا الاهتمام بمس دراموند ؟ ... اوه ... لا ريب اذن انك التقيت بهذه الفتاة مرارا وانت فى البيت فان أملاك فروايانت متاخمة لأملاكك ... آه . لو أن بار أبدى مثل هذا الاصرار الذى اظهره اليوم فى تعقب الدائرة الحمراء لبقى أبى المسكين على قيد الحياة حتى اليوم ! .
بذل دريك يبل كل ما وسعه لتهدئة الشاب واصطحبه معه الى مكتبه . وحاول أن يسرى عنه بقصص مسلية ، ولكن لم تمض ربع ساعة حتى دق جرس التليفون ، وكان المتحدث هو المفتش بار وسأله يبل قائلا : حسنا ؟ .
فأجابه المفتش فى ايجاز : اننى القيت القبض على تاليا دراموند وستقدم غدا للمحاكمة .
أعاد يبل السماعة وقد بدا الحزن على ملامحه . وسأله الشاب فى لهفة : هل ألقى القبض عليها ؟ .
أومأ يبل بالايجاب ثم قال : هأنت ترى انك انت الآخر كنت ضحية لها .. شأنه فى ذلك شأن فروايانت .. فان الفتاة لصة .
فصاح جاك : ليكن ... سواء كانت لصة أو قاتلة فاننى أحبها .

الفصل الثامن

التهمة

لم تستمر المقابلة بين مستر بار وهارفى فروايانت غير فترة وجيزة، فما كان فروايانت يرى المفتش ، وكان قد تعرف به اثناء التحقيق فى مقتل جيمس بيردمور حتى تملكه الانفعال وصاح :

ـ حسنا ... حسنا ... ما الخبر ؟ .. هل ارتكب هؤلاء السفاكون جريمة جديدة ؟ .

فأجابه بار : كلا .. انما اتيت وراء بعض المعلومات . متى التحقت تاليا دراموند بخدمتك ؟ .

ـ منذ ثلاثة شهور .. لماذا ؟ .

ـ كم تدفع لها ؟ ..

ذكر مستر فروايانت مبلغا ضئيلا جدا بحيث راى من الحكمة أن يبرر ذلك فأردف يقول : أننى أقدم لها الطعام ثم ان لها حرية قضاء السهرة فى الخارج .

ـ هل تعرف اذا كانت تعانى ازمة مالية فى الوقت الحاضر ؟ .

فقال مستر فروايانت : ماذا تقول ؟ .. نعم ، فقد طلبت منى أمس أن انقدها خمسة جنيهات سلفة لأنهـا فى حاجة الى ان تدفع دفعة عاجلة وقد رفضت طبعا لأننى لا أوافق أبدا على تقـديم مبالغ مالية عن عمل لم يتم بعد لأن ذلك لا يحل المتاعب والمشاكل .

ـ اظنك يامستر فروايانت تملك تحفا كثيرة قديمة فهل اختفى منها شىء فى الأيام الأخيرة ؟ .

هب فروايانت واقفا كالملسوع ، فان مجرد فكرة ضياع شىء منه افزعه كل الفزع . ومن غير أن ينطق بكلمة غادر الصالون مسرعا وعاد بعد ثلاث دقائق وهو محتقن الوجه بارز العينين وصاح :

ـ تمثال بوذا ! ... انه يساوى مائة جنيه .. كان لا يزال موجودا حتى صباح اليوم ! ..

فقال المفتش : ارجو استدعاء مس دراموند ..

اقبلت تاليا وهى متمالكة الأعصاب ويداها معقودتان خلف ظهرها

والقت على المفتش نظرة عابرة .
وكان الاستجواب قصيرا شــــاقا بالنسبة لمستر فروايانت ، فان الفتاة بدت كأنها لم تتأثر قط ومع ذلك فقد كان في مقدورها أن تدرك من ملامح فروايانت ان سرقتها قد اكتشفت . ونظر فروايانت اليهــا لحظة والنطق لا يسعفه . واخيرا تمتم يقول فى كلمات متقطعة وهو يهز يده لفرط غضبه :
ـ انت .. انت تسرقيننى ! .. انت .. انت .. ايتها اللصة ! .
واجابته سكرتيرته فى برود : لقد طلبت منك سلفة . ولولا بخلك الشديد لأعطيتنى اياها .
وعاد فروايانت يقول وقد استبد به الحنق :
ـ انت ... أيتها اللصة !
ثم تمالك وتحول الى بار وصاح : اننى اتهمها ايها المفتش ... اتهمها بالسرقة .. ستذهبين الى السجن يا صغيرتى ... نعم ، الى السجن . آه ، مهلا ايها المفتش .. سأرى أولا ان كانت قد سرقت شيئا آخر .
فقالت تاليا فى برود : وفر على نفسك هذه المشقة ... فأنا لم آخذ غير تمثال بوذا ، وهو تمثال قبيح المنظر على كل حال .
فصاح العجوز : اعطينى .. اعيدى الى مفاتيحى ! .. وانا الذى كنت من الغفلة بحيث صرحت لك ان تفضى رسائلى ! ..
فقالت الفتاة فى صوت يقطر سخرية : فضضت رسالة لن يسرك مرآها يا مستر فروايانت .
وناولته رسالة أخذها هذا الأخير فى لهفة وحملق بعينين واسعتين فى رسم الدائرة الحمراء ، ولكن الكلمات التى بداخلها تراقصت أمام بصره . ووقعت الرسالة منه وهو يتهالك فوق مقعده .

الفصل التاسع

تاليا فى المحكمة

كان القاضي رجلا طيب القلب ، وقد بدا عليه الضيق وراح يردد البصر فى ارتباك ظاهر بين المفتش بار الصارم النظرات والذى يقف فوق منصة الشهود وبين الفتاة الواقفة فى قفص الاتهام ... كان يبدو عليها البرود وعدم الاكتراث . وكان وجهها من تلك الوجوه التى لا تثير الاهتمام فى الظروف العادية ولكنها بدت فى ذلك القفص فى أوج الفتنة والجمال .

نظر القاضي الى ورقة الاتهام التى أمامه . كان مدونا فيها انها تعمل سكرتيرة وأنها فى الرابعة والعشرين . ولم يسع ذلك الرجل الذى حجرت حوادث الأيام قلبه الا ان يهز راسه فى أسى وهو يقول :

ـ هل لهذه المراة سوابق ؟ ..

واحس بالضيق وهو ينطق بكلمة « المرأة » فقد كانت المتهمة الماثلة أمامه تبدو فتاة غريرة اكثر منها امراة .

واجابه ممثل النيابة قائلا : كلا يا سيدى الرئيس ... كانت تحت المراقبة منذ مدة طويلة ، وهذه أول مرة تقع فيهـا تحت طائلة القانون .

نظر القاضي الى الفتاة من خلال نظاراته ثم قال فى رقة :

ـ لا استطيع ان افهم كيف أقحمت نفسك فى هذا الموقف الشنيع ، فأنت كما يبدو من مظهرك أصبت تربية لا بأس بها ... ولكنك مع ذلك أقدمت على سرقة جنيهات قلائل مع أن الشيء المسروق يساوى مبلغا اكبر ... ولا ريب أن الذى دفعك الى السرقة اغراء قوى ان لم تكن قد دفعتك الى ذلك حاجة ملحة الى النقود ، ومهما يكن فان ذلك لا يبرر الجرم الذى أقدمت عليه .. ولكنى نظرا الى ماضيك الأبيض وحداثة سنك فانى اتجاوز عن هذه التهمة الأولى وأطلق سراحك راجيا ان يكون فى هذا الدرس عبرة لك .

وانحنت الفتاة فى ازدراء وبرود وغادرت قفص الاتهام . ونودى على القضية التالية ..

ونهض هارفي في نفس الوقت ومضى خارج المحكمة . كان رجلا غنيا ، وكان المال بالنسبة له هو غاية الحياة ومنتهاها . كان مثال الرجل الجشع الذى يفرغ جيوبه كل ليلة ويحصى ما فيها قبل أن يأوى الى فراشه ويلقى بأمه فى السجن اذا ما أقدمت على سرقته . وقد زاد حقده على تاليا دراموند لا لشيء الا لأنها سلمته انذار الدائرة الحمراء الذى اصابه بصدمة لم يفق منها بعد . وكان بار قد تبعه خارج المحكمة ، فالتفت اليه وقال له معبرا عن الخيبة التى اصابته بعدم صدور حكم على الفتاة :

— ان مثل هذه المرأة خطر كبير على المجتمع . وما أدرانى انها ليست مشتركة مع هذه العصابة التى جاءت تهددنى الآن بعد أن تخلصت من كثيرين غيرى ؟ .. انهم يطالبوننى بأربعين ألف جنيه .. أربعين ألف جنيه ...

وتهدج صوته وهو ينطق بهذه الكلمات الأخيرة ثم استطرد يقول فى توسل :

— ان من واجبك يا مستر بار ان تقوم بحمايتى .. هل تفهم .. ان ذلك من واجبك .

فأجابه المفتش : اننى سمعتك .. اما فيما يتعلق بتلك الفتاة فاننى لا أظن انها سمعت عن الدائرة الحمراء قبل اليوم فهى صغيرة جدا ..

فصاح فروايانت : صغيرة السن .. ولكنها بلغت السن التى يجب فيه مجازاتها على كل شيء .. لو أننا جازينا الشباب كما يجب أن نفعل لغدا المجتمع كله من القوم المحترمين .

فأجابه المفتش وهو يتنهد : انك على حق يا سيدى .

وأردف يقول بغير مناسبة : ان الأولاد عبء ثقيل جدا ! .

وتمتم فروايانت ببضع كلمات غير واضحة ، وبعد أن أومأ برأسه مودعا غادر المحكمة واستقل سيارته ، وكانت تنتظره بالخارج .

وتابعه المفتش بار والسيارة تبتعد به وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة . وفجأة رأى بيردمور الشاب واقفا ينتظر بجوار باب السجن الملحق بالمحكمة فسار اليه وخاطبه قائلا :

— صباح الخير يا مستر بيردمور .. هل تنتظر خروج الفتاة ؟ .

— نعم .. هل تطول الاجراءات الخاصة باطلاق سراحها ؟ .

فأجابه بار فى رقة : سوف تخرج بعد قليل .

حدق مستر بار فى الشاب دون أن تنم عينيه عما يعتمل فى صدره ثم قال :

ـ اذا سمحت لى بكلمة خاصة يا مستر بيردمور نقلت لك انك تبدى اهتماما كبيرا بتاليا دراموند وليس فى هذا اى خير لك .

فقال جاك فى هدوء : ماذا تقصد ؟ .. ان هذه القصة كلها مدبرة .. لا ريب أن هذا الحيوان الفظ فروايانت ...

فقاطعه المفتش قائلا فى برود : كلا ... كلا ... ان الآنسة دراموند اعترفت صراحة بأنها هى التى سرقت التمثال .. وفوق ذلك فقد رأيناها وهى خارجة من محل الرهونات ... ليس هناك أى شك فى ذلك .

فقال جاك فى حدة : انما اعترفت مدفوعة بدافع لا يعرفه أحد غيرها .. هل تعتقد أن فتاة مثلها تقدم على السرقة ؟ ولأى سبب ؟ .. كان فى مقدورى أن أمنحها كل ما تطلب .

وامسك فجأة ثم استطرد : كلا ... كلا ... هنا سر فى هذه المسألة ... سر خاف على كما خفى عليك انت ايضا .

وفتح الباب فى هذه اللحظة وظهرت الفتاة التى يتحدث عنها الرجلان . وتوقفت عندما رأت جاك واصطبغ وجهها بحمرة خفيفة وسألته قائلا : هل كنت فى قاعة المحكمة ؟ .

ولما أومأ بالايجاب قالت فى حدة : ما كان ينبغى لك أن تحضر ؟ .. كيف علمت .. ؟ ومن الذى انبأك .. ؟ .

وتجاهلت وجود المفتش بار كلية ، وبدا عليها الانفعال لأول مرة منذ القى القبض عليها ، وقالت فى صوت مضطرب :

ـ يؤسفنى أنك عرفت ... بهذا الحادث ... وانه ليحز فى قلبى انك حضرت المحاكمة .

وصاح الشاب فى انفعال : ولكن كل هذا كذب وبهتان ، أليس كذلك يا تاليا .. انها مؤامرة ، أليس كذلك ؟ .. مؤامرة مقصود بها ضياعك .

وكان صوته ينبىء عن حبه وعما يعتمل فى قلبه من أمل ، ولكن الآنسة دراموند هزت رأسها وقالت فى صوت هادىء رزين :

ـ ليست هناك اى مؤامرة ... لقد سرقت التمثال حقا .

فقال فى يأس : ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟ ..

فأجابته وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة :

ـ اخشى اننى لن استطيع أن اذكر لك السبب ... لقد كنت فى حاجة الى المال ... واظن أن هذا سببا كافيا .

فصاح جاك وهو ينظر اليها مليا : اننى لا أصدقك ... لن أصدقك

فى هذه المسألة ، فانت لست من هؤلاء الذين يقعون فريسة سهلة للاغراء ... اننى اشعر بذلك .

نظرت تاليا اليه نظرة طويلة من غير ان تنطق ، ثم تحولت إلى مستر بار وقالت :

ــ قد يروق لك أن توضح الحقيقة لمستر بيردمور ... اما انا فلا .

وقال جاك عندما رآها تهم بالمسير : اين تذهبين ؟ .

ــ الى بيتى طبعا ... أرجو الا ترافقنى يا مستر بيردمور .

ــ وهل لك بيت ؟ .

فقالت وقد بدأ صبرها ينفذ : ما زالت لى غرفة مفروشة .

ــ اذن فسوف اصحبك .

ولم تمانع .. وسارا معا . ولم ينطق أحدهما بكلمة حتى بلغا محطة المترو . وهناك قالت : والآن ، دعنى أعود الى مسكنى .

فعاد الشاب يقول : ماذا ستفعلين ؟ .. وكيف تستطيعين كسب قوتك وخلفك هذا الشىء الفظيع ؟ .

فقالت فى برود : أهو من الفظاعة الى هذا الحد ؟ .

وكانت تهم بهبوط الدرجات المؤدية الى محطة المترو فأمسكها جاك من ذراعها فى قوة وقال :

ــ اصغى الى يا تاليا .. اننى احبك وأريد الزواج بك ... اننى لم ابح لك بحبى من قبل ولكنى واثق انك حدست ذلك . لن أسمح لك بالخروج من حياتى ، هل تفهمينى ؟ .. اننى واثق انك لم تسرقى شيئا وثوقى من اننى أنا نفسى لم اسرق شيئا .

فتخلصت منه فى هدوء وقالت فى صوت خافت :

ــ مستر بيردمور .. هذا كرم كبير منك ولكنه جنون . تقول انك لن تسمح لى ... ولكن دعنى أقول لك اننى أنا لن أسمح لك بأن تحطم حياتك بسبب نزوة طارئة تحس بها نحو سارقة ... انك لا تعرف عنى شيئا . لقد التقيت بى فى الريف واستظرفتنى ، وهذا هو كل شىء ... من واجبى ان أكون لك بمثابة الأم الرؤوم .

ولمع فى عينيها بريق خبيث وهى تنطق بهذه الكلمات الأخيرة ، وبسطت يدها اليه قائلة :

ــ وبما نلتقى مرة اخرى ، وسوف ترى عندئذ أن كل السحر الذى تضفيه على الآن قد تبخر .. الى الملتقى .

وما انتهت من قولها هذا حتى هبطت الدرجات مسرعة ، وعندما افاق جاك الى نفسه كانت قد اختفت منذ وقت طويل .

الفصل العاشر

نداء الدائرة الحمراء

عادت تاليا دراموند الى الغرفة المفروشة التى كانت تقيم فيهـــا بشارع لكسنجتون قبل أن تلتحق بالعمل عند مستر فروايانت والتى ظلت محتفظة بها حتى ذلك الوقت . وممـــا لا ريب فيه أن سمعتها السيئة قد سبقتها الى هناك لأن صاحبة البيت استقبلتها فى برود . ولولا أنها كانت قد دفعت الأجرة مقدما حتى آخر الأسبوع لما سمحت لها بالدخول .

واستغرقتها الأفكار ... وكان لديها منها الكثير ... جاك بيردمور ... واحست بالهوان والكبرياء فى الوقت ذاته ولكنها حاولت أن تطرد من ذهنها صورة ذلك الشاب الذى ملأت حياته بأسا .. هارفى فروايانت ... احست براحة كبيرة عنـــدما فكرت فى ذلك العجوز واحست بأنها تكرهه أشد الكراهية فان الفترة التى قضتها فى خدمته كانت أتعس فترة فى حياتها كلهـــا ، فقد كانت تتناول وجباتها مع الخدم ، وأكثر من ذلك ، كان العجوز البخيل يعد عليهم كل كسرة من الخبز مع انه صاحب ثروة كبيرة تتجاوز المليون بكثير .

وقالت تحدث نفسها وهى تبتسم : اننى أعتبر نفسى سعيدة اذ لم يفكر فى مغازلتى .

ابتسمت تاليا دراموند لهذه الذكريات ثم غيرت ثوبها وخرجت .

واستقلت الأتوبيس غير عالمة بمـــا يخبئه لهـــا القدر وقصدت جريدة كبيرة ، وهناك أخذت صيغة اعلان كتبت فيه هذه الكلمات :

« سكرتيرة »

« فتـــاة عائدة من المستعمرات تبحث عن وظيفة ســـــكرتيرة تجيد الاختزال والآلة الـــــكاتبة . تطلب مرتبـــا معقولا »

وناولت الاعلان للموظف المختص ونقدته المبلغ المطلوب ثم خرجت .. وعادت الى غرفتها فى وقت تناول الشـــاى . واحضرت لهـــا صاحبة البيت الشاى بنفسها وقالت لها :

ـ أريد أن أقول لك بضع كلمات يا مس دراموند .

فقالت الفتاة فى برود : وما الذى يمنعك ؟ .. تكلمى .
ــ اننى فى حاجة الى غرفتك .. فى الاسبوع المقبل .
ــ هل معنى هذا إنك تطردينني ؟ .
ــ طبعا .. فلا ارضى ان تقيم فى بيتى فتاة من طرازك .
فقالت تاليا فى برود : انا فتاة شريفة محترمة. ولا يهمنى كل ماتقولين:
ولكن المرأة الضخمة لم تشعر بأى ارتباك واستطردت تقول :
ــ سوف يكون هذا صعبا خاصة وانك خارجة لتوك من السجن لعلك كنت تحسبين اننى لن اعرف.. ولكن الجرائد ذكرت قصتك.
ــ حسنا ، سوف أغادر بيتك فى الاسبوع المقبل .
ــ أريد أن أقول لك كذلك ...
فقاطعتها الفتاة وهي تدفعها الى الخارج دفعا : قولى ما تشائين ، ولكن وانت فى الطرقة ! .
وهبط الليل . وأضاءت تاليا دراموند المصباح . وقضت الليلة في تقليم أظافرها . ولم تكن قد أتمت عملها عندما جاء البريد فى الساعة التاسعة وسمعت وقع اقــدام صاحبة البيت وهى تصعد السلم ثم سمعتها تطرق بابها وتقول : رسالة لك ..
فتحت تاليا الباب وأخذت الرسالة من بين اصابع صاحبة البيت التى قالت : من الأوفق أن تبلغى اصدقاءك الا يكتبوا اليك هنا .
فأجابتها الفتاة فى هدوء : لم أخبر أحدا اننى أقيم فى هذا البيت البغيض .
وصفقت الباب فى وجهها قبل أن تتمكن من النطق بكلمة .
وابتسمت تاليا ابتسامة غامضة وهى تتأمل الخطاب . كان العنوان مكتوبا بحروف المطبعة . ونظرت الى خاتم البريد قبل أن تفضه ، وفضته اخيرا واخرجت منه بطـــاقة كبيرة مربعة الشكل . وتغيرت ملامحها على الفور عندما رأت الدائرة الحمراء الكبيرة التى تتوسط البطاقة وبداخلها هذه الكلمات .
« نحن فى حاجة اليك . اركبى السيارة التى ستجدينها فى انتظارك فى الساعة العـاشرة من مساء غـد فى ميدان ستين »
وألقت البطاقة على المنضدة وراحت تنظر اليها .
الدائرة الحمراء فى حاجة اليها .
كانت تتوقع هذا النداء ، وان كان قد جاءها قبل الموعـد الذى كانت تتوقع .

الفصل الحادى عشر

الاعتراف

فى الساعة العاشرة الا ثلاث دقائق من مساء اليوم التالى اقبلت سيارة مقفلة ووقفت عند ملتقى ميدان ستين بشارع كلارجس . وبعد بضع لحظات خرجت تاليا من الظلام ، وكانت ترتدى معطفا طويلا أسود اللون وقبعة صـــــفيرة . وفتحت باب السيارة بدون اى تردد وصعدت بالداخل . وكان الميدان مظلما فلم تتبين ملامح السائق ولم يحرك هذا راسه ولم ينطلق بالسيارة وان كان قد ترك الموتور دائرا .

وبادرها السائق قائلا : انك حوكمت امس امام المحكمة الابتدائية لأنك سرقت تمثالا من الذهب . وقد نشرت أمس اعلانا تقولين فيه انك قادمة من المستعمرات وانك تبحثين عن وظيفة سكرتيرة واظنك تنشدين هذه الوظيفة حتى يتسنى لك ممارسة هوايتك ،واعنىبهاجمعالتحف.

فقالت تاليا بدون اى انفعال : هذا مهم جدا ... ولكنى لا اعتقد أنك استدعيتنى لكى تسرد على تاريخ حياتى .. عندما جاءتنى رسالتك ظننت انني قد انفعك .. ولكنى أريد ان القى عليك سؤالا أولا .

ـــ لن اجيب عليه الا اذا أردت ..

فقالت وهى تبتسم ابتسامة خفيفة ضاعت فى الظلام :

ـــ هذا مفهوم ... ما الذى كان يقع لو اننى أطلعت رجال البوليس على أمرك أو لو ان المستر بار أو مستر يل الذى على مقربة ؟ .

فقال الرجل فى هدوء : لو أن شيئا من هذا حدث لكنت جثة هامدة فوق الافريز منذ وقت طويل . ولكن كفى مزاحا يا آنسة دراموند . اننى جئت أعرض عليك طريقة سهلة مريحة لربح أموال كثيرة ، وسواء لدى استمررت فى جمع التحف الأثرية أو انقطعت عنها ، فان مهمتك الرئيسية هى أن تحرصى على خدمتى ... مفهوم ؟ .

أومأت تاليا بالايجاب ، ولـكنها لم تلبث ان أدركت أن محدثهـــا لا يمكن ان يراها فأجاب فى صوت مسموع : نعم ..

ـــ سوف أجزل لك العطاء اذا خدمتنى فى اخلاص . اما اذا فكرت فى خيانتى أو الفدر بى فسوف يكون عقابى شديدا .. على أننى

سوف اراقبك دائما .. مفهوم ! .
فاجابت : تماما ..
واستطرد السائق : سوف يكون عملك سهلا جدا ... اذهبى غدا الى مصرف برابازون فهو فى حاجة الى سكرتيرة .
فقاطعته متسائلة : ولكن ، هل يقبل أن يلحقنى بهذه الوظيفة ؟ ..
فأجابها الرجل : نعم ولا تقاطعينى . سأمنحك مائتى جنيه .. وها هى ذى .
والقى من فوق كتفه بورقتين ماليتين . وبينما كانت تأخذهما مست كتفه صدفة فأحست بشىء صلب تحت ثيابه وقالت تحدث نفسها « درع واق من الرصاص » .
وبعد بضع دقائق كانت تاليا دراموند تستقبل سيارة اجرة تعود بها الى شارع لكسنجتون .. وكانت تتبعها سيارة اجرة اخرى تبطىء اذا أبطأت سيارتها وتسرع اذا أسرعت ولكنها لم تتجاوزها أبدا ولكنها وقفت اخيرا عندما هبطت تاليا فى آخر الشارع الذى تقيم فيه . هل ارتابت فى أن احدا كان يتبعها ، وهل كانت تشك فى ان المفتش بار كان على بعد عشرة امتار منها وهى تفتح باب مسكنها ؟ مهما يكن ، اذا كان قد داخلها اى شك فلم يظهر عليها ما يدل على ذلك .
وسار بار الى الافريز المقابل .. وظل واقفا حتى رأى النور ينبعث من غرفة الفتاة ، وعندئذ عاد الى سيارته . واذ كان يفتح الباب مر به رجل مسرع عرفه على الفور فناداه قائلا : فلاش ! .
والتفت الرجل اليه .. كان قصير القـــامة أسمر اللون بادى النشاط . وعندما عرف رئيس ادارة الأمن تصنع الدهشة وقال :
ـ مستر بار ! ما كنت أتوقع ان اراك فى مثل هذا الحى الهادىء .
ـ اريد أن أقول لك كلمة يا فلاش فتعال معى .
فقال فى انزعاج : هل هناك ما تؤاخذنى عليه يا مستر بار ؟ .
ـ أبدا يا صديقى .. انك استقمت الآن وارى أنك عند الوعد الذى قطعته على نفسك عند خروجك من السجن آخر مرة .
ـ تماما ياســيدى المفتش .. اننى أعيش عيشة شريفة الآن ، واكسب قوتى بعرق جبينى ، وسوف أتزوج .
تظاهر بار بالدهشة وقال : صحيح ! .. لماذا لم تقل لى ذلك . ومن هى تلك السعيدة التى ستتزوجها ؟ .. أهى بيللا أم ميللى ؟ .
ـ بل ميللى ... فقد استقامت هى الأخرى ... وهى تشتغل ..
فقاطعه بار قائلا : فى مصرف برابازون .. اعرف ذلك .

وعاد فلاش يقول في توكيد : انهـــا استقامت ولن تمد يدها الى سيجارة ولو كان فيها نجاتها من موت محقق .. لا تشك فيها يا مستر بار فهي ملاك .. وانا وهي قد أصبحنا من القوم الشرفاء .

فابتسم بار ابتسامة باردة وقال : يسرني أنني رأيتك يا فلاش .

ولكن كان واضحا ان هذا الأخير لا يشاركه شعوره . وعاد بار يقول لنفسه : اذن فالأمر كذلك .

ولكنه لم يذكر ما هو ذلك الأمر ... لم يذكر ذلك حتى لييل الذى التقى به فى النادى بعد نصف ســـاعة ، بل ان الشيء الذى يدعو الى الاستغراب حقا هو أن بار لم يشر طوال الحديث الذى دار بينه وبين ييل بخصوص الدائرة الحمراء الى المقابلة التى تمت بين تاليا دراموند وبين الرجل الغريب على الرغم من أنه لم يحضرها وان كان قد حدس ما دار فيها .

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى انتقل المفتش بار ومعه ييل الى المدينة الصغيرة التى سجن فيها امبروز سيبلى البحـــار السابق المتهم بقتل مستر بيردمور الأب .

ولم يكن سيبلى مستعدا للاعتراف فى بادىء الأمر ، ولكن طريقة ييل الحاذقة التى استعملها فى اســـتجوابه تغلبت على سلطة بار فاعترف أخيرا بجريمته ومضى يقول : اجل .. انا الذى قتلته ..

واستطرد يقول بينما كان كاتب الاختزال يدون أقواله :

ــ لولا حبى المفرط للخمر لما القيتم القبض على . وما دمت قد بدأت الاعتراف فسوف أذكر لكم كل شيء يا سادة . لقد قتلت أيضا هارى هوبز . نائب الربان على الباخرة أوريتانجا ، وكنت أعمـــل معه على نفس الباخرة فى سنة ١٩١٢ . ولا يمكن أن يشنقونى غير مرة واحدة ... انني القيت بجثته فى عرض البحـــر بسبب امرأة تعرفنا بها فى نيوبورت نيوز بأمريكا . وعندما رست المركب شطبوا اسمى من سجل البحارة وآمرتنى الجمعية الخيرية للبحـــارة بعضا من الوقت ولكنهم طردونى ذات ليلة لأنى كنت ثملا . وفى الشارع اقتادنى أحد رجال الشرطة الى القسم وحكموا على بشهر فلو انهم فعلوا لما كنت هنا الآن .. وبعد أن خرجت من السجن ببضعة أيام كنت أتسكع فى الشوارع واجمع أعقاب السجائر وانا فى حالة لا أتردد ازاءها فى بيع روحى للشيطان .

وفى هذه اللحظـــة رفع بار رأسه فالتقت عيناه بعينى دريك ييل الماكرتين . واستطرد السجين يقول :

ــ ورأيت انه قضى على أن أقضى ليلة أخرى فى العراء عندما سمعت

صوتا يهمس باسمي ويقول : «اصعد!» . ونظرت فاذا بسيارة واقفة بجانب الافريز . وخيل الى اننى اخطأت السمع . ولكن السائق عاد يقول : « اصعد .. اصعد .. يا صاحبى .. إننى اعنيك أنت .. واطعته . وسارت السيارة بنا طويلا من غير أن ينطق السائق . وكان يتجنب السير فى الشوارع الكثيرة الأنوار .

« وبعد مدة توقفت فى ركن مظلم . كان يعلم كل شيء عني ولا يمكن ان تتصوروا مبلغ دهشتي عندما حدثنى عن هارى هوبز الذى برأتنى هيئة المحلفين من موته . بل اكثر من ذلك اطلعنى على كل صغيرة وكبيرة مما حفل به ماضي الزاخر ... وبعد ذلك سألنى ان كنت اريد ان اربح مائة جنيه بسهولة . ولما أجبته بالايجاب قال لى ان فى الريف رجلا عجوزا الحق به ضررا كبيرا وانه يريد منى ان اقتله . وترددت فى بادىء الأمر ولكنه هددنى بأن فى مقدوره أن يقنع رجال القضاء بشنقى بتهمة قتل هارى هوبز ، وأننى اذا أطعته لن اتعرض لأى خطر وأنه سيزودنى بدراجة لكى استعين بها على الفرار ... وهكذا قبلت .

« وفى الأسبوع التالى تم بيننا لقاء آخر فى ميدان ستين ، وهناك زودني بتعليماته الأخيرة فذكر لى أن مستر بيردمور قد اعتاد أن يقوم بنزهة قصيرة صباح كل يوم وأن الفرصة قد تواتينى فى ذلك الوقت ، فرحلت وبلغت الفيللا فى أول الليل وانتظرت فى الغابة طول الليل . ولم تمر بى ساعة حتى مر بى رجل طويل القامة لا ريب أنه أحد الحراس ولكنى لم اره الا من ظهره أما هو فلم يرنى .

« واظن أن هـذا هو كل شيء ... وفى صباح اليوم التالى أقبل الرجل العجوز ناحيتى فأطلقت عليه رصاصة من مسدسى ... ولا اذكر ما حدث بعد ذلك بالتدقيق لاننى قضيت اليوم كله فى الشراب حتى ثملت ... وكل ما أذكره هو أننى ركبت الدراجة . وكان فى مقدورى الاسراع بالهرب بعيدا جدا لولا هذا الويسكى اللعين » .

وكان السجين لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقرا بار عليه اعترافه . وبعد ان ذيله السجين ببصمة من ابهامه سأله بار : أهكذا كل شيء ؟ .

فأجاب البحار : نعم يا سيدى ..

وبعد اربع ساعات أحضر له السجان طعـامه ، وكان نائما . فهزه السجان من ذراعه قائلا : هاك طعامك فقم ! .

ولكن كان مقدرا الا يقوم امبروز سيبلى لأنه كان جثة هامدة .

وفى ابريق المـاء الموجـود فى زنزانته عثروا على كمية من حامض السيانديك تكفى لقتل خمسين رجلا .

الفصل الثاني عشر

الحذاء المذيب

اوصد مستر فيلكس مارل باب مخدعه ثم قام بأغرب عمل اقدم عليه.

ففي أثناء اقامته في السجن منذ خمسة وعشرين عاما كان قد تعلم مهنة الاسكافي ولكن كان عمله في ذلك الوقت لا يزيد عن رتق الأحذية واصلاحها . أما في ذلك اليوم الذي نحن بصدده فقد امسك بمطواة حادة وراح يقطع حذاء مدببا قطعا صغيرة لا يلبث أن يلقي بها في النار .

وهناك رجال يعيشون وهم يشعرون بآلام مبرحة . وكان مستر مارل من هؤلاء الرجال فقد شعر في يوم واحد بعذاب قرن كامل .

كان قد قرأ في الجرائد انهم اكتشفوا آثار حذائه في حديقة مستر بيردمور فتملكته شتى المخاوف . واذا كان لم يحس بنار جهنم بعد فقد كان يحس بحرارة لا تطـــــاق وهو واقف بقميصه يتصبب عرقا امام النيران التي راحت تأكل بقايا حذائه .

واخيرا ، وبعد أن رأى آخر قطعة تتلاشى وتتبخر بين النيران اطبق مطواته ثم غسل يديه وفتح النافذة .

كان يقول لنفسه انه كان من الأوفق ان يتبع خطته الأولى . وراح يلوم نفسه على الجبن الذى دفعه الى ان يأخذ مسدسه معه في ذلك اليوم ، ولكنه لم يعد يخشى شيئا الآن .

وفي مثل هذه الحالات يلعب رد الفعل دورا هاما ، وعليه فلم يكن من الغريب ان ينسى مستر مارل وهو يهبط من مخدعه انه كان معرضا منذ لحظات قلائل الى خطر ما .

صحيح انه كتب تلك الرسالة التي تنطوي على التساهل والخضوع وانه ارسلها الى صاحبها ولكنهم لن يعثروا عليها ... وانتفض ولكنه لم يلبث ان طرح هذه الفكرة عن رأسه .

واحضر اليه خادمه الشاى ووضعه على منضدة صغيرة بجوار المكتب ثم سأله قائلا : هل يمكنك استقبال ذلك الزائر الآن ؟ .

ــ ايه ؟ .. ماذا تقول ؟ .. اى زائر ؟ .

ــ انني اخبرتك منذ لحظات ان هناك سيدا يريد ان يراك .

تذكر مارل أن الخادم طرق بابه فعلا بينما كان يقوم بتقطيع حذائه فسأله : ومن هو ؟ .
ــ انني وضعت بطاقته على المكتب يا سيدي .
ــ الم تذكر له انني مشغول ؟ .
ــ أجل ... ولكنه قال انه سوف ينتظر .
وأتى الخادم بالبطاقة وناولها لسيده ، ولم يكد هذا الأخير يرى الاسم المطبوع عليها حتى هب واقفا على الفور كالملسوع وقال :
ــ المفتش بار ؟ .. ماذا يريد مني ؟ .
ومسح جبينه بيد مضطربة وقال وهو يبذل مجهودا جبارا لكي يتمالك نفسه ويبدو هادئا : دعه يدخل .
لم يكن قد التقى قبل ذلك بالمفتش بار . وعندما رآه خدعه منظره وداخله الاطمئنان . وقال : تفضل يا سيدي المفتش ... انني اعتذر لأنني جعلتك تنتظر ولكني كنت مشغولا جدا .
جلس بار على حافة المقعد الذي أشار مارل اليه ، واعتذر بدوره فقال وهو يضرب ركبته بقبعته : رأيت من الأوفق أن أنتظر لأنني أردت أن أتحدث معك عن مقتل مستر بيردمور .
لم ينطق مارل وركز كل جهده ليمنع شفتيه من الارتعاش ، ولكي يبدو طبيعيا . وعاد باريقول: هل كنت تعرف مستر بيردمور معرفة وثيقة؟.
ــ كلا .. لم تكن معرفة وثيقة بمعنى الكلمة ... لقد تعاقدت معه بضع مرات .
ــ ولكنك التقيت به مرارا ..
تردد مارل .. كان من هؤلاء الرجال الذين تسرع الأكذوبة الى شفاههم دائما . ومع ذلك أجاب بحذر: كلا .. لم ألتق به منذ وقت طويل.
ــ أين كان يقف مستر بيردمور عندما دخلت الفيللا ؟ .
ــ كان واقفا في الشرفة ..
ــ هل رأيته ؟ ..
ــ نعم ..
وقال بار وهو يتظاهر بأنه يتأمل قبعته : قيل لي ان الانفعال قد تملكك فجأة من غير داع .. ويقول مستر جاك بيردمور ، ابن القتيل أنه بدا عليك الجزع الشديد فجأة ، فهل يمكنك أن تذكر لي السبب؟.
هز مارل كتفيه وقال متكلفا الابتسام : ظننت انني ذكرت انه أصابتني نوبة قلبية .. فانني عرضة لها .
راح بار ينظر الى قبعته مليا كما لو كان يفحص قاعها . وقال من

غير ان يرفع عينيه : ألم يكن السبب هو أنك رأيت مستر بيردمور ؟ .
ـ كلا . طبعا .. ولماذا تريد أن أفزع لرؤية مستر بيردمور ؟ لقد التقيت به قبل ذلك مرارا وكنت اعرفه حق المعرفة .
ـ ومع ذلك فقد مضت سنوات طويلة لم تكن قد رأيته فيها ؟ .
ـ هذا صحيح ... ولكن مرة اخرى ..
فقاطعه مستر مارل وهو يرفع عينيه اليه فجأة :
ـ اذن فتلك النوبة القلبية هي وحدها سبب انفعالك ؟ .
ـ طبعا ... على أننى كدت أنسى هذه الحادثة .
فقال المفتش وهو يستغرق من جديد فى تأمل قبعته :
ـ حسنا جدا .. ولكن هناك نقطة اخرى أحب استجلاءها ... وهي ، هل كنت تلبس حذاء مدببا فى ذلك اليوم ؟ .
قطب مارل حاجبيه وقال : ربما ... لا اذكر ..
ـ هل تجولت فى الحديقة ؟ ..
ـ كلا ..
ـ ألم تتقدم بضع خطوات .. ل .. لكى تتأمل المكان ؟ .
ـ ابدا .. لم أبق فى البيت الا بضع دقائق وانصرفت على الفور .
رفع بار عينيه وقال وهو ينظر الى السقف : هل يمكننى ان اطمع فى كرمك فأسالك ان كنت استطيع ان ارى الحذاء الذى كنت تلبسه فى ذلك اليوم .
فأجاب مارل وهو ينهض : طبعا ..
وخرج .. وعاد بعد لحظات ومعه زوج لامع من الأحذية المدببة أخذه المفتش منه وراح يفحصه فحصا دقيقا ثم قال :
ـ حسنا ... انه غير الحذاء الذى كنت تلبسه فى ذلك اليوم ، هذه طبقة من التراب ، وكانت الأرض ندية فى الأسبوع الماضى .
ومر باصبعه على النعل وهو يقول مستطردا : ثم ان الطقس كان رطبا فى ذلك اليوم .
خيل لمارل أن قلبه يوشك ان يتوقف عن الحركة وقال فى حدة :
ـ ومع ذلك فهو نفس الحذاء الذى كنت ألبسه فى ذلك اليوم ، وليس هذا ترابا ولكنه طبقة جافة من الطين .
نظر بار الى اصبعه الذى يعلوه الغبـــار مرة اخرى ثم هز رأسه وقال : لا ريب ان هناك خطأ ما لأننى أرى ترابا حقا .
والقى الحذاء جانبا ثم نهض وهو يقول :
ـ ولكن ليس لهذا أهمية على كل حال .

وبقي واقفا مكانه وهو مطرق الراس مدة طويلة حتى ان مارل داخله شيء من القلق وسأله : هل هناك شيء آخر يا سيدى المفتش ؟ .

ــ أجل .. احب أن أعرف اسم وعنوان الترزى الذى يحيك لك ثيابك ، فهل لك أن تكتبها لى ؟ .

ــ الترزى ؟ .. وما دخله فى قضية بيردمور ؟ ولكن لا بأس ..

وقهقه ضاحكا ثم سار الى مكتبه وكتب اسما وعنوانا وناول الورقة للمفتش بار فأخذها هذا الأخير ودسها فى جيبه من غير ان ينظر اليها قائلا : شكرا جزيلا ..

وسكت هنيهة ثم عاد يقول : آسف لأننى أزعجتك .. ولكنك لا شك تقدر أن كل ما حدث قبيل الجريمة يفيــــد التحقيق فان الدائرة الحمراء ...

فقاطعه مارل صائحا : الدائرة الحمراء ؟ ..

فحدجه المفتش برهة ثم قال : الم تكن تعلم ان عصـــابة الدائرة الحمراء هى المسئولة عن تلك الجريمة ؟ .

وانصافا للحق يجب أن نقول ان مارل لم يكن يعلم ذلك . كان قد قرأ الجرائد طبعا ولكن لما كانت جريدة المونيتور هى الجريدة الوحيدة التى اشارت الى الدائرة الحمراء ، ولما كان مارل لا يقرأ هذه الجريدة بالذات فقد كان على جهل تام بتلك الحقيقة .

وتهالك جالســـا وهو يرتجف وتمتم : الدائرة الحمراء ! ... يا للسماوات ! .. ما كان ذلك ليخطر لى على بال .

فسأله بار فى هدوء : ماذا تقصد ؟ .

وعاد مارل يقول وقد امتقع لونه : الدائرة الحمراء ...

كنت اعتقد أن ... وامسك مرة اخرى ولم يزد ..

وبعد ساعة من انصراف المفتش بار كان فليكس مارل لايزال ممسكا براسه بين يديه وقد بدأ الظلام يخيم على مكتبه .. الدائرة الحمراء !.

كانت هذه هى اول مرة ، منــذ ذلك المـاضى السحيق الذى لا يكاد يذكره حتى يستوى عليه الذعر ... كانت اول مرة يجد نفسه مشتركا فيها ولو بطريقة غير مباشرة بهذه العصابة المخيفة .

وتبلبلت أفكاره ولكنه قال اخيرا : إننى لا أحب ذلك ..

وأضاء النور ثم تمتم : اظن ان هذه هى امثل طريقة .

وقضى الليلة فى مراجعة حساباته . وعندما فرغ تنهد فى ارتيـاح فقد اهتدى الى طريقة تمكنه من الاستفادة من معلوماته .

الفصل الثالث عشر

فليكس مارل مرة أخرى

دهشت تاليا دراموند دهشة كبيرة عندما الحقها برابازون بخدمته فورا دون أن يلقى عليها اسئلة ما ، وادركت أن لرجل السيارة تاثيرا كبيرا عليه . ولكن الأمر الذى اثار دهشتها أكثر من أى شيء آخر هو ان اليوم اخذ يمضى اثر اليوم دون أن تصلها كلمة واحدة من مخدومها الغامض ، وكانت تتوقع ان يلجأ الى خدماتها على الفور تقريبا . ولكن كان قد انقضى نحو شهر قبل أن يصلها منه شيء ، فقد جاءتها رسالة ذات يوم وجدتها على مكتبها ، وكانت رسالة عادية لا تحمل شعار الدائرة الحمراء وهذا نصها :

« عليك بالتعرف بمارل واكتشاف ما يعرفه عن برابازون . اذكرى لي مقدار ثروته فى المصرف واخطرينى بمجرد قفل حسابه . اخبرينى أيضا اذا كان بار ودريك ييل يأتيان الى المصرف . ابرقى بمعلوماتك الى عنوان جونسون بشارع ملدريد رقم ٢٣ »

ونفذت تاليا التعليمات التى صدرت اليها بدقة ، ولكنها لم تر مارل نفسه الا بعد بضعة أيام من ذلك .

ولم يأت دريك ييل الى المصرف الا مرة واحدة . وقد عرفته على الفور اذ سبق أن رأته فى فيللا بيردمور فضلا عن أن الجرائد نشرت صورته بمناسبة تطوعه فى البحث عن الدائرة الحمراء .

ولم تعرف سبب قدومه الى المصرف ولكنها استطاعت ان تسمع الحديث الذى دار بينه وبين واحد من الموظفين ، وذلك من خلال الباب الذى يفصل بين الغرفتين والذى بقى مواربا . وقد اخطرت الدائرة الحمراء بالحديث الذى جرى بين الرجلين .

أما مستر بار فلم يظهر ، وكذلك لم تر جاك بيردمور ، وكان ذلك من حسن الحظ اذ لم تكن تريد أن تفكر فيه .

كان مستر برابازون مدير مصرف سيلر رجلا صارما شديدا ، كانت تلازمه لازمة خاصة اذا ما استولى عليه الانزعاج أو الاضطراب

فيلف خصلة شعر راسه حول سبابته ويرفعها الى أعلا جبهتـــه فتظل يده تبعا لذلك فوق عينه شيئا ما فيبدو كأنه مستغرق فى تأملات فلسفية أو فى صلاة طويلة .

ومع ذلك فقد أبعد يده عن عينه فى المناسبة التى نحن بصددها ليرى الرجل الجالس امامه ... كان ذلك الزائر طويل القامة يتدفق حيوية يبدو كما لو كان رجلا لا يحمل مسئولية عمل ويتمتع بالحياة كما يطيب له .

وقال برابازون فى صوت هادىء رقيق : يا عزيزى مارل ... انك تستنفد صبرى أحيانا ... انك تفرض على ارادتك .

فابتسم الآخر فى سخرية وقال : اننى أقدم لك عروضا مضمونة لاستثمار أموالي يا برابازون ، ولا يمكن أن تنكر ذلك .

ـ بل انك تأتينى بعمليات مستحيلة التنفيذ ومن الجنون أن اهتم بها ... يجب أن تضع حدا لنزواتك هذه ، خاصة وأنك لست فى حاجة الى المزيد فان رصيدك عندى انا فقط يبلغ نحو المائة الف جنيه .

نظر مارل الى الباب واذ رآه محكم الاغلاق انحنى نحو برابازون وقال :

ـ عندى قصة صغيرة احب ان اذكرها لك . قصة موظف بسيط معدم تزوج بأرملة سيلر ، وهى سيدة كان فى الآمكان ان تـكون أما له . وقد ماتت بعد ذلك فى ظروف مفجعة اثر حادث غامض وقع لها فى جبال سويسرا ، فقد انزلقت الى هوة عميقة واننى واثق من ذلك لاننى كنت موجودا فى ذلك المكان حيث كنت التقط صورا لتلك المناظر الرائعة . فهل تحب ان أريك احدى هذه الصور يابرابازون ؟ انك ظاهر فيها فى وضوح تام على الرغم من انك اكدت للقاضى أثناء التحقيق انك كنت فى الناحية الأخرى من الجبل .

لم يرفع برابازون عينيه وبقى جامدا لا ينم وجهه عن اى انفعال . وعاد مارل يقول فى لهجة طبيعية :

ـ ثم انك تزمع الآن الزواج من جديد على ما سمعت .

نظر برابازون اليه فى دهشة وساله : ماذا تعنى ؟ .

ضرب مستر مارل بيده على ركبته وقال فى مرح :

ـ من تكون اذن تلك السيدة التى التقيت بها فى تلك الليلة فى سيارة مقفلة فى ميدان ستين ؟ .. لا داعى للانكار فقد رأيتك بنفسى. كانت سيارة صغيرة جميلة ! .

بدا الانفعال على برابازون عنـــدئذ وشحب لونه وغارت عيناه وتمتم : سأقوم بالمهمة التى طلبتها منى .

هم مارل أن يعبر له عن شكره عندما سمع نقرا خفيفا على الباب وقال برابازون : ادخل ..

واستأثر الشخص الذى دخل بكل اهتمام الزائر . واكتفت تاليا بأن وضعت أمام المدير رسالة تليفونية ثم انسحبت على الفور . وبقى مستر مارل مأخوذا ببشرتها البيضاء وشعرها الذهبى والفتنة الطاغية التى تشع من ملامحها .

وتنهد وقال فى صوت مرتفع بمجرد ان اغلقت الباب خلفها : يا لها من ملـكة ! .. يخيل لى اننى رأيتهـــا فى مكان ما ... ما اسمها ؟ .

فأجابه المالى وهو ينظر اليه فى برود : دراموند ..تاليا دراموند !.

فقال مارل فى بطء : تاليا دراموند ... ألم تكن ســـكرتيرة فروايانت ؟ .. اننى اغبطك عليها يا صاحبى فهى تتمتع بجمـال ساحر .

نظر المالى الى مارل فى حدة وقال : لا يهمنى جمالها فى شىء ، فليس من عادتى مغازلة الفتيات اللاتى يعملن عندى ... انهـــا سكرتيرة دائبة النشاط ، وهذا كل ما يهمنى منها .

نهض مارل وهو يضحك ضحكة خبيثة وقال : سوف أراك غـدا صباحا بخصوص هذه العملية .

فقال برابازون وهو يشيعه حتى الباب : حسنا ... سانتظرك فى منتصف الحادية عشرة ... أو لعلك تريد أن انتظرك فى الحادية عشرة ؟ .

فقال مارل : ليكن ..

وقال برابازون مودعا : طاب يومك ..

ولكنه لم يبسط له يده . وما كاد الزائر يغلق الباب خلفه حتى اسرع برابازون فأوصده بالمفتاح ، ثم مضى الى مكتبه واخذ بطاقة رسم فيها بالحبر الأحمر دائرة حمراء ثم كتب فى وسطها هـذه الـكلمات :

« فليكس مارل شاهد لقاءنا فى ميدان ستين . وهو يقيم فى ميدان ماريسبورج رقم ٧٩ » .

ووضع البطاقة داخل مظروف كتب عليه العنوان التالى :

« مستر جونسون بشارع ملدريد رقم ٢٣ » .

الفصل الرابع عشر

دعوة تاليا

كان لابد لمستر مارل ان يمر بين صفين من الشبابيك بالقاعة الكبرى للمصرف . وفيما هو يفعل راح يبحث عن الوجه الجميل الذى اسر فؤاده . وكانت فى آخر الممر غرفة صغيرة ذات الواح زجاجية محببة تخفى شاغلتها عن الأنظار . وكان الباب مواربا . ولمح مارل منه الفتاة التى كان يبحث عنها فاتجه نحو الباب . وكانت هناك فتاة تضرب على الآلة الكاتبة فنظرت اليه فى فضول .

رفعت تاليا دراموند عينيها عن مكتبها فرات وجها مبتسما ورجلا منحنيا فوقها يسألها قائلا : هل انت مشغولة دائما يا مس دراموند؟.

فأجابته دون ان يبدو عليها اى استياء : نعم .. دائما ..

ــ أظنك لا تروحين عن نفسك أبدا ..

نظرت اليه تقدره وتقيمه فسألها : ما رايك فى دعوة الى تناول العشاء ذات ليلة ثم الذهاب بعدها الى السينما أو المسرح .

نظرت الفتاة الى مارل نظرة فاحصة بداتها من شعر رأسه المصبوغ حتى حذائه البراق ، ثم قالت فى هدوء :

ــ أنت رجل عجوز شرير ... ولكن العشاء وجبتى المفضلة ..

اتسعت ابتسامته وابرقت عيناه ببريق الانتصار وقال :

ــ ما رايك فى مطعم المولان روج ؟ ..

وكان ينتظر منها الموافقة ولكنها لوت شفتيها فى ازدراء وقالت :

ــ ولماذا لا نذهب الى المطعم الشعبى ... اما ان نذهب الى مطعم ريتس والا فلا ...

ترنح مارل ولكنه قال مسرورا : انت اميرة ! .. وسأقدم لك عشاء ملكيا .. ما رأيك فى الليلة ؟ ..

واستطرد يقول عندما اومأت بالايجاب : اذن تعالى خذينى من بيتى فى ميدان ماريسبورج فى منتصف الثامنة . ستجدين اسمى على الباب .

وحسب انها سترفض ولكنها اومأت بالموافقة للمرة الثانية فاردف

في خيلاء : الى الملتقى يا حبيبتى ..
وقبل أطراف أنامله الغليظة فقالت وهى تستأنف عملها : اغلق الباب خلفك .
ولكن قدر لها أن تتوقف عن عملها للمرة الثانية ، وكان الزائر هذه المرة فتاة جميلة تغطى ساعديهـــا بكمين من الجلد البراق . كانت هى الفتاة التى كانت تضرب على الآلة الكاتبة التى نظرت الى مستر مارل فى فضول .
مالت تاليا فى مقعدها الى الخلف بينمـــا أغلقت الزائرة الباب خلفها فى حرص قبل ان تجلس . وسألتها فى غلظة :
ــ حسنا يا ماكروى .. ما الذى يقض مضجعك ؟ .
وبدت الـكلمات بعيـدة عن الانسجام مع جمال الوجه ومع ذلك فلم تكن هذه بأول مرة تنظر منها ميللى ماكروى الى تاليا فى اعجاب .
وسألتها تقول : من العجوز المتصابى ؟ .
فأجابتها تاليا فى هدوء : معجب ! .
فقالت ميللى ماكروى فى شىء من الحسد : كلهم يدورون حولك .
وساد الصمت لحظة قطعته تاليا قائلة : حسنا ... ما اظنك اتيت لكى تحدثينى عن غرامياتى .
فابتسمت ميللى متهربة وقالت : كلا .. طبعا ... انما اتيت لاتحدث معك حديثا صريحا يا دراموند ..
ــ هذا أحسن .. فلا احب الى من الصراحة .
ــ هل تذكرين ذلك المظروف المسجل الذى أرسله البنك الى شركة سلنجر يوم الجمعة الماضى ؟ .
ــ اجل ..
ــ اظنك تعرفين ان الشركة تدعى انها لم تجـد فى المظروف غير أوراق بيضاء ؟ .
فقالت تاليا وهى تنظـر الى زميلتها فى هدوء : حقا ... ان مستر برابازون لم يذكر لى شيئا من ذلك .
ــ انني وضعت الأوراق المالية في المظروف وقمت انت بختمه . وهذه الأوراق لم تمر الا بين يديك أنت يا مس دراموند ، وواحدة منا هى التى اخذت الاوراق المالية واستطيع ان اقسم لك اننى لم آخذها .
فقالت تاليا وهى تبتسم فى براءة وسذاجة : لا يمكن اذن ان يكون قد اخذها احد غيرى .. ولكن هل تعرفين يا ميللى ما تتعرضين له

بتوجيهك مثل هذه التهمة الى فتاة طاهرة مثلى .
وقالت ميللى فى اعجاب : انك جريئة حقا يا صديقتى . سوف نلعب على المكشوف اذن ... منذ شهر تقريبا ، أى بعد قدومك ببضعة ايام ، سرقت ورقة من فئة المائة جنيه من شباك الكمبيو .
وامسكت فقالت تاليا تستحثها على الكلام : حسنا ..
ـ اننى عرفت بعد ذلك انك استبدلتها بأوراق مالية صغيرة وببليبورى فى ستراند .. ويمكننى ان اذكر لك أرقامها اذا اردت .
نظرت تاليا الى الفتاة وقد تقوس حاجباها وصاحت تقول وهى تتظاهر بالذعر : من أرى أمامى .. مخبرة سرية .. يا للسماء ..
فقالت ميللى : انك جريئة حقا يا صديقتى ..
وانحنت الى الأمام والقت يدها على كتف الفتاة واردفت :
ـ ولكنى لا اخفى عليك ان مسالة سيلنجر هذه قد تجر علينا الكثير من المتاعب .. انك فى حاجة الى كل من تعرفين من اصدقاء .
ـ سوف تكونين بحاجة اليهم انت ايضا فأنت التى وضعت الأوراق المالية فى المظروف .
ـ ولكن انت التى اخذتها ... كلا يا تاليا ... لا داعى للشجار فى هذا الموضوع فاننا اذا اتحدنا استطعنا ان نتدبر كلّ شىء ... يمكننى انا ان اقسم انك ختمت المظروف امامى كما يمكنك انت ان تقسمى اننى وضعت المال أمامك .
لمع بريق من الخبث فى عينى تاليا وضحكت فى هدوء ثم قالت وهى تهز كتفيها :
ـ حسنا . ليكن كما تقولين . ولكنى اعتقد انك سوف تطالبيننى بشىء ما مقابل ذلك . لك ان تطمئنى على كل حال بخصوص ذلك المبلغ فانني اخذته لأننى كنت بحاجة كبيرة اليه . اننى احتاج الى المال بصفة مستمرة ، وقد وقعت اخيرا سرقات كثيرة من الرسائل المسجلة . وكان هناك مقال فى الجرائد بخصوص ذلك منذ أيام . والآن ، تكلمى .
حملقت ميللى ماكروى فى الفتاة فى ذهول : انك جريئة حقا .. ولكنى انصحك أن تعدلى عن هذه السرقات التافهة والا فسوف تقوضين مشروعا كبيرا لا يروق لى ان تقوضيه . واذا أردت نصيبا كبيرا من المال فيمكنك الانضمام الى قوم يقومون بضربات كبيرة .
فقالت تاليا : ومن هؤلاء القوم ؟ ..
ـ ان لى معرفة بواحد منهم ، وهو يراقبك منذ اسبوع او

اسبوعين ، وهو يعتقد انك فتاة ذكية وان في مقدورك أن تحصلى على مبالغ كبيرة بدون صعوبة ما . وقد حدثته عن قصتك الأخرى وهو يريد أن يتحدث اليك ؟ .

فقالت تاليا وهى ترفع حاجبيها : امعجب آخر ؟ ..

ولكن ملامح ميللى اربدت وصاحت تقول فى حدة : كلا يا دراموند وارجو أن تفهمى ذلك ، فأنا وهو شبه مخطوبين .

فصاحت تاليا : حاشاى أن أتدخل بين قلبين عاشقين .

ـ كفى مزحا ... ليس للعاطفة شأن فى هذا العمل ... ان الأمر يتعلق بعمل جدى .

وسألتها تاليا وهى تلعب بقاطعة الورق : واذا لم اقبل ان انضم اليكم ؟ ..

ـ فكرى جيدا قبل أن تستقرى على شيء .. تعال معنا لتناول العشاء .

ـ ان الدعوات لتناول العشاء تتقاطر على اليوم .

فقالت ميللى : وهل دعاك هذا الصبى العجوز ... تهنئتى لك .

ولمعت عيناها وبدت كأنها توشك أن تقول شيئا ولكنها أمسكت ثم قالت بعد هنيهة : انت محظوظة .. انه واسع الثراء .. اننى أتخيلك وحول جيدك عقد من الماس .

ولكن تاليا ردته قائلة : اننى أوثر اللؤلؤ ... حسنا يا ماكروى ، سأراك الليلة .

وعادت ميللى تقول : لا تذكرى شيئا عن خطوبتنا لأحد فهى ليست رسمية بعد .

وفى هذه اللحظة ارتفع رنين احد الأجراس فأخذت تاليا مذكرتها قائلة : هذا جرس مستر برابازون ... كلها ، اطمئنى يا ميللى ... لن أذكر شيئا لأحد فاننى أبغض القصص الخيالية .

تابعت مس ماكروى الفتاة وهى تخرج فى شيء من العداء . أما مستر برابازون فما أن رأى تاليا حتى ناولها رسالة مختومة وهو يقول : ارسلى هذه فورا .

نظرت تاليا الى العنـــوان وأومأت برأسها ثم نظرت الى مستر برابازون فى اهتمام جديد .. حقا ان للدائرة الحمراء أعوانا من كل الطبقات وفى كل مكان .

الفصل الخامس عشر

تاليا تلتحق بالعصابة

كانت تاليا دراموند آخر من غادر المصرف . ووقفت امام الباب الخارجي ونظرت ذات اليمين وذات اليسار وهي تلبس قفازها في نفس الوقت . هل لاحظت ذلك الرجل الذي كان يراقبها في الناحية الاخرى من الشارع ؟ .. لا يمكن الجزم بذلك . ولكنها ما كادت ترى ميللي فى انتظارها على بعد خطوات حتى مضت اليها وابتعدتا معا .

وقالت ميللي : انك تأخرت كثيرا يا دراموند . ما كان يجمل بك أن تجعلى صديقي ينتظر فهو لا يحب الانتظار .

فقالت تاليا : سوف يتعود على ذلك ... فانني لا أهتم بالوقت فى لقاءاتي مع الرجال .

وقطعا نحو مائة ياردة فى شارع مزدحم قبل ان ينعطفا الى شارع ريدر . والمطاعم فى شارع ريدر اخذت لنفسها طابع المرح والغرابة التى اشتهرت بها مطاعم باريس . وكان مطعم مولان جرى عبارة عن قاعة صغيرة مستطيلة تقوم على جوانبها المرايا والألواح الذهبية فتكسبها جوا من الفخامة الكاذبة .

وكانت القاعة شاغرة فقد كان باقيا على العشاء ساعتان ، ولم يكن المطعم يقدم الشاي الساعة الخامسة كغيره من المطاعم . وصعدت الفتاتان سلما ضيقا أفضى بهما الى قاعة أخرى للطعام بالطابق الاول كان ينتظر فيها شاب اسمر البشرة لامع الشعر يرتدى ثيابا وان كانت بعيدة عن الاناقة الا انها كانت أقرب الى الأناقة التى يتصورها هو ، وكانت تفوح منه رائحة السعتر وتبدو فى عينيه أمارات الجراة .

وما ان وقع بصره على الفتاتين حتى هب واقفا وصاح :

— صباح الخير يا آنسة دراموند ... تفضلى بالجلوس ... احضر لنا الشاى أيها الساقي .

وقالت ميللي : أقدم لك الآنسة تاليا دراموند .

فقاطعها الشاب فى مرح : لا داعى الى التقديم ... انني سمعت

عنك كثيرا يا آنسة دراموند ... اما انا فاسمي بارنيت .
وقالت تاليا : فلاش بارنيت ، على وجه التحديد .
ارتسمت امارات الدهشة وعدم الارتياح على وجه الشاب وقال:
ـ اذن فأنت قد سمعت عني ؟ ..
وقالت ميللى في استسلام : انها تعرف كل شيء وكل شيء ...
واردفت تقول في لهجة ذات مغزى : بل اكثر من هذا ... فهي تعرف مارل ، وقد دعاها الليلة الى العشاء .
نقل بارنيت نظره بين الفتاتين في حذر ثم قال يســـأل ميللى ماكروى في شيء من التهديد : هل ذكرت لها شيئا ؟ ..
ـ لا حاجة لأن أذكر لهــا اى شيء .. قلت لك انها تعرف كل شيء ؟ ..
فعاد يسألها من جديد : هل ذكرت لها شيئا ؟ .
ـ بخصوص مارل ؟ .. كلا . فقد تركت هذا الآمر لك .
واقبل الساقي بالشاى في هذه اللحظـــة فخيم الصمت حتى انصرف وعنـــدئذ قال فلاش بارنيت : والآن يمكننا ان نتحدث في هدوء . سأتكلم بصراحة واخبرك أولا بماذا ادعوك .
فقالت تاليا من غير أن تحــول عينيها عنه : يبدو ان الأمر مثير للاهتمام .
فقال بارنيت وهو يضطجع في مقعده الى الوراء ليتسنى له ان يرى الفتاة جيدا :
ـ انني أدعوك تاليا الداهية ... تاليا الداهية ... انت فتاة خبيثة ... ما رايك في هذا الاسم ... كنت في المحكمة يوم محاكمتك بتهمة سرقة فروايانت .
وهز راسه فقالت تاليا في برود : ارى انك على علم بكل شيء . ولكني لا اظنك استدعيتني هنا لتبادل عبارات المديح والاطراء .
فأجابها بارنيت في صوت تبينت فيه ميللى الاعجاب الذى أوحت به صديقتها الجديدة الى حبيبها .
ـ كلا .. انما طلبت منك الحضور لنتحدث عن العمل ... نحن كلنا أصدقاء وننتمي الى مهنة واحدة . وسأذكر لك على الفور انني لست من هؤلاء المتواضعين الذين يلتقطون ما يكادون يتبلغون به .
وكان يتكلم في لهجة مهذبا واستطرد يقول : ومعى قوم يستطيعون تمويل اى ضربة ما دامت مضمونة النتائج . وانت الآن انماتضيعين وقتا يا تاليا ..

فقالت تاليا : اوه ، حقا ؟ ولكن اذا فرضنا ، وكنت انت كما تقول فهل لك ان تذكر لى كيف أضيع وقتى ؟ .

هز بارنيت راسه وهو يبتسم ثم قال : يا فتاتى العزيزة ... كم من الوقت تظنين ان الاعيبك هذه يمكن أن تدوم ؟ .. هذه الالاعيب التى قوامها استبدال الأوراق المالية بأوراق بيضـــاء ... لولا ان صديقى برابازون أعتقد بحماقته أن ادارة البريد هى السبب لكان البوليس الآن فى مكتبك . وعندما أقول صديقى برابازون فاعلمى أننى لا أمزح ..

وعندما بلغ فى حديثه الى هذا الحد بدا عليه كما لو كان قد تكلم بأكثر مما ينبغى ، ولكن كان من الواضح انه يتباهى بصداقته المزعومة للمالى الكبير ... وكانت تاليا تعلم انه يستطيع ان يذهب الى أبعد من ذلك ولكنها لم تبال .

وعاد فلاش يقول وهو ينحنى فوق الفتاة : والآن يجب أن أذكر لك اننى وميللى نراقب مصرف برابازون منذ أكثر من شهرين . وهناك عمل كثير يمكن أن نقدم عليه ، ليس فى المصرف نفسه ، فان برابازون صديق كما قلت لك ، ولكن مع العملاء . واكثر هؤلاء العملاء رصيدا هو مارل .

فلوت شفتيها للمرة الثانية فى ذلك اليوم ثم قالت فى هدوء :

ـ انت تخطىء فى هذا فان مارل لا حساب له ..

نظر فلاش اليها مشـــدوها ثم تحول الى ميللى ماكروى عابسا وقال :

ـ الم تذكرى لى أن رصـــيده فى البنك أكثـــر من مائة الف من الجنيهات .

فأجابته الفتاة : هو ذلك ..

وقالت تاليا : كان هذا رصيده حتى صباح اليوم . ولكنه فى مساء اليوم بالذات حول كل أوراقه وســنداته الى مصرف انجلترا . أما امواله فقد سجلها كلها . وقد احضر له برابازون أوراقا جديدة رايتها على مكتبه فقد استدعانى لأدون له كشفا بأرقامها وقال لى انه يقفل حساب مستر مارل لأنه عميل من الصعب ارضاؤه . ثم أخذ النقود واتصل بمارل وجاءنى بعد ذلك بشيك بتوقيع مارل قائلا :

ـ اننى صفيت حسابه يا مس دراموند ولا اظن ان ذلك الشقى سيزعجنا بعد ذلك .

وقالت ميللى : هل يعرف أن مارل دعاك الى تناول العشاء ؟ ..

لم يقل مستر بارنيت شيئا ولـــكنه اضطجع ثانية الى الخلف واستغرق فى تفكير عميق واخيرا قال : اكان مبلغا كبيرا ؟ .

ــ ٦٢ الف جنيه .

فصاح فى انفعال : وهــذا المبلغ موجود معــه فى البيت ! ... ٦٢ الف جنيه ؟ .. هل تسمعين يا ميللى ؟ .. وتقولين يا تاليا انك ستتناولين العشاء معه الليلة ؟ .. ما رايك ؟ .

فسألته تاليا دون أن تخفض عينيها : فى اى شىء ؟ .

فقال وقد ازداد انفعاله : انها فرصة العمر ... فأنت ذاهبة الى بيته الليلة ؟ .. الا يمكنك أن تعطيه مخدرا ؟ .

ولما لم تنطق عاد يقول : اننى اعرف المكان .. انه بيت هادىء فى كنسنجتون فى ميدان ماريسبورج بطريق بايز ووتر .

فقالت تاليا : اننى اعرف المكان .

واستطرد فلاش : ولديه ثلاثة من الخدم فقط ، ولكنه يصرفهم دائما عندما يستقبل سيدة فى البيت .. هل تفهمين ما اعنيه ؟ .

ــ ولكنه لن يستقبلنى فى بيته ..

ــ وما رايك فى وجبة خفيفة بعد انتهاء الحفلة ؟ .. لنفرض أنه سيعرض عليك ذلك وانك تقبلين لن يكون فى البيت احد من الخدم عند عودتكما واستطيع أن اقسم على ذلك فاننى اعرف مارل .

ــ ولكن ماذا تنتظر منى ؟ .. ان اسرقه .. او أن اصوب مسدسى اليه واخيره بين المحفظة والحياة ؟ .

فقال بارنيت فى غلظة : لا تكونى حمقاء ... كل ما عليك هو أن تتناولى العشاء وأن تقضى معه سهرة طيبة ، ولا تخافى فسوف أكون فى البيت بعدك بقليل واذا ...

واخذت تاليا تلعب بالملعقة بين يديها وهى مطرقة الراس واخيرا سألت قائلة : واذا لم يصرف الخدم ؟ .

ــ بل سيصرفهم ... فهذا ما يفعله دائما ... لا تدعى هــذه الفرصة تفلت منك يا مس دراموند ... هل تقبلين ؟ .

هزت راسها وقالت : هذا عمل ينطوى على خطورة كبيرة بالنسبة لى . ولعلك على حق ، ولكنى افضل الاعيبى الصغيرة .

فقال فى اشمئزاز : هل جننت ؟ ... انك لن تتعــرضين لاى خطر ، فأنت غير معروفة للبوليس ، ولست تحت المراقبة مثلى .

اطرقت الفتاة لحظة ثم رفعت راسها وقا وهى تلعب بالملعقة فى انفعال

ــ لا بأس ... اذا سرقت فلا تسرق ابرة . بل أسرق جملا .
فقال بارنيت في مرح : لا ابرة ولا جمل ... وانما ٦٢ الف جنيه .
ثم نادى الساقى ، وغادرت تاليا المطعم ومضت فى طريقها الى البيت ، وكان لابد لها أن تمر بالبنك فى أثناء عودتها الى مسكنها . ولم تر من الحرص ان تستقل سيارة أجرة خشية أن يكون لبرابازون اعوان يرون ، فانخرطت بين جمهرة المشاة الذين يزدحم بهم شارع رينجت . وفجأة احست بأحدهم يلمس ذراعها فتحولت واذا بشاب يسير الى جوارها . وكان شابا جميلا ثاقب النظرات لم يبتسم كما فعل غيره فى مثل هذه المناسبات ولم يسألها ان كان طريقها واحدا وانما اكتفى بأن قال : تاليا ! ..
وما ان سمعت الفتاة صوته حتى خانتها شجاعتها وهمست : مستر بيردمور ! ..
احمر وجه الشاب وبدا عليه الارتباك وقال : اريد أن اتحدث معك دقيقة واحدة فقط .. منذ أسبوع وأنا اتحين الفرصة .
ــ هل كنت تعلم اننى أعمل فى مصرف برابازون ؟ .. من الذى اخبرك ؟ .
اجاب بعد تردد يسير : المفتش بار ..
واستطرد يقول وهو يرى الفتاة تبتسم : ان بار ليس رجلا خبيثا .. وهو لم يذكر كلمة واحدة ضدك يا تاليا ..
فلم تزد على ان ضحكت وقالت : معاذ الله أن أمنع المفتش بار عن أداء واجبه . ولكنى على كل حال أرجو الا يفعل ...
ضحك جاك على الرغم منه ولكنه اسرع يقول :
ــ الحق يا تاليا انك من الذكاء بحيث لا تخالطين قوما قد يضرونك . وانني أعلم أنه لا حق لى فى التدخل فى حياتك ولكن من يدرى ، ربما استطعت مساعدتك .
فبسطت يدها وهى تبتسم ابتسامة رائعة وقالت فى رقة : وداعا ..
ثم انصرفت وتركته واقفا مكانه كالغبى . وعادت الى البيت الواقع فى أفخم حى فى لندن وابتدرت خادمتها قائلة :
ــ مارتا .. لن اتناول الشاى وشكرا لك . أعدى لى ثوب السهرة الازرق واتصلى بجاراج والتام وقولى لهم اننى بحاجة الى سيارة قبل منتصف الثامنة بخمس دقائق .
وفى المصرف لم يكن مرتب الآنسة دراموند يزيد عن أربعة جنيهات فى الأسبوع .

الفصل السادس عشر

مستر مارل يذهب

صاح مستر مارك وهو ينهض لتحية الفتاة : هانت اخيرا ... وايم الحق انك لذيذة وساحرة يا حبيبتي ! .

وأخذها من يدها وقادها الى صالون صغير مفروش بمفروشات بعضها أبيض اللون والبعض الآخر ذهبي ، واختفى لحظة عاد بعدها يقول في صوت يكاد يختنق : ساحرة .. اعترف لك انني كنت أخشى ان اذهب بك الى فندق ريتز كارلتون .. لا تغضبي لصراحتي .. هل تدخنين ؟ .

وأخرج من جيبه علبة ذهبية ناولها لتاليا فأخذت منها سيجارة اشعلتها وهي تقول ضاحكة : أكنت تتوقع أن تراني مرتدية فستانا رخيصا ؟ .

فأجاب مارل وهو يغوص في مقعد وثير : هو ذلك ياحبيبتي ، فان لي تجارب كثيرة في هذه الناحية ، وهي تجارب لا تدعو الى السرور . وقد رأيت فتيات يحضرن لتناول العشاء وهن يرتدين ملابس غريبة .

فقالت تاليا وهي تراقبه من خلال أهدابها المسبلة :

ـ أرى من تجاربك انك معتاد على منادمة الفتيات الجميلات .

فأجاب مارل وهو يفرك يديه في جذل : انني لم أبلغ بعد السن التي تبعدني عن مخالطة النساء بعد ... ولكنك رائعة .

كان يبدو انيقا في تلك الليلة ، بشعره الأسود واسنانه البيضاء وقوامه النحيف . وقال : سنذهب لتناول العشاء ، ثم نمضي بعد ذلك الى مسرح وينتر لمشاهدة مسرحية رجال ونساء ثم ...

وتردد لحظة ثم اردف : ما رايك في تناول وجبة خفيفة بعد ذلك ؟ .

ـ وجبة خفيفة ... الا نتناول العشاء الآن ؟ ..

ـ أوه ... اعني بعض الحلوى .. والفاكهة .

فسألته الفتاة في حدة : واين ذلك ؟ .. ان اغلب المطاعم ستكون مغلقة بعد الخروج من المسرح . أليس كذلك ؟ ..

ـ ليس هناك ما يمنعنا من العودة هنا .. فلا اخالك تبالين ...

ـ كلا ، ولكن ...
ـ ثم انني سوف أعود بك الى بيتك فى عربتى .
ـ شكرا لك .. ان معى عربتى ..
ففرك مستر مارل عينيه وقد استولت عليه الدهشة لسماعه هذه الكلمات ولكنه سرعان ما ضحك وقال : أوه .. يا لك من شيطانة .
وكانت الليلة بالغة الأهمية بالنسبة لتاليا ، خاصة بعد أن وقع بصرها على مستر فلاش بارنيت فى قاعة الطعام وهى تمر بين الموائد .
وبعد ان انتهت المسرحية ، وبينما كانا يقفان فى انتظار عربتهما ابدت تاليا شيئا من التردد ، ولكن مستر فليكس مارل عرف بلباقته كيف يبدد هذا التردد . ودقت الساعة منتصف الثانية عشرة وهى تدخل بيته للمرة الثانية . وقد لاحظت انه لم يطرق الباب بل فتحه.
ورأت مائدة الطعام معدة فى غرفة ذات ستائر وردية اللون . وقال لها : ساقوم على خدمتك بنفسى يا عزيزتى اذ لا داعى لأن نزعج أنفسنا بوجود الخدم .
ولكنها هزت راسها وقالت : لن أستطيع أن أتناول شيئا ... واعتقد اننى سأنصرف .
ـ انتظرى ... انتظرى ... فانى اريد أن اتحدث معك بخصوص مخدومك .. فاننى استطيع ان أؤدى لك خدمات كثيرة ... أعنى فى ذلك المصرف يا تاليا .. من الذى أسماك تاليا ؟ .
فاجابت : ابى وأمى ! .
فضحك ومر من خلفها كما لو كان يريد أن يتناول طبقا من فوق المائدة ومال فوقها فجأة ولولا انها أفلتت منه لقبلها . وتمتمت تقول :
ـ اظن أننى سأنصرف ..
فقال مارل فى انزعاج : كفى هراء ..
وكان مارل اذا تملكه الانفعال والانزعاج اختفى تظاهره بالرقة وبدا على حقيقته فقد أردف يقول فى غلظة : تعالى اجلسى ..
نظرت تاليا اليه نظرة طويلة وقد غرقت فى تفكير عميق . وأخيرا ، وفى حركة مفاجئة مضت الى الباب فوجدته موصدا بالمفتاح فقالت فى هدوء : من الخير لك أن تفتح يا مستر مارل .
ـ لا اظن ذلك يا ... اصغى الى يا تاليا .. كونى ظريفة ودعينا نستمتع معا ..
فقاطعته قائلة : يؤسفنى أن أبدد احلامك فما يتعلق بى .. افتح الباب .

ـ كما تشائين ..

وسار الى الباب وهو يتظاهر بأنه يبحث عن حلقة مفاتيحه فى جيبه . وقبل أن تدرك غرضه كان قد أسرع اليها فطوقها بذراعيه . وكان قويا فرأت أنه سيتغلب عليها . وقالت بلهجة الآمر دون أن يظهر عليها اى خوف : دعني ! ..

وأحس فجأة بأن مقاومتها قد وهنت فأخذته نشوة الانتصار ...

ولم تترك له الوقت الكافى للتفكير لأنها قالت : دعنا نتناول الطعام .

فقال مبتسما : هذا أفضل يا حبيبتى ... ولكن ما هذا ؟ .

ونطق بهذه الكلمات الأخيرة فى صوت يتهدج من الذعر والفزع .

كانت قد دنت من المائدة وفتحت حقيبتها . وظن أنها تبحث عن منديل ولكنها اخرجت شيئا اسود فى حجم البيضة انتزعت منهـا شيئا كالدبوس القته على المائدة .

شاهد مارل هذه العملية الصغيرة بعينى ملأهمـا الذعر والفزع فقد كان يعرف حقيقة هذه البيضة السوداء ، فقد قضى مدة طويلة فى الجيش ، وفى قسم الذخيرة بالذات ورأى قنابل يدوية مختلفة الأشكال والأحجام .

وصاح متلعثما : خذى هذا ... اعيدى الدبوس مكانه حالا أيتها المجنونة الصغيرة .

فقالت فى برود : لا تخش شيئا ... ان معى دبوسا آخر للغيار .. افتح هذا الباب .

وكانت يده ترتعش كرجل اصابه الشلل وهو يسرع الى الباب .

وأدار الأكرة ثم تحول اليها وحملق فيها قائلا : قنبلة يدوية !

وسقط ككتلة من اللحم فوق المقعد .

وخرجت تاليا فى هدوء ، وفى يدها آلة الموت . اما هو فقد تبعها حتى الباب وصفقة خلفها ثم صعد السلم ومضى الى غرفة نومه وهو يرتعش كالمحموم .

وكان فلاش بارنيت مختبئا فى ركن من اركان القاعة المظلمة فسمع صوت الباب وهو يفتح ثم وهو يغلق ، وصوت المزلاج يعـــاد الى موضعه بعد أن دخل مستر مارل غرفته .

كان البيت ساكنا .. ولم يصدر أى صوت من غرفة مستر مارل .

ولم تكن هناك كوة بالباب . وكان الدليل الوحيد على ان هناك احدا فى غرفته هو بصيص من نور منبعث من مروحة هوائية مثبتة فى أعلا جدار الغرفة نفسها فوق الباب .

وكان هذا البيت يستخدمه بعض الضباط الناقهين اثناء الحرب الأخيرة ، وكانت قد ادخلت عليه بعض التعديلات والتحسينات جعلته اكثر افادة وان كانت قد أبعدته عن الجمال .

وكان فلاش ينتعل خفا خفيفا فصعد الى الدور العلوى ووضع اذنه لصق الباب مرهفا السمع . وخيل اليه انه يسمع صوت مارل وهو يحدث نفسه . وردد البصر حوله يبحث عن طريقة يستطيع بها القاء نظرة الى الداخل . ورأى عندئذ منضدة صغيرة قريبة فنقلها فى حرص بجوار الباب وصعد فوقها ورأى من خلال فتحات المروحة مستر مارل يسير* فى مخدعه جيئة وذهابا وهو بقميصه ، بادى الانزعاج .* وفى هذه اللحظة سمع فلاش بارنيت صوتا خافتا صادرا عن وقع اقدام فوق السجادة فى الطابق الأرضى فهبط من فوق المنضدة واسرع خلف احدى الستائر .

كان فناء الطابق الأرضي مظلما ولكنه احس بشخص يصعد الدرج ، ولم يدر ان كان هذا الشخص رجلا ام امرأة ، ولم يهمه ذلك ، فربما يكون ذلك الشخص أحد الخدم وقد عاد خلسة فان الخدم لا يبقون بعيدا دائما عندما يبعدون عمدا . ومضى فلاش الى آخر الطرقة ، ووقف فى ركن يراقب . ولم ير احدا يظهر ناحية السلم . وظل مكانه فترة ثم عاد من جديد . ولم يكن هناك جدوى من اغتصاب قفل باب مخدع مارل ، حتى ولو كان ذلك ممكنا . ثم انه كان امامه متسع من الوقت لكى يقوم بتفيش البيت كما يحلو له ورأى ان من الأوفق ان يغتصب الخزانة الصغيرة لأن غرفة مارل اصبحت بعيدة عن متناول يده .

واستغرق منه هذا العمل ساعتين مستخدما ادق واحسن المعدات فى سبيل ذلك ولكنه لم يجد جزاءه ، فلم يكن بالخزانة ذلك المبلغ الكبير الذى كان يتوقعه . وتردد ... كان الوقت قد تقدم لكى يقوم بمحاولة اخرى فى سبيل العثور على ذلك المبلغ فوضع أدواته فى أحد جيوبه وغنيمته فى جيب آخر ثم هبط الدرج . ولم يكن هناك صوت فى غرفة مارل . ولكن النور كان لا يزال منبعثا منها . وحاول ان ينظر من خلال ثقب المفتاح ولكن المفتاح كان موضوعا مكانه فلم يستطع ان يرى شيئا . كان الباعث الوحيد هو احتمال وجود ذلك المال فى جيوب مارل بالذات ولكنه راى ان هذا الاحتمال بعيد ولا ريب ان مارل قد وضعه فى خزانة احد المصارف .

وهبط الى الطابق الأرضى واجتاز الطرقة حتى بلغ غرفة رئيس

الخــدم فلبس حذاءه ومعطفه وقبعته الحريرية البراقة ، لأنه كان يرتدى ثياب السهرة ، ثم اجتاز الطرقة فى خطوات خفيفة ولم يلبث أن وجد نفسه فى طرقة خارجية وفتح بابا . وبلغ الحديقة ووضع يده على أكرة الباب عندما تقبضت على كتفه يد خشنة وسمع صوتا مألوفا يقول له : تعــال معى يا فلاش ... أنا المفتش بار .. انك ما زلت تذكرنى ..

ارتد بارنيت الى الخلف مذعورا ومرر نفسه من قبضة بار ودلف من الباب مسرعا ولكنه لم يستطع التخلص بسهولة من رجال البوليس الثلاثة الذين ينتظرونه فى الخارج فاقتاده الى اقرب نقطة للبوليس وهو مشغول البال .

وفى أثناء ذلك قــام بار بتفتيش البيت بمساعدة أحــد رجاله . وصعد الدرج الى الطــابق الأول ، وقال يحدث مساعده :

ــ هذه هى الغرفة الوحيدة التى يبدو أن فيها أحدا .

وقرع الباب ولكنه لم يسمع ردا فقال : اذهب وابحث عن الخدم.

وعاد الرجل بعد قليل بالحقيقة المذهلة وهى انه لا يوجد احد من الخدم بالبيت ، فقال المفتش : هناك أحد فى هذه الغرفة .

وأرسل ضوء مصباحه الكهربى حوله فرأى المنضــدة الصغيرة ، وفى خفة غريبة من رجل فى مثل بدانته صعد اليها ونظر من خـــلال المروحة ثم قال : أرى رجلا راقدا فوق الفراش .

ثم صاح يقول : افتح يا هذا .

ولمــا لم يسمع ردا قرع الباب فى عنف ولكن الراقد لم يتحرك فقال لمساعده : ابحث عن « بلطة » .. سوف نحطم الباب ..

ولم يجد الرجل « بلطة » ولكنه عاد بعد قليل ومعه مطرقة وقال : هل لك أن تسلط ضوء مصباحك على الباب لحظة .

سلط المفتش اشعة مصباحه الكهربى على الباب فرأى اللوح الذى يتوسط وقد علقت عليه دائرة حمراء وثبتت بشريط لاصق فصاح يقول وهو يلهث بشدة : حطم الباب .

ولم يتمكنا من تحطيم أحد الألواح الا بعد خمس دقائق من الضرب العنيف . كل هذا والراقد لا يتحرك . ومد بار يده بحثا عن المزلاج فرفعه من مكانه ولم يلبث ان دخل الغـــرفة . وكان النور لا يزال يسطع ، وكان الرجل راقدا على ظهره فوق الفـــراش وعلى شفتيه ابتسامة متوترة ، وكان جثة هامدة .

الفصل السابع عشر

فقاعات الصابون

بعد منتصف الليل بكثير كان دريك ييل جالسا فى غرفة مكتبه الفخمة ، وكان يقع فى بناية كبيرة تطل على المتنزه ، عندما سمع طرقة على الباب فنهض وفتحه . وكان الطارق هو المفتش بار .

وسرد بار عليه حوادث الليلة وسأله ييل فى شىء من العتاب :

ـ ولكن لماذا لم تخبرنى ؟ ..

ثم ضحك واستدرك : اننى آسف . يبدو لى دائما اننى اتدخل فى شئونك . ولـكن كيف هرب القاتل ؟ .. تقول انك كنت تحاصر البيت منذ ساعتين . هل خرجت الفتاة ؟ .

ـ من غير شك .. انها خرجت ومضت الى بيتها .

ـ الم يدخل البيت احد آخر غيرها ؟ .

فأجابه بار : لست مستعدا لكى اقسم على ذلك . اذا كان هناك احد فلا ريب انه كان موجودا قبل عودة مارل من المسرح . وقـد اكتشفت اخيرا وجود ممر بين مؤخرة البيت والجاراج . واذا كنت قد قلت ان البيت كان محاصرا فهذه مبالغة منى فقد كان هناك طريق فى مؤخرة الحديقة لم اكن اعلم عنه شيئا ، بل اننى لم اشتبه فى وجود حديقة فى البيت . ولا ريب انه دخل البيت من الجاراج .

ـ الا تشتبه فى الفتاة ؟ ..

هز راسه فسـاله ييل : ولـكن لماذا كنت تقوم بمحـاصرة بيت مارل ؟ ..

اثار رد المفتش بار دهشة المخبر السرى فقد قال :

ـ لان مارل كان تحت مراقبة رجال البوليس منذ عودته الى لندن ... واذا اردت الحقيقة منذ ان اكتشفت انه هو الذى كتب الرسالة التى عثرت على قصاصة منها والتى طابقت خطها بخطه ... فقـد سألته ان يعطينى عنوان الترزى الخاص به .

فقال ييل مشدوها : مارل ؟ .

اوما المفتش بار واستطرد يقول : لا ادرى ما الذى كان بينه وبين

العجوز بيردمور ولا سبب ذهاب مارل اليه . وقد حاولت ان اتصور المشهد ولعلك تذكر انه ما أن اقترب من البيت فى ذلك اليوم حتى استولى عليه الذعر فجأة .

هز بيل رأسه وأجاب : اننى اذكر ذلك .. وقد حدثنى جاك بيردمور عن ذلك .. حسنا ؟ .

وقال بار : انه رفض البقاء فى البيت وقال انه سيعود الى لندن . والحقيقة انه لم يذهب الى ابعد من كنجزايد ، وهى محطة صغيرة تبعد بثمانية أو تسعة اميال . وقد أرسل حقيبته الى لندن وعاد سيرا على قدميه . ولا ريب أنه هو الرجل الذى رآه القاتل فى الغابة فى تلك الليلة . ثم لماذا عاد بعد ان تملكه الذعر الى حد انه سارع بالفرار فى المرة الأولى ؟ ولماذا كتب هذه الرسالة وارسلها بالليل بينما كانت امامه الفرصة لكى يتحدث مع جيمس بيردمور أثناء النهار عندما كان معه .

وخيم صمت طويل ثم سأله بيل : وكيف قتل مارل ؟ .

فهز الآخر راسه واجاب : هذا سر مستغلق بالنسبة لى . لم يتمكن القاتل من دخول غرفته على كل حال . وقد استجوبت فلاش بارنيت ، ويبدو انه هو الآخر لا يعرف عن الجريمة شيئا ، وهو يعترف بأنه دخل البيت بقصد السرقة ويقول انه سمع شخصا يتحرك داخل البيت وانه اختبأ ، وهو يقول أيضا انه سمع صوت صفير كذلك الصفير الذى يصدر عند انطلاق الغاز المحبوس من انبوبة . وثمة حقيقة أخرى غريبة وهى وجود بقعة صغيرة مستديرة رطبة فوق الوسادة على بعد بضع سنتيمترات من موضع رأس مارل ، وهى بقعة دائرية حقا بحيث ظننت فى باديء الأمر انها شعار الدائرة الحمراء ولكنى لم البث ان رايت بقعة أخرى غيرها فوق الغطاء . ولم يتمكن الطبيب الشرعى من معرفة سبب الموت ولكن السبب واضح فاستنادا الى اقوال برابازون التى افضى الى بها فى التليفون سحب مارل فى اليوم السابق لمصرعه كل أمواله . وقد صفى برابازون حساب هذا الأخير ، ويبدو انهما اختلفا لسبب من الأسباب . وقد فتح فلاش بارنيت الخزانة ، ولكننا لم نجد معه عندما فتشناه فى نقطة البوليس شيئا فيما عدا مبلغ تافه ، فمن الذى أخذ المال ؟ .

سار دريك بيل جيئة وذهابا ويداه خلف ظهره ، وذقنه فوق صدره ثم سأل :

ـ هل تعرف شيئا عن برابازون ؟ .

ولم يجبه بار على الفور ، ثم قال : لا أعرف عنه الا انه صاحب مصرف وانه يقوم بأعمال كثيرة خارجية .
فسأله دريك يل فجأة : أهو قادر على الوفاء بديونه ؟ .
رفع بار عينيه الحزينتين في بطء حتى التقتا بعيني محدثه وقال :
ــ كلا ... وقد بلغتنا عدة شكاوى بخصوص رسائله .
ــ هل كان صديقا لمارل ؟ ..
فأجاب بار مترددا : نعم ، استنادا الى التقارير التى قرأتها عنه يخامرنى احساس بأنه له تأثير على برابازون .
فتمتم دريك يل : ولم يكن برابازون قادرا على الوفاء بديونه ؟ . وسحب مارل أمواله بعد ظهر اليوم ؟ .. ما هى الظروف التى دفعته الى ذلك ؟ .. هل ذهب بنفسه الى المصرف ؟ .
وفى ايجاز اخبره بار بما حدث . كان يبدو ان بار يعرف كل شيء عن بنك برابازون ، وبدأ دريك يل يقدر الرجل حق قدره ، مع انه نظر اليه فى بادىء الأمر فى ازدراء وكان يعتقد انه رجل غبى احمق .
ــ اننى أتساءل اذا كان فى استطاعتى الذهاب الى بيت مارل الليلة .
فقال بار : اننى اتيت لكى أعرض عليك ذلك .. والواقع ان هناك عربة تنتظرنا بالباب لهذا الغرض .
لم ينطق دريك يل بكلمة أثناء الطريق ، ولم يقطع حبل الصمت الا حين القى نفسه فى الطرقة الداخلية لبيت مارل فقال فى بطء :
ــ يجب أن نجد اسطوانة معدنية صغيرة فى مكان ما من البيت .
وتقدم الشرطى المنوط به الحراسة وحيا الرجلين ثم قال :
ــ اننا عثرنا على زجاجة حديدية فى الجاراج .
فصاح دريك يل فى انتصار : آه ... كنت أتوقع ذلك .
وارتقى السلم وثبا امام الشرطى ، وتوقف فى الممر . وكان النور يسطع به فى هذه اللحظة ، والمنضدة الصغيرة ما زالت مكانها تحت المروحة . فسار اليها وجثا على يديه وركبتيه وراح يشم السجادة .
ولم يلبث ان سعل ، ونهض واقفا وقد احمر وجهه وقال :
ــ هل استطيع ان ارى هذه الاسطوانة المعدنية ؟ .
وجاءوه بها .. وقد صدق الشرطى حين وصفها بأنها زجاجة ، فقد كانت زجاجة حديدية فى نهايتها انبوبة صغيرة مثبت بها صنبور دقيق . وقال وهو ينظر حوله :
ــ والآن ... يجب ان يكون هناك فنجان أيضا .. الا اذا كان

اتى بها فى زجاجة .
فقال الشرطى الذى عثر على الزجاجة الحديدية : كانت هناك زجاجة عادية بجوار هذه فى الجاراج يا سيدى . ولكنها مكسورة .
فقال يبل : أحضرها الى حالا . وأرجو الا تكون قد تناثرت كلية ، وان نستطيع أن نعرف طبيعة ما كانت تحتويه .
نظر مستر بار البدين اليه فى حيرة وقال : ما معنى هذا ؟ .
فأجابه يبل فى مرح : هى طريقـــة جديدة لارتكاب جريمة قتل يا عزيزى مستر بار .. لندخل الغرفة الآن .
كانت جثة مارل ما زالت فوق الفراش تغطيها الملاءة . ولم تكن البقعة الدائرية التى فوق الوسادة قد جفت بعد . وكانت النوافذ مفتوحة والهواء يداعب الستائر . وقال يبل كما لو كان يحدث نفسه :
ــ لا يمكنك طبعا أن تشم شيئا هنا .
وجثا على ركبتيه مرة أخرى وشم السجادة . واخذه السعال مرة أخرى فوقف على الفور .
وفى هذه اللحظـــة أحضر الشرطى الزجاجة المكسورة . وكان قاعها يحتوى على بضع نقط من سائل صبه يبل فى بطن يده ثم شمه وقال :
ــ ماء وصابون كما توقعت . يمكننى الآن ان أوضح لك كيف قتل مارل . ان ذلك اللص المدعو بارنيت سمع صفيرا كذلك الصفير الذى يصدر عند انطـــلاق الغــاز المحبوس . والحق انه سمع فعلا صوت انطلاق غاز من هذه الأنبوبة . وقد أكون مخطئا ولكنى أعتقد انه كان بها من الغاز القاتل ما يكفى لقتلى وقتلك معا . وما زالت طبقة كثيفة منه تغطى السجادة . انه من الغازات الثقيلة التى تهبط .
ــ ولكن كيف قتل مارل ؟ .. هل أطلق القاتل الغاز من خلال المروحة ؟ .
هز دريك يبل رأسه وقال فى هدوء : ان الدائرة الحمراء استخدم وسيلة أســهل وأكثر فاعليــة فى قتله .. انه استخدم فقــاعات الصابون .
ــ فقاعات الصابون ! ..
أوما دريك يبل برأسه مرة أخرى وأجاب : تماما .. فقد غمس الأنبوبة المثبتة فى الزجاجة فى رغاوى الصابون . ويمكنك أن تتأكد من ذلك اذا لمستها بأصابعك ... ثم ادخلهـــا من احدى فتحات

المروحة وفتح الصنبور فتجمعت فقاعات الصابون وانبعثت داخل الغرفة . ولا ريب ان القاتل أحكم تسديدها .

وأسرع الى الخارج وصعد فوق المنضدة ثم قال : هو ذلك .. فانني ارى من مكانى هذا راس الفراش . وقد أصابت بعض الفقاقيع الغطاء والوسادة حيث تجد آثارها ما زالت رطبة . ولكن احدى هذه الفقاقيع أصابت أخيرا وجه الرجل الراقد فقتلته على الفور .

بدت الدهشة على وجه بار حين استطرد يل يقول :

ـ لقد فكرت فى الأمر وأنا فى الطريق وقد ذكرتنى الدائرة التى فوق الوسادة بالفقاعات التى كنا نلهو بارسالها فى الهواء ونحن مازلنا أطفالا . وعندما قلت لى ان فلاش بارنيت سمع صفيرا خافتا أدركت على الفور أن نظريتى هى الصحيحة .

وقال بار : ومع ذلك فلم نشم رائحة الغاز عندما دخلنا الغرفة .

فأجاب يل : ذلك لان رائحته تبخرت فى الهواء . والغاز ثقيل من طبعه ، وهو لهذا يهبط الى الأرض ، وكثافته تدفعـــه الى الانتشار .. انظر ..

وحك عودا من الثقاب وعندما اشتعل أدناه فى بطء مستوى الارض ولما أصبح على بعد بوصة واحدة من السجادة انطفأ فجأة .

فقال بار : فهمت ..

وقال يل : ما رأيك فى أن أقوم بتفتيش البيت الآن ؟ . ربمـا أجد شيئا قد يفيدنا .

ورأى يل أن كلماته هذه لم تصادف هوى من بار فأدرك بثاقب نظره أن المحاضرة البوليسية التى ألقاها واوضح فيها صدق نظريته قد أثارت حفيظة المفتش ضده . وضحك يل ثم اعتذر وعاد الى بيته . كانت هناك لحظات يحسن فيهـا أن يترك المفتش بار لـكى يخلو بنفسه ومشاعره . وقد أدرك دريك يل ذلك حق الادراك .

الفصل الثامن عشر

قصة فلاش بارنيت

بعد أن فرغ المفتش بار من تفتيش بيت مارل تفتيشا دقيقا عاد الى فلاش بارنيت لاستجوابه .

وكان فلاش مغموما مكتئبا ، مرهقا لم يجد تعليلا يبرر به وجوده فى مسكن مارل . وكان محصـــول سرقته موضوعا فوق مكتب الجاويش ، وهو عبارة عن بضـــعة خواتم وساعة ودفتر شيكات لا قيمة له بالنسبة له وقدح صغير من الفضة ... ولكن اغرب ما فى الأمر انه كانت بينها ورقتان جديدتان كل منهما من فئة المائة جنيه راح يقسم أغلظ الايمان أنها ملكه الخاص .

والمعروف عن اللصوص ، وخصوصا الذين على شاكلة بارنيت انهم يتخلون عن كل حذر وانهم خاملون لا يقدمون على اى عمل ما دام معهم نقود ، ولو أن فلاش بارنيت كان يملك مائتى جنيه حقا لما خطر أن يجازف باقتحام مسكن مارل . وصاح بارنيت : انهما ملكى واقسم لك على ذلك يا مستر بار .. اننى ما كنت لأكذب عليك .

فقال بار فى هدوء : أعلم أنك تكذب .. ولكن اذا كانتا ملكا لك حقا فمن أين لكبهما ؟ .

ــ أعطانيهما صديق ..

فسأله بار فجأة : ولماذا اشعلت نارا فى غرفة المكتبة ؟ .

انتفض فلاش وأجاب بعد فترة صمت : لأننى احسست بالبرد .

فقال بار : هذا عيب ..

ثم استطرد فى صوت مرتفع كما لو كان يفكر : معه مائتان من الجنيهات يقول انها ملكه الخـــاص ومع ذلك يقتحم بيتا ويغتصب خزانة ويشعل نارا ! ولكن لماذا يشعل النار ؟ .. لماذا يشعل النار ؟ . لكى يحرق شيئا عثر عليه فى الخزانة ؟ .

أصغى بارنيت الى هذا القول دون أن يبدى اى اعتراض ، ولكنه كان بادى الغم . واستطرد بار :

ــ منحك بعضهم اذن مائتى جنيه لــكى تقتحم بيت مارل ولكى

تأخذ شيئا من خزانته وتحرقه .. هل انت على حق ؟ .
فبدأ فلاش بارنيت يقول : لو قدر لى ان أموت فى هذه اللحظة ...
فقاطعه بار قائلا فى هدوء : لسوف تذهب الى الجحيم ، مصير كل كاذب أثيم ! من الذى دفع لك هذا المبلغ يا بارنيت ؟ من الخير لك ان تتكلم لأننى لا أدرى ان كان يجب ان أوجه اليك تهمة القتل ..
فصاح بارنيت وهو يثب واقفا : تهمة القتل ! .. ماذا تعنى ؟ .. اننى لم أقتل أحدا .
ـ لقد مات مارل وهذا كل شىء .. وجدناه ميتا فى فراشه .
وترك السجين لكى يفكر كما يحلو له وذهب ليتناول طعامه . وعندما عاد كان فلاش قد أمعن التفكير ورأى أن من الأوفق له فى مثل هذه الظروف أن يذكر الحقيقة فقال :
ـ اننى لا أعرف شيئا عن الدائرة الحمراء يا مستر بار ...
واستمطر على راسه اللعنات ان كان من الكاذبين واستطرد :
ـ ان لى صديقة تعمل فى بنك برابازون . وفى ذات ليلة ، وكانت تقوم بعمل اضافى ، وكنت واقفا فى انتظارها بجوار الباب الخـــاص بالموظفين دنا منى جنتلمان ونادانى باسمى . وقد أدهشنى ذلك ولكن دهشتى كانت أشد عندما عرفت حقيقته .
فسأله بار : هل كان ذلك الرجل هو مستر برابازون ؟ .
ـ هو ذلك يا سيدى .. وقد اصطحبنى الى مكتبه الخاص . وحسبت انه سيشكو لى ميللى .
وقال بار عندما رآه يمسك عن الكلام : حسنا ؟ ..
ـ حسنا .. يجب أن أفكر فى انقاذ نفسى وأرى أن من الخير ان اذكر كل الحقيقة . انه قال لى ان مستر مارل يهدده ببضع خطابات يحتفظ بها فى خزانته الخاصة ووعدنى ان يمنحنى ألف جنيه اذا ما حصلت عليها . هذه هى الحقيقة ، ثم أعطانى فكرة عن النقود التى يحتفظ بها مارل فى بيته . لم يقل ذلك صراحة ولكنه لمح الى ذلك تلميحا ، وكان يعرف أننى سأقتحم البيت بقصـــد السرقة فقد تحرى عنى وأكد لى أننى الرجل الذى يلزمه . وقد ذهبت لاستكشاف المكان وأدركت صعوبة العملية ، فقـــد كان البيت يعج دائمـــا بالخدم عدا الأوقات التى يستقبل فيها مستر مارل سيدة . وقد خطر لى أن اتخلى عن هذه العملية ولكن حدث أن كانت فى مصرف برابازون فتاة أبدى مستر مارل اعجابه بها .
فقال بار : هل تعنى تاليا دراموند ؟ .

أومأ فلاش بالايجاب وقال : هو ذلك يا سيدى . وكانت هـذه هى الفرصة التى واتانى بها القـدر . وعندما علمت انه دعاها لتناول العشاء معه رأيت أن هذه هى الفرصة التى تتيح لى دخول البيت ، وقد بدا لى اننى سأحصل على مبلغ كبير من المال بدون عناء لأننى سمعت انه سحب جميع امواله من المصرف فى ذلك اليوم .. ولم اجد صعوبة تذكر فى فتح الخزانة حيث وجدت المظروف ، ولم تكن به أوراق وانما كان يحتوى على صورة لرجل ومعه امرأة واقفين فوق صخرة مرتفعة ، واظن انها التقطت فى الخارج لأنه يظهر بها بعض الجبال ، ويبدو الرجل فيها وكأنه يدفع بالمرأة الى الهوة . وكانت تتشبث بغصن شجرة . ولعلها كانت صـورة لمنظر من تلك المناظر السينمائية . ومهما يكن من امر فقد أحرقتها .

فقال بار : آه ! .. أهذا كل شيء ؟ .؟

ــ نعم يا سيدى ... لم أجد اية نقود فى الخزانة .

وفى الساعة السابعة ذهب بار الى مسكن برابازون وبرفقته رجلان من رجال البوليس وفى جيبه أمر بالقبض عليـــه . وفتح لهم أحد الخدم الباب واشار لهم الى غرفة المالى . وكان الباب مغلقا ولكن بار دفعه فى غلظة وخشونة . كانت الغرفة شاغرة والنافذة التى تؤدى الى سلم الحريق مفتوحة وتشير الى أن برابازون هرب منها ، وكانت الغرفة مرتبة والفراش لم تمتد اليه يد وتشير كل الدلائل على ان مستر برابازون هرب قبل قدوم البوليس بساعات كثيرة .

وكان هناك تليفون على مقربة من الفراش فطلب بار السنترال وقال :

ــ هل يمكن أن تخبرونى اذا كانت قد جاءت مكالمات منذ الليلة الماضية للرقم الذى أتكلم منه ، ومن هم أصحاب هذه المكالمات ... انا المفتش بار بادارة الامن العام .

فأجابه صوت فى آخر الخط : جاءت مكالمتان .. احداهما من ياسووتر .

ــ كنت انا صاحب هذه المكالمة ... والمكالمة الثانية ؟ .

ــ من ويستر اكشينج ... فى منتصف الساعة الثالثة ، من كشك عمومى .

فقال المفتش عابسا : شكرا لك ..

والقى السماعة ثم نظر الى زميليه وحك انفه الكبير محنقا وقال :

ــ سوف تضطر تاليا دراموند الى البحث عن عمل آخر .

الفصل التاسع عشر

تاليا تقبل عرضا

انقضى أكثر من أسبوع قبل أن يفرغ أولو الأمر من جرد مصرف برابازون . وبعد هذه المدة غادرت تاليا المصرف وفى حقيبتها اليدوية الجلدية مرتب أسبوع وليس أمامها أى أمل فى الحصول على وظيفة .

ولم يترفق المفتش بار بها وهو يوجه اليها الخطاب امام رجال البوليس فقد قال : لولا اننى رأيت مارل يغلق الباب بعد انصرافك من بيته لتعرضت لمشاكل كبيرة .

وردت تاليا فى برود : ليت ذلك اغنانى عن الاستماع اليك كذلك .

وقال بار يسأل دريك ييل بعد أن اختفت الفتاة من خلال باب المصرف الدوار : ما رايك فيها ؟ .

فأجاب ييل : الحق انها تثير حيرتى .. وكلما فكرت فيها زادت حيرتى هذه . والفتاة ميللى ماكروى تدعى انها كانت تسرق المصرف منذ ان التحقت به ولكن ليس هناك اى دليل على ذلك . والحق أن الشخص الوحيد الذى فى استطاعته اقامة الدليل على ذلك هو صاحبنا المختفى برابازون . لماذا لم تستدعها للشهادة فى قضية فلاش بارنيت ؟ .

هز بار راسه واجاب : لن تكون لشهادتها قيمة لأنه ليس هناك من يؤيد كلامها . ثم أن قضية بارنيت واضحة كل الوضوح وليست بحاجة الى ادلة اخرى غير التى رأيتها بعينى الاثنتين .

عبس ييل فى تفكير وقال كمن يحدث نفسه : اننى اتساءل ...

ــ عم تتساءل ؟ .

ــ اننى اتساءل اذا كان فى مقدور هذه الفتاة أن تقدم لنا المزيد من المعلومات بخصوص الدائرة الحمراء . اننى افكر فى أن أتخـــذها سكرتيرة لى .

فتمتم بار ببضع كلمات غير واضحة فقال ييل : أعلم انك تعتقد اننى مخبول ولكن لى طريقتى الخاصة حقـــا . ثم انه ليس فى مكتبى ما يستحق السرقة . وسوف تكون تحت بصرى طوال الوقت ، واذا

حدث واتصلت بالدائرة الحمراء فسوف اعرف ذلك على الفور ..

فسأله بار في فضول : لماذا صافحتها قبل أن تنصرف ؟ .

فضحك بيل وأجاب : انها تثير اهتمامي لهذا السبب ، فقد أردت أن اعرف ما يدور في خلدها من احساسات ومشاعر ، وقد خامرني وأنا ممسك بيدها بأنها أسيرة قوة غامضة تسيرها رغما عنها ...

فسأله بار متهكما : الدائرة الحمراء ؟ .

فأجاب الآخر في لهجة الجد : هذا محتمل ... سوف اتحدث معها على كل حال .

وذهب الى تاليا في أصيل ذلك اليوم . وادخلته الخادم الى صالون صغير أنيق . وبعد لحظة دخلت الفتـــــاة وارتسمت على شفتيها ابتسامة عندما عرفت زائرها ، وقالت :

ـ حسنا يا مستر بيل . هل جئت لتزودني بنصائح أخرى ؟ .

ـ ليس تماما ... انما جئت لكي اعرض عليك عملا .

فرفعت عينيها اليه وقالت ساخرة : هل تريد أن أعاونك ؟ .. لعلك تريد أن تعمل بالمثل القائل « اذا أردت القبض على لص فعليك بلص مثله ... » أو من يدرى ، لعلك تريد تقويمى واصلاح أمرى ... ان كثيرين يريدون ذلك .

وجلست على حافة طاولة المفرف . وكان ظاهرا انها تسخر منه فقال : لماذا تسرقين يا آنسة دراموند ؟ .

فأجابته بدون تردد : لأن السرقة في دمى ... ان داء السرقة ليس مقصورا على سيدات الطبقة الراقية فقط .

ـ هل تشعرين بشيء من الراحة وأنت تسرقين ؟ .. لا أسألك ذلك بدافع الفضول فحسب ... ولكن هذا موضوع أحب أن أدرسه دراسة وافية .

فأتت بحركة كبيرة من يدها وقالت : انني أستمتع بمسكن مريح وخادمة طيبة وأعيش في بحبوبة ويسر ... وكل هذه أشياء مريحة بالنسبة لي .. ولكن حدثني عن هذا العمل يا مستر بيل ... هل تريد أن تعينني مخبرة سرية ؟ .

فأجاب مبتسما : ليس تماما .. ولكنى بحاجة الى سكرتيرة .. الى شخص أستطيع الركون اليه ، فان أعمالى تتكدس بشكل غريب ولا اجد متسعا من الوقت لكى ارد على رسائلى .

واردف يقول وهو يضحك : واستطيع أن أقول لك ان الفرصة لمزاولة رذيلتك ستكون ضئيلة ، ولكنى مع ذلك على استعداد للمجازفة .

فكرت تاليا لحظة وهى تحدق النظر فى محدثها ثم قالت :
ـ اذا كنت على استعداد للمجازفة فأنا أيضا على استعداد لذلك ... اين مكتبك ؟ .
واستطردت تقول بعد أن ذكر لها العنوان :
ـ سوف أكون عندك فى الساعة العاشرة من صباح الغد .. وما عليك الا أن تخفى دفتر شيكاتك وأموالك السائلة .
وقال ييل يحدث نفسه وهو عائد الى بيته : انها فتاة مدهشة ! .
لم يكن كاذبا عندما ذكر لبار أن الآنسة دراموند تثير حيرته ، ومع ذلك فقد التقى بمختلف المجرمين ويعرف عنهم وعن طباعهم اكثر مما يعرف بار بكل ما وسعه من تجارب .
وانتقلت أفكاره الى بار المسكين ، وكان يعرف انه فقد الحظوة عند رؤسائه . كم من الوقت سيحتمله رئيس ادارة الامن بعد هذا الاخفاق الذى منى به للمرة الثالثة فى مطاردته للدائرة الحمراء .
وكان مستر بار يلقى على نفسه نفس هذا السؤال فى هذه اللحظة بالذات . فقد وجد فى انتظاره عند عودته الى مكتبه بادارة الامن العام مذكرة ما كان يقرأها حتى عبست أساريره غيظا وحنقا . وكان يعرف انه ينتظره أسوأ من ذلك ، وكان لديه من الأسباب ما يجعله يخشى مصيرا أسوأ .
وفى صباح اليوم التالى استدعى الى مسكن مستر فروايانت . وهناك وجد دريك ييل حاضرا . وعلى الرغم من أن كل الظواهر تدل على أن العلاقات بين هذين الرجلين طيبة فان قضية الدائرة الحمراء حولت المعركة بينهما الى نضال حقيقى ، ولم يعد خافيا على احد أن موقف مستر بار غاية فى السوء بسبب فشله وتفـــوق ييل عليه . وانصافا للحق يجب أن نقول ان ييل كان يبذل قصارى جهده ليتوارى عن الأنظار ولكن كان ذلك عبثا .
وعلى الرغم من البخل الذى اشتهر به فروايانت ، وعلى الرغم من انه كان يعرف أن اتعاب ييل مرتفعة جدا فانه لم يتردد فى استدعائه مع مستر بار ، رجل البوليس الرسمى .
وبادر ييل مستر بار قائلا : لقد آثر مستر فروايانت أن يدفع .
فانفجر مستر فروايانت يقول : سوف ادفع من غير شك .
راى بار أن الرجل المسكين قد شاخ عشر سنوات فى بضعة ايام .
كان لونه اكثر شحوبا وبدا أشد نحافة وهو يقول :
ـ ما دامت ادارة الأمن تسمح لهذه المؤسسة الاجرامية بتهديد

حياة واملاك الأهلين المحترمين ولا تستطيع تأمين حياتهم فليس هناك ما يمكن عمله غير الدفع . ان صديقي بندل كان عرضة لنفس التهديدات ولكنه دفع ولا استطيع مواجهة التهديد بأكثر من ذلك .

وراح يسير في غرفته جيئة وذهابا كالمجنون . وعاد دريك يل يقول في بطء : سوف يدفع مستر فروايانت ولكنى اعتقد أن الدائرة الحمراء قد ذهب بعيدا هذه المرة .

فسأله بار : ماذا تعنى ؟ ..

فتحول يل الى فروايانت وقال له : هل معك الرسالة ياسيدى ؟.

فتح فروايانت احد الأدراج في حدة ، والقى بالبطاقة على المائدة . والتقطها بار وقال وهو يرى الدائرة الحمراء : متى جاءت هذه ؟ ..

ـ في بريد الصباح ..

وقرأ بار الكلمات التالية :

« سنذهب الى مكتب مستر دريك يل في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة المقبل لاستلام المبلغ . احرص على أن تكون أرقام الأوراق المالية غير متتابعة . واذا لم نجد المبلغ فسوف تموت في نفس الليلة » .

قرا المفتش الرسالة المذكورة ثلاث مرات ثم زفر وقال :

ـ حسنا ، ان هذا يبسط لنا الأمور ، انهم لم يذهبوا بالطبع .

ولكن يل قال في هدوء : بل اعتقد انهم سيذهبون . ولكنى سأكون مستعدا لاستقبالهم . وانى انتظر منك المساعدة يا مستر بار .

فقال المفتش في برود : من المؤكد أننى سوف أقدم لك كل ما تريد من مساعدات ولكنى اعتقد أنهم لن يأتوا .

فقال يل : لا اتفق معك في هذه النقطة . فمهما يكن من أمر الدائرة الحمراء ـ رجلا أو امرأة ـ فهو لا تنقصه الجرأة .

واردف يقول مخافتا من صوته : وبهذه المناسبة سوف تلتقى بأحد معارفك في مكتبي .

القى بار الى المخبر السرى نظرة سريعة متشككة ، واذ رآه يبتسم سأله قائلا : هل تعنى دراموند ! ..

واستطرد يقول اذ رآه يومىء برأسه : هل الحقتها بخدمتك ؟ .

ـ انها تثير اهتمامي حقا ، وأعتقد انها سوف تساعدنا مساعدة حقيقية في الاهتداء الى سر هذه المسألة .

ودنا مستر فروايانت منهما عندئذ فغيرا مجرى الحديث .

الفصل العشرون

مفتاح البيت النهرى

تم الاتفاق على أن يسحب مستر فروايانت من المصرف صباح يوم الخميس المبلغ المطلوب وأن يسلمه ليبل ، وأن يذهب بار الى مكتب هذا الأخير قبل الموعـــد المضروب بوقت كاف لكى يضع الترتيبات اللازمة لاستقبال رسول الدائرة الحمراء .

وفى طريقه الى ادارة الأمن العام ، لابد للمفتش بار من المرور بالشارع الذى يقيم فيه جاك بيردمور .

وان الحوادث القاسية المؤلمة التى مرت بهذا الشاب قد صقلته فى وقت قصير فتحول من شاب يافع الى رجل ناضج ، وقد ورث ثروة ضخمة ولكنه ورث معها مسئوليات جسام . ولكنه لم يستطع نسيان تاليا دراموند ، وما برحت صورتها ماثلة أمامه ليلا ونهارا ، وفى صحوه ومنامه ، وعلى الرغم من أنه نعت نفسه بالغباء واستطاع أن يناقش المسألة وان ينتهى الى نهاية منطقية فان كل أسبابه وحججه تلاشت أمام الصورة التى يحملها لها فى قلبه .

وكانت صداقته بالمستر بار قد توثقت . وقد مرت به أوقات كره فيها المفتش طبعا ولكنه كان لا يلبث أن يدرك أن هذا الأخير كان على حق وانه لم يفعل الا ما املاه عليه واجبه .

وفى ذلك اليوم أوشك مستر بار أن يتجاوز بيت جاك بيردمور دون أن يعرج عليه ، ولكن لم تلبث أن واتته فكرة طارئة جعلته يرجى عن عزمه .

وكان جاك قد فرغ لتوه من تناول طعامه فاستقبله قائلا :

ـ تفضل يا مستر بار ... اظنك تناولت فطورك منذ وقت طويل ... هل من جديد ؟ .

فأجابه المفتش بار : لا شىء .. فيما عدا أن مستر فروايانت قد عقد العزم على أن يدفع ..

فقال جاك وهو يضحك فى ازدراء : لم يكن هناك مفر من ذلك .. ولكن الويل كل الويل للدائرة الحمراء بعد ذلك .

فسأله بار وقد لمعت عيناه ببريق الخبث : لماذا ؟ ..
ـ لان ابى المسكين كان يقول عن فروايانت انه اذا اضطرته الظروف الى دفع مليم واحد على الرغم منه فلن يهدأ له بال الا اذا استرده ثانية . وعليه فانه بمجرد أن يتبدد فزعه فسوف يقضي وقته فى مطاردة الدائرة الحمراء بلا هوادة ولن يتركه الا اذا استعاد امواله .
فقال مستر بار : يبدو لي ذلك صحيحا ... وعلى كل حال فان الدائرة الحمراء لم يأخذ المبلغ بعد .
واطلع الشاب على الحوادث الأخيرة ، وعلى مطالب الدائرة الحمراء فقال جاك : ان عصابة الدائرة الحمراء تجاوزت كل الحدود هذه المرة فان ييل رجل ذكى شديد الحذر ولا يمكن لأحد أن يخدعه بسهولة .
فقال المفتش وهو يضع احدى ساقيه فوق الأخرى : هذا ما أعتقده . اننى أحنى رأسى لييل هذا فان هناك أشياء كثيرة تعجبنى فيه ..
فابتسم جاك وقال : قوته فى التخمين والاستنتاج مثلا ؟ .
ولكن المفتش هز رأسه وقال : لا أعرف عنهما الكفاية لكى أعجب بهما فهما من الأمور الغامضة بالنسبة لى ومع ذلك فاننى أستطيع أن أفهمهما نوعا ما ... كلا .. اننى كنت أتكلم عن صناعات أخرى .
ولزم الصمت فجأة .. وادرك جاك انه مكتئب فقال له فى اشفاق :
ـ ان الأمر كثير السوء بالنسبة لك فى هذه الأيام فى ادارة الأمن العام ، أليس كذلك .. فلا أعتقد أنه يروق لهم أن يظل الدائرة الحمراء طليقا .
أومأ بار برأسه وقال : اننى لا أجلس على فراش من الزهور ، ولكنى لا أشعر بأى انزعاج .
ونظر الى الشاب فى حدة وقال : وبهذه المناسبة ، هل تعلم أن صديقتك الصغيرة ظفرت بعمل جديد .
انتفض جاك وقال : صديقتى الصغيرة ؟ .. هل تعنى الآنسة ...
ـ نعم .. اعنى الآنسة دراموند .. لقد الحقها ييل بالعمل عنده .
وضحك المفتش اذ رأى دهشة الشاب . وقال جاك :
ـ ألحق الآنسة تاليا دراموند بالعمل عنده ؟ .. يقينا انك تمزح ..
ـ حسبته يمزح عندما ذكر لى ذلك فى الواقع .. ان ييل هذا طائرة غريب ! ..
وقال جاك : يعتقد الكثيرون انه يجب أن يلتحق بادارة الأمن العام .

وما أن نطق بهذه الكلمات حتى ادرك عدم لباقته . ولكن لم يبد على بار انه تأثر بهذه الكلمات ، واكتفى بأن قال وهو يبتسم ، مع أن المعروف عنه أنه لا يبتسم الا فيما ندر :

ـ ان ادارة الأمن العام لا تلحق كل من هب ودب . والحق انه يجب أن تعمل انت بها يا مستر بيردمور .. كلا . ان صديقنا ذكى أريب وأظنك لا تتوقع ان تقبل ادارة الأمن العام مخبرا غريب الاطوار لا نعتبره اكثر من غبى متطفل ... ولكن ييل ذكى أريب .

وكانا قد اقتربا من النافذة وهما يتحدثان وأطلا منها الى الشارع . وقال جاك بيردمور وهو ينحنى فجأة : أليست هذه تاليا دراموند ؟ .

وكان بار قد رآها هو الآخر . وكانت تسير فى تؤدة فوق الرصيف المقابل وهى تنظر الى أرقام المنازل . ولم تلبث أن اجتازت الشارع فجأة فصاح جاك : انها قادمة هنا .. ترى ما الذى ؟ ..

ولم ينتظر حتى يتم حديثه وانما أسرع الى الباب ففتحه بنفسه قبل أن تمتد أصابعها الى جرس الباب . وقال وهو يضغط على يدها فى قوة :

ـ يسرنى أن أراك يا تاليا ... الا تدخلين ؟ .. عندى صديق قديم لك موجود فى قاعة الطعام .

فرفعت حاجبيها قائلة : الا تعنى مستر بار ؟ .

فضحك جاك وقال وهو يغلق الباب : لقد صدق حدسك ..

ثم سألها فجأة : هل تريدين التحدث معى على انفراد .

فهزت رأسها واجابت : كلا ... اننى قادمة لأبلغك برسالة من مستر ييل فهو يرجوك أن تعيره مفتاح بيتك الواقع على ضفة النهر .

وبلغا فى أثناء ذلك قاعة الطعـــام . وحييت الفتاة مستر بار الذى نظر اليها فى غير اكتراث . وقال جاك يحدث نفســه :

ـ يبدو لى أنك لا تحب صديقتى يا مستر بار .

وذكر له سبب قدوم الفتاة ثم اردف يقول : كان أبى يملك بيتا عتيقا يقع على شاطىء النهر ولا يسكنه الكثير وان من الخير هدمه واعادة بنائه من جديد . ولأسباب خاصة يعتقد ييل أن برابازون قد لجأ اليه فقــد سبق لأبى ان كلفه ببيعـــــه منذ وقت طويل ، وقام برابازون بزيارته مرارا لهذا السبب . ولكن هل تعتقـــد انت ان برابازون قد لجأ اليه ؟ ..

قطب بار حاجبيه فى تفكير ثم قال : كل ما أستطيع قوله هو أن

برابازون لم يغادر البلاد ، ولا أعتقد أنه يلجأ الى بيت من المحتمل زيارته في أي وقت من الأوقات .

وحدق فى تاليا وهو مشغول البال ثم قال : ولكن هذا جائز .. ولا ريب أن معه مفتاحا . هل البيت معد للسكن ؟ .

ـ انه عبارة عن محل تجارى فى الطابق الأرضى تعلوه غرفتان أو ثلاث غرف للسكنى . اننى لم أره ابدا ولكنى اعتقد أنه من ذلك النوع الذى كان يروق للتجار منذ مائتى عام ، عندما كانت التجـارة رائجة على ضفة النهر .

وفتح أحد أدراج مكتبه وأخرج منه مفتـــاحا مثبتا به بطاقة صغيرة وقال : اليك المفتاح يا آنسة تاليا .. هل استطيع أن أسأل ان كان عملك الحالى يروق لك ؟ .

لم يكن هناك شك فى انه استمد جرأة كبيرة لالقاء هذا السؤال ، فقد كان يشعر دائما بالخجل أمام الفتاة . وابتسمت تاليا وقالت : انه عمل خفيف لا بأس به وبعيد عن الاغراء ... ولا استطيع على كل حال أن أقول عنه أكثر من ذلك لأننى بدأته اليوم فقط .

واردفت تقول موجهة الحديث الى مستر بار :

ـ ولكن الشىء المؤكد هو أننى لن اتسبب لك فى أى ازعاج بعد اليوم يا مستر بار ، فليس فى المكتب ما يستحق السرقة فيما عدا سكين من الفضة يستعملها مستر دريك فى فض رسائله .

واستطردت تقول ساخرة : اننى لا أقوم بأى عمل ، ولا حتى ارسال الرسائل فالمكتب مصمم على الطريقة الامريكية ، تصل بينه وبين صندوق الخطابات الخارجى انبوبة من المعدن . وهذا أمر يدعو حقا الى الاستياء .

وكانت تتكلف الجد وهى تنطق بهذه الكلمات ، ولكن كان فى عينيها بريق من الخبث . وقال بار :

ـ انت فتاة غامضة .. ومع ذلك فيك عناصر طيبة .

ويبدو أن هذا التصريح أثار ضحك الفتـــاة حتى كادت عيناها تدمعان . وسرت العدوى الى جاك فضحك هو الآخر . ولكن مستر بار احتفظ بجموده واستطرد : ومهما يكن من أمر فكونى على حذر .

عادت امارات الجد فارتسمت على وجه الفتاة واجابت :

ـ لا تخش شيئا يا مستر بار .. سأتوخى الحذر ، كل الحذر . وعند أول بادرة من بوادر الخطر سأدعوك الى نجدتى على الفور .

الفصل الحادى والعشرون

البيت النهرى

عادت تاليا الى المكتب رأسا . وهناك وجدت دريك ييل جالسا وامامه تل من الرسائل . وخاطبها قائلا :

ــ هل أحضرت المفتاح ؟ حسنا .. أشكرك . ارانى الآن مضطرا الى ان اطلب منك الرد على هذه الرسائل . ان أغلبها من بعض الشباب الأحمق الذى يريد ان يتعلم مهنة المخبر السرى على يدى . ستجدين بين الأوراق خطابات مطبوعة للرد على مثل هذه الرسائل ... اما هذه الرسالة فهى من سيدة وارجو أن تردى عليها بأننى لا استطيع قبول قضايا فى الوقت الحاضر .

وتناول المفتاح الذى القته سكرتيرته فوق المكتب ثم قال :

ــ آه ! .. هل رايت مستر بار ؟ .

فقالت الفتاة ضاحكة : ان لك موهبة خارقة فى الاستنتاج . حقا يا مستر ييل .. نعم .. التقيت بالمفتش بار ، ولكن كيف عرفت ؟ .

هز راسه مبتسما وقال : الأمر بسيط جدا .. وانا لا أزهو كما ترين بموهبتى زهوك انت بجمع ... بعض التحف والآثار الثمينة ..

لم تجب على الفور .. لكنها قالت : اننى فتاة تائبة ..

ــ اعتقد انك سوف تتوبين حقا فى الوقت المناسب .

ثم امرها بالانصراف باشارة من يده ..

وكانت مستغرقة فى عملها على الآلة الكاتبة عندما دخل ييل مكتبها وقال : حاولى الاتصال بمستر بار تليفونيا .. ستجدين رقم تليفونه فى الدليل .

لم يكن مستر بار موجودا فى مكتبه فى تلك اللحظة . ولكنها تمكنت من الاتصال به بعد نصف ساعة . وأعطت المكالمة لمستر ييل وسمعت هذا الأخير يقول من خلال الباب :

ــ أهذا انت يا بار ؟ .. سأذهب لتفتيش بيت بيردمور المطل على النهر ، فاننى اشك فى أن برابازون مختف به .. بعد الغداء ؟ .. حسنا .. سأنتظرك فى منتصف الساعة الثالثة .

سمعت تاليا كل ذلك ودونت بضع ملاحظـــات بالاختزال فى مفكرتها . وفى منتصف الساعة الثالثة تماما أقبل بار . ولم تره تاليا لأنه دخل من الباب الخارجى بالطرقة المؤدى الى المكتب مباشرة ولكنها سمعت صوته . وخرج الرجلان معا ..

وانتظرت حتى ابتعدا ثم أخذت ورقة تلغرافية كتبت عليها عنوان « جونسون ، ٢٣ شارع ملدريد » وهذه الكلمات :

« ذهب دريك ييل لزيارة بيت بيردمور المطل على النهر » .

كان لتاليا دراموند كل العيوب والنقائص ولكنها كانت وفية للعهد الذى قطعته على نفسها .

***

كان البيت العتيق الذى يقع على الشاطىء عبارة عن مجموعة من الأطلال تكسوها طبقـــة من الزبد . وبابه الخارجى متصدع . اما الحديقة الصغيرة التى تحيط به فقد تحولت الى غابة موحشة حتى أنها كادت تطمس الممر المؤدى الى الباب الرئيسى للبيت .

أما البيت نفسه فكان تحفة فيما مضى ولكنه أصبح الآن بنوافذه المنخفضة المكسورة وجدرانه البالية مجموعة من الخرائب .

ويقوم بعد البيت بناء صغير من الحجر ، معدا لتخزين الغــلال فيما مضى . وقد أصابته قنبلة فى أثناء الحرب الأخيرة فهدمت جزءا منه وحطمت بعض جدرانه واحدثت ثغرة فى سقفه ظلت كما هى .

وقال ييل وهو يفتح باب البيت : هذا مكان غامض .. انه المكان المنشود لصاحبنا الأنيق برابازون حقا ! .

كانت الردهة مغطاة بطبقة كثيفة من الغبار ، وقد تعلقت خيوط العناكب فى كل مكان . وفتش الرجلان البيت ولكنهما لم يعثرا على ما يدل على أن شخصا يختفى فيه .

وقال ييل وهو يشير بعصاه الى كوة موجودة فى السقف فى آخر الطرقة المؤدية الى الطابق العلوى :

ـ توجد هنا غرفة مسحورة يبدو أنها كانت تستعمل مخزنا .

واتى بسلم كان موجودا لهـــذا الغرض فصعد فوقه وفتح باب الغرفة ودخل . وسمعه بار يسير داخلها لحظة ثم ظهر ثانية وهو يقول : ليس بها أحد ..

وقال بار : لم أتوقع أبدا أن أجد صاحبنا هنا ..

واجتازا الحديقة عائدين من حيث أتيا بينما راح يراقبهما من خلف شباك صغير وجه برابازون ، المالى المعروف .

الفصل الثاني والعشرون

رسول الدائرة

ــ أنت غبى يا سيدى ! .. كنت احسبك ذكيا ولكنى أرى الآن انك غبى أحمق .

كان مستر فروايانت محنقـــا . وكانت امامه رزمة ضخمة من الأوراق المالية ، كانت السبب في حنقه هذا ، وكيف لا يتملكه الحنق وهو يرى أن هذه الأوراق وشيكة الضياع منه . وراح ينقل بصره بين يبل وبين رزمة المالى . اما يبل فقد كان من العسير اغضابه فقال بدون أى انفعال : لعلك على حق يا مستر فروايانت . ولكنى أقوم بعملى كما يروق لى . واذا حدث وقادتنى هذه الفتـــاة الى الدائرة الحمراء فمن المؤكد اننى سوف أستخدمها .

هز فروايانت أصابعه امام وجه المخبر قائلا : تذكر ما أقول لك .. ان هذه الفتاة من أفراد العصابة ، وسوف ترى يا صديقى أنها هى الرسول الذى سيأتى لاستلام النقود .

فقال يبل : لو صح هذا فسوف نلقى القبض عليهـــــا فورا . صدقنى يا مستر فروايانت ، انه ليس فى نيتى ان أدع هذه الرزمة من النقود تغيب عن عينى لحظة واحدة . ولكن اذا تمكن الدائرة الحمراء من الحصول عليهـــا فسوف أبقى مسئولا عنها ، فان من واجبى ان أحميك وان أبعد عنك ضربات الدائرة الحمراء حتى ولو اضطررت أنا الى ان اتلقاها .

فقال مستر فروايانت مسرعا : حسنا .. حسنا .. انك أدرى بما تفعل يا يبل ، وأرى انك لست من الغباء .. افعل ما تشاء .

واخذ الأوراق المالية وراح يزنها فى يده فى حنو ثم وضعها فى مظروف كبير أعطاه للمخبر السرى .

وعاد يقول : الم تأتى انباء عن برابازون ؟ .. ان هذا الشقى سلبنى اكثر من الفى جنيه وضعتها بناء على مشورته فى احدى عمليات مارل .

فسأله يبل وهو يفتح الباب : هل كنت تعرف شيئا عن مارل ؟ .

ــ لا اعرف أكثر من انه رجل معدوم الضمير ..

فقال يبل فى صبر نافذ : ولكن الا تعـلم عنه شـــيئا آخر ...

سوابقه مثلا .. وماضيه ؟ .. من اين اتى ؟ .

فأجابه فروايانت : اعتقد أنه اتى من فرنسا .. اننى لا اعرف عنه غير القليل ، وجيمس بيردمور هو الذى عرفنى به . وسمعت انه صدرت ضده احكام من فرنسا لأنه قام فيها بأعمال غير مشروعة ، وانه قضى وقتا ما فى السجن . ولكنى لم اعلق أهمية ما على هـذه الشائعات . وقد قدم لى خدمات لا بأس بها ، وربحت من ورائه ارباحا طائلة .

ابتسم مستر بيل وقال لنفسه ان فى مقدور فروايانت ما دام الأمر كذلك ان يغفر لمارل هذه الخسارة الطفيفة .

وعندما عاد الى مكتبه الفى المفتش بار وجاك بيردمور فى انتظار .. ولم يكن يتوقع زيارة ذلك الأخيرة ولكنه أدرك سبب قدومه .

وقال له على الفور أن سكرتيرته غائبة واستطرد يقول مخاطبا بار :

ـ لقد أعطيت الآنسة دراموند اجازة اليوم لأننى أرى ان من الأوفق الا اعرضها الى ما قد يقع هنـــا بعد الظهر .. والى الخطر الذى تروض نفسك الآن على مواجهته .

ونطق بهذه الكلمات الأخيرة وهو ينظر الى مستر بيردمور ، وقال الشاب فى خفة : سوف اشعر بخيبة أمل كبيرة اذا لم يقع شيء ..

وقال بار : ما هى خطتك ؟ .

ـ سوف انسحب الى مكتبى قبل الساعة المحددة وسأحرص بنفسى على اغلاق البابين المؤدين الى المكتب وأحدهما يفضى الى الممر الخارجى والآخر الى مكتب الآنسة دراموند . اما انتما فستبقيان فى هذه الغرفة الصغيرة وتغلقان باب مكتبى من ناحيتكما فما أن تسمعا طرقا على الباب يفتح على أثره الباب المؤدى الى الطرقة حتى تعرفا ان الرسول قد اقبل . وعليكما أن تخرجا الى الطرقة بمجرد أن اغلق الباب .

أومأ برأسه موافقا ثم قال : هذه خطة سهلة جدا ..

ثم سار الى النافذة واطل منها الى الخارج ولوح بمنديله . وقال بيل وهو يبتسم : أرى انك اتخذت احتياطاتك .. كم رجلا معك ؟ .

ـ ثمانون .. ان العمارة محاصرة حصارا محكما ..

ـ حسنا .. ومع ذلك فمن المحتمل أن يرسل لنا الدائرة الحمراء رسولا عاديا لا يعرف شيئا عن طبيعة العمل القادم لأجله . اذا حدث هذا فيجب أن نتعقبـــــه ... أريد أن يصل المال الى يدى الدائرة الحمراء بنفسه فهذا اجراء ضرورى .

فقال بار : انني موافق .. وأعتقد على كل حال أن الدائرة الحمراء لن يأتي بنفسه .. هل يمكنني أن أرى مكتبك الخاص ؟ .
وفحص الغرفة فحصا دقيقا . لم يكن بها غير نافذة واحدة . وفي ركن منها دولاب فتحه ولم يجد فيه غير معطف كبير معلق به .
وقال مخاطبا بيل : أرجو أن تتركني بمفردي في هذا المكتب بضع لحظات ، اذا لم يكن لديك مانع . فانني أريد ان أكون لنفسي صورة عن المكان ولا أحب ان يزعجني أحد بوجوده . شكرا ... سوف أغلق الباب .
خرج بيل وهو يضحك .. واغلق بار الباب ثم فتح الباب المؤدى الى الطرقة وسمعه بيل بعد ذلك وهو يغلقه على الفور ويسير بضع خطوات ثم يقول في صوت مرتفع : يمكنك أن تعود فقد رأيت كل ما أردت رؤيته .
كان مكتب بيل مريحا على الرغم من بساطته .. به مدفأة لا تشتعل فيها النار على الرغم من برودة الجو .
وقال بيل ضاحكا اذ راى ما ارتسم في عيني بار :
ـ لا أتوقع أن يأتى من المدفأة .. اننى لا أشعل النار ابدا فأنا واحد من هؤلاء السعداء الذين تجرى في عروقهم الدماء الحارة ، والذين لا يشعرون بالبرد اطلاقا .
وأخذ جاك المسدس الصغير الموضوع على مكتب البوليس السرى وقد بدا عليه الاهتمام ، فقال له بيل : حذار فهو محشو ..
وأخرج رزمة الأوراق المالية من جيبه ووضعها بجوار المسدس ثم نظر الى ساعته وقال : اظن الآن أن الحكمة تدعونا الى الذهاب الى الغرفة الأخرى وأن نوصد الباب .
وما فرغ من كلماته حتى أوصد الباب المؤدى الى الطرقة . وتمتم جاك يقول : انه لأمر مثير ..
فقال بيل : أرجو الا يكون هناك اثارة أكثر من اللازم .
وانسحب مستر بار وبرفقته الشاب الى الغرفة الصغيرة واغلق الباب على بيل بالمفتاح . وجلس جاك على المقعد الذى تجلس عليه تاليا عند استخدامها للآلة الكاتبة ، وعندما أدرك ذلك أخذته رجفة .
هل تراها حقا من أفراد عصابة الدائرة الحمراء ؟ .. ألقى على نفسه هذا السؤال للمرة العاشرة بعد المائة وهو لا يجد من نفسه الجراة على سؤال مستر بار لمجرد ان هذا الأخير سبق أن اشتبه فيها . وجز على أسنانه . لم يستطع ، بل لم يشأ أن يصدق

ما راته عيناه مع أنها الحقيقة الساطعة . وبدلا من أن يضعف حبه للفتاة ازداد ميلا لها .. انها فتاة مدهشة واذا كانت قد ارتكبت ..

وفي هذه اللحظة التقت عيناه بعيني مفتش البوليس الذى قال له : انني لا أتمتع بتلك الموهبة التى يتمتع بها مستر بيل ، ولكنني أستطيع ان أؤكد لك انك تفكر الآن في تاليا دراموند .

فقال الشاب : هذا صحيح .. هل تعتقد حقا انها شريرة ؟ ..

ـ اذا كنت تشير الى التمثال المسروق من مسكن مستر فروايانت فسوف أرد عليك بأنني لست في حاجة الى الاعتقاد أو عدمه لأنني واثق مما راته عيناى .

لزم جاك الصمت .. كان لا يأمل طبعا أن يقنع مستر بار ببراءة الفتاة . وكان يعرف أن هذا جنون منه لأنها هي نفسها اعترفت بالسرقة ..

وجاءهما صوت بيل من خلال الباب المغلق قائلا : من الأوفق أن تلزما الصمت .

واذعنا على الفور ، ولم ينطقا بكلمة بعد ذلك . وسمعا المخبر السرى يسير جيئة وذهابا بضع لحظـــات ثم ساد الصمت التام . واقتربت الساعة المحددة وأخرج بار ساعته ووضعها أمامه فوق المكتب . كانت قد بلغت منتصف الرابعة . وبقى جالسا في مكانه لا يبدى حراكا وقد استغرق في تفكير عميق .

وصدر صوت في مكتب بيل فجأة .. كان اشبه بصدمة خفيفة كما لو كان المخبر السرى قد جلس فجأة .

ونهض بار قائلا : ما الخبر ؟ ..

فأجابه بيل : لا شيء .. لقد تعثرت .. الزم الهدوء ..

ومرت خمس دقائق وعاد بار يقول : هل انت على مايرام يا بيل ؟ .

ولكنه لم يسمع ردا فصاح بكل قواه : بيل ... هل تسمعنى ؟ ..

ولما لم يسمع ردا أسرع الى الباب وفتحه ، وتبعهجاكالىالداخل .

وكان المنظر الذى طالعهما غريبا يثير دهشة أشد الناس برودا ..

فقد كان بيل راقدا فوق الأرض موثق القـــدمين وقد وضعت الأصفاد في يديه بينما غطى وجهه منديل مبتل . وكانت النـــافذة مفتوحة ورائحة نفاذة من الأثير والكلوروفورم تملأ الغرفة . أما رزمة الأوراق المالية فقد اختفت . وبعد ثلاث ثوان غادر العمارة ساع عجوز وفوق كتفه حقيبة رسائله . ولم يتعرض له رجال البوليس الذين يحاصرون المكان وتركوه يمضى في هدوء .

الفصل الثالث والعشرون

امرأة فى الدولاب

انحنى المفتش بار وبادر فرفع المنديل الذى يغطى وجه المخبر السرى . وفتح هذا عينيه والقى حواليه نظرات زائفـــة وقال فى اعياء : ما الذى حدث ؟ ..

ولكن بار كان فى شغل شاغل عنه فى فك الأصفاد فلم يجبه على الفور . واخيرا وقعت على الأرض بينما كان جاك بيردمور يقطع وثاق قدميه .

وتعاون الرجلان على حمله الى احد المقاعد . وجعل بيل يأخذ نفسه فى قوة وهو يضع يده فوق جبينه . وعاد يقول :

ــ ما الذى حدث ؟ ..

فأجابه المفتش : هذا ما أود معرفته ... من اين ذهبوا ؟ ..

فهز بيل رأسه وقال : لا ادرى .. لا اذكر شيئا .. هل الباب موصد ؟ ..

اسرع جاك الى الباب المؤدى الى الطرقة فألفاه مغلقا بالمفتاح والمفتاح من الداخل فأدرك ان المعتدين لم يأتوا من هذه الناحية .. ولكن النافذة كانت مفتوحة على مصراعيها . وكانت هى أول شىء رآه بار عند دخوله فأسرع اليها وأطل الى الخارج . ولكنها كانت ترتفع عن الأرض بأكثر من ثلاثين مترا ، ولم يكن بجوارها اى بروز أو حتى ماسورة يستعين بها اى شخص على الفرار . وقال بيل عندما عادت اليه حواسه :

ــ لا ادرى حقا ما حدث . كنت جالسا أمام المكتب عندما شعرت بالمنديل فوق وجهى وبيدين تضغطان على كتفى بقوة لم اكن اظن انها تصدر من مخلوق بشرى ... وقبل ان أتمكن من الخلاص كنت قد فقدت رشدى .

فسأل المفتش : هل سمعتنى وانا اناديك ؟ .

فهز الآخر رأسه .. وقال جاك بيردمور : ومع ذلك فقد سمعنا صوتا مكتوما ، وعندما سألك مستر بار من خلال الباب أجبته بأنك تعثرت .

فقال يبل : لم أكن أنا الذى أجبته . لا أذكر شيئاً على الاطلاق منذ اللحظة التى وضع فيها المنديل فوق وجهى الى أن عدت الى صوابى .

وعاد بار الى النافذة ففتحها وأغلقهـــا مرارا ونظر الى قاعدتها فى عناية . وعندما تحول اليهما كان يبتسم . وقال :

ــ هذا أجرأ اعتداء رأيته فى حياتى ..

فصاح جاك وقد استيقظ نفوره القديم من المفتش البدين :

ــ لا أجد فى هذا الاعتداء موجبا للمديح ، فقد أوشك ذلك المجرم أن يقتل يبل وأفلح فى الهرب .

فعاد بار يقول فى توكيد : ما زلت عند قولى . ان المسألة كلهـا دبرت بطريقة بارعة . والآن سأرى ان كان رجالى قد رأوا شيئا اولا ..

ولكن رجال البوليس الموجودين بالطرقة وفى الشارع لم يستطعوا أن يذكروا شيئا يذكر لأنهم لم يروا احدا يدخل أو يغـــادر العمارة فيما عدا ساعى البريد .

وصاح المفتش بار : ساعى البريد ! .. آه . طبعا .. حسنا أيها الجاويش ، يمكنك أن تنصرف .

واستقل المصعد ولحق بيبل وقال له : لقد اختفى المال تماما ولا يمكننا أن نفعل شيئا الآن الا ان أقدم تقريرا لرؤسائى .

وعاد يبل الى كامل صوابه عندئذ . وجلس الى مكتبه وأخذ رأسه بين يديه وقال :

ــ ان المسئولية تقع على وحدى هذه المرة ، ولا يمكن أن يوجه اليك أى لوم يا مستر بار . ما زلت اتســـاءل كيف أمكنهم الوصول الى النافذة والدخول منها من غير أن أسمع لهم صوتا .

ــ هل كنت تولى ظهرك للنافذة ؟ ..

ــ نعم ، فلم يخطر ببالى قط أن يدخلوا من هذه الناحية . كنت جالسا أنظر الى البابين .

ــ وهل كنت تولى ظهرك للمدفأة أيضا ؟ .

فأجابه المخبر السرى : لا يمكن أن يقدموا من هذه الناحية . آه .. هذا سر مستغلق لم أصادف مثله فى حياتى الحافلة ... سر أشد غرابة من الدائرة الحمراء نفسه ... والآن يجب أن أذهب الى هذا العجوز المسكين فروايانت فأبلغه أن ماله سرق . لن يكون الأمر هينا . أرجو أن تكون كريما فترافقنى لأنه سيكون شديد الغضب .

وخرجا معا وأوصد يبل البابين خلفه ووضع المفتاح فى جيبه .

وكان فروايانت مخيفا فى غضبه وحنقه الى أبعد الحدود وصاح :

ـ انك قلت لى .. بل انك وعدتنى بأن المال سيعاد الى فورا ... ولكن بدلا من ذلك تأتينى بقصة غريبة لا تعقل وبيدين فارغتين ... هذا مروع ؟ .. اين كنت فى هذه اللحظة يا مستر بار ؟ ..

فأجابه المفتش بار وهو لا يملك نفسه من الابتسام : فى الناحية الاخرى من الباب . ومهما يكن فان قصة مستر يبل صحيحة .

وفجأة . وعلى غير انتظار انفثأ غضب فروايانت وقال فى حدة :

ـ حسنا ... ان الدائرة الحمراء حصل على المال . وهذا كل شىء . أشكرك يا مستر يبل ... وارجوك أن ترسل لى فاتورة بأتعابك .

وانتهت المقابلة على أثر هذه الكلمات وانصرف الرجلان . ولحقا ببيردمور ، وكان بانتظارهما فى الخارج .

وقال بار : هذا الرجل قمين بأن يملك زمام نفسه . مر بى وقت خيل الى فيه انه سينفجر ولكنه استرد جأشه فى أقل من لحظة . هل لاحظت ذلك يا مستر يبل ؟ .

فأجاب يبل فى لهجة حالمة : اجل ..

والحق أن التغيير الذى طرأ على فروايانت قد اثار دهشة يبل بدوره ولكن بطريقة اخرى فقد تولد فى ذهنه شك قاتل .

وعاد بار يقول فى مرح : الآن وقد عاونتك على اجتياز محنتك هنا أرجو أن ترافقنى وتعاوننى على اجتيازها فى ادارة الأمن ، فاننى لا اتمتع هناك بنفس الحظوة التى تتمتع بها . هلم معى لنقدم تقريرنا الى مدير البوليس .

بقى مكتب دريك يبل كما تركه الرجال الثلاثة وخيم الصمت .

ومرت عشر دقائق بعد انصرافهم عندما سمع صرير كأنه من قفل . وفى بطء انفتح باب الدولاب الكبير القائم فى ركن من الفرفة وخرجت منه تاليا دراموند .

واغلقت الباب خلفها فى عناية وحرص كبيرين ، وبقيت واقفة فى وسط الفرفة وهى فى دوامة من الأفكار . وأخيرا أخرجت من جيبها مفتاحا فتحت به الباب المؤدى الى الطرقة وخرجت واغلقت الباب من الخارج . ولم تستخدم المصعد بل غادرت العمارة من سلم الخدم وتسللت الى الشارع حيث انضمت الى جمهرة المشاة .

الفصل الرابع والعشرون

١٠٠٠٠ جنيه مكافأة

« يقدم اتحاد مصارف انجلترا مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه لمن يقدم معلومات تؤدى الى القبض على رئيس العصابة المعروف باسم الدائرة الحمراء . ويعلن اتحاد المصارف ، فوق ذلك ، انه جاءه ضمان من الحكومة بأنها ستمنح اى فرد من افراد هذه العصابة فيما عدا زعيمها عفوا شاملا اذا ما ذكر اية معلومات تؤدى الى القبض على الدائرة الحمراء نفسه » .

كان هذا الاعلان مطبوعا بالحروف الكبيرة وملصقا فى كل مكان ، فى المحطات ومكاتب البريد ومواقف الأوتوبيس .

ورآه دريك ييل وهو عائد إلى مكتبه وتساءل عن اثره على افراد عصابة الدائرة الحمراء .

وقراته تاليا دراموند وهى تنتظر الاوتوبيس وابتسمت ، ولكن كان مستر فروايانت هو الذى أصابته الدهشة أكثر من غيره ، فما كاد يفرغ من قراءته حتى عاد اللون الى وجهه ولمعت عيناه . وكان فى طريقه الى مكتبه ولكنه بعد أن قرأ الاعلان قفل عائدا الى بيته وأخرج من درج مكتبه كشفا بأرقام الأوراق المالية التى استولى عليها الدائرة الحمراء ونقل صورة طبق الأصل . واقتضى منه ذلك وقتا طويلا ، وعندما فرغ أخيرا كتب رسالة ارفق بها كشف الأرقام ووضعها فى مظروف كتب عليه عنوان مكتب تخصص فى البحث عن الأوراق المسروقة او الضائعة وذهب فأودعه بنفسه صندوق البريد .

كان مستر هيجيت قد سبق أن أدى له خدمات كثيرة فيما سبق . وفى اليوم التالى أقبل مستر هيجيت ، لزيارة المليونير .

لم يكن اسم هيجيت من الأسماء اللامعة المحترمة أو من الذين يوثق بهم ، ومع ذلك فقد كان مكتبه ناجحا له عملاء كثيرون ، وان كان اغلبهم يعيشون على هامش القانون . وعلى الرغم من ذلك كانت الغالبية الكبرى من اصحاب المال المشهورين تلجأ اليه ، فانه كان يعرف دائما وبطريقة ما كيف يزودهم بنصائحه لاسترداد ما فقدوه

بدون اثارة فضائح او متاعب ، فقد كان فى مقدوره دائما ان يرشدهم الى « شخص ما » سمع شيئا عن « الشيء المفقود » ، وكان ذلك الشيء المفقود يرد اليهم فى اغلب الأوقات .

وقال هيجيت مخاطبا فروايانت ، لقد قرأت رسالتك واستطيع ان أقول لك ان الاوراق المالية التى ارسلت الى كشفا بأرقامها لن تصرف بالطبع بنفس الطريقة المألوفة فى مثل هذه الظروف .

وامسك هنيهة ثم استطرد يقول : ان ابرع موزع للأوراق المالية المسروقة قد اختفى ، ولا افترى عليه عندما أقول عنه ابرع موزع ..

— ومن هو ؟ ..

— برابازون ..

وكان ردا عجيبا .. فنظر اليه الآخر فى دهشة وقال :

— برابازون ؟ .. هل تعنى ذلك المالى الهارب ؟ .

— هو نفسه .. لقد كان ابرع واكبر موزع للمستندات والأوراق المالية المسروقة فى انجلترا كلها . والحق أن هذا العمل كان من صميم عمله وخاصة فى الخارج . كان يقوم بتصريف جميع الأوراق التى يعترض عليها اصحابها فيصرفها بسهولة . على ان ذلك انتهى به الى اسوأ مصير ... ونحن نعرف كيف اصابته هذه الضربة .

واستدرك قائلا : وعندما اقول نحن نعرف يجب ان تدرك اننى انما اعنى مجرد استنتاجات فاننا لا نملك أدلة دافعة تأخذ بهـا المحاكم ، وبهذا لا نستطيع ان نؤدى اى خدمة لرجال القضاء ... اما بخصوص أوراقك المالية فمن العسير اقتفاء أثرها لان اغلب الأوراق المالية توزع فى أندية السباق أو على موائد القمار ، وبعضها يوزع فى الخارج حيث يقوم الوسطاء بتوزيعها بسهولة ... اتقول ان السارق هو الدائرة الحمراء ؟ ..

— نعم .. هل جمعتك به أو بعصابته صلة ما ؟ .

— كلا .. ولا اعرف عنهم الا انهم رجال بارعون .. ومن المحتمل أن برابازون قد أسدى لهم خـــدمات جليلة . واذا صح ذلك فانه بنقصهم الآن موزع لأموالهم ، ومن العسير ان يجدوا بديلا له . ماذا يجب أن افعل اذا اهتديت الى اثر اوراقك المالية .

— أود ان تخطرنى على الفور .. انا وحدى ، ولا أحد غيرى ، فأنت ترى أن الدائرة الحمراء لو علم أننى أحاول الاهتداء الى هذا المالى فلن يكون مصيرى سوى الموت .

اوما رجل الأعمال . كان الدائرة الحمراء يثير اهتمامه من غير شك

لانه بقى مدة طويلة يتبادل الحديث مع مستر فروايانت عن هذا الاخير دون ان يفطن .

ـ لقد اتخذ هؤلاء المجرمون طريقة جديدة ، ففى ايطاليا توجد مؤسسات شـبيهة باليد السوداء تخصصت فى ابتزاز المال تحت تهديد الموت . ولكن هذه الأشياء كانت تبدو بعيدة الاحتمال فى انجلترا . واغرب ما فى الأمر هو اخـلاص أفراد الدائرة الحمراء لزعيمهم فلا خيانة ، ولا وشاية ... وأكاد اعتقد أن هناك رجلا واحدا يستخدم اعوانا كثيرين ويرسم لكل منهم الدور الذى يجب عليه القيام به ولكن دون أن يعرف بعضهم بعضـا . وحتى أعوانه لا يعرفون شخصية هذا الزعيم ، ولولا ذلك لافتضح أمره منذ وقت طويل .

ونهض مستر هيجيت وقال قبل أن ينصرف : وعلى فكرة .. هل كنت تعرف مستر فليكس مارل ؟ .. ان رجلا اسمه بلرنيت اغتصب خزانته فى الليلة التى لقى فيها مصرعه بهذه الطريقة الغريبة .

ابدى فروايانت اهتماما عندما سمع ذكر مارل وقال : نعم ، لماذا ؟

فأجاب هيجيت وهو يبتسم : لقد كان رجلا غريب الأطوار .. كان منضما فيما سبق الى عصـابة اللصوص ينبثون فى الأوساط المالية الفرنسية .. وقد جاءنى وكيل اعماله اليوم وذكر لى ان زوجة مارل تطالب بثروته . والظاهر ان مارل ورجلا آخر اسمه لايتمان جمعا ثروة فى فرنسا على اثر ارتكابهما جرائم كثيرة . وكان من حسن حظ مارل أن الأدلة لم تثبت ضده . أما لايتمان فقدحكم عليه بالاعدام .

فقال مستر فروايانت : لا ريب أن مستر مارل كان رجلا ظريفا ..

فابتسم المحامى وقال : لـكل منا نقطة ضعفه ..

اغضبت هذه الملاحظة مستر فروايانت لأنه كان يعتقد أن حياته لا تشوبها شائبة . وكان فى قول هيجيت ما يشتم منه غير ذلك .

لم يكن برابازون اذن غير موزع للأموال المسروقة فى حين كان مارل قاتلا . وتساءل فروايانت كيف أمكن لهـذا الأخير الافلات من السجن الذى حكم عليه به . وحمد الله على انه لم يعهد الى هذا المجرم بأموال أخرى .

وارتدى ثيابه وذهب لتناول عشاءه فى النادى . ووقفت سيارته فى ركن أحد الشوارع ورأى للمرة الثانية الاعلان الخاص بالدائرة الحمراء ، وتذكر عندئذ بانه فقد خمسين الف جنيه .

ـ عشرة آلاف جنيه مكافأة ... أيحدث هذا ؟ ولكن من يجرؤ .. ولا حتى برابازون نفسه ! ..

الفصل الخامس والعشرون

المقيم بالبيت النهرى

راح مستر برابازون يقضم فى بطء قطعة من الخبز والجبن وهو جالس فى الفرفة المسحورة الكائنة بالبيت العتيق القائم على شاطىء النهر . وكان لا يزال مرتديا الاسموكنج الذى كان يرتديه فى تلك الليلة التى هرب فيها قبل أن يلقى رجال البوليس القبض عليه . ولكن أناقته ولت واتسخت ثيابه واستحال قميصه الى اللون الرمادى واختفت ياقته وبدا بلحيته التى لم يحلقها منذ خمسة عشر يوما كأنه شاخ عشر سنوات .

وبعد أن فرغ من وجبته الخفيفة فتح الكوة فى حذر وهبط الى غرفة المطبخ ، ولم يكن بها مناشف ولا صابون ولكنه حاول الاستغناء عنهما بأن مسح وجهه فى المنديلين اللذين معه . كان قد أسرع بالهرب فلم يأخذ معه شيئا غير الثياب التى يرتديها ومعطفه .

كانت قطعة الخبز الممزوجة بالجبن التى فرغ من تناولها منذ لحظات هى آخر الزاد الذى أحضره اليه الرجل المجهول ذات ليلة ، وقد أحس الآن بأنه لم يعد فى حالة تمكنه من المقاومة فقد قضى خمسة عشر يوما فى مخبأ ، وهو فى خوف من أن يهتدى رجال البوليس اليه .

وكان قد اختبأ فى ركن خلف باب الغرفة المسحورة عندما صعد بيل إليها لتفتيشها ، وما زالت ذكرى الخطر الذى تعرض له تؤرقه.

وتمدد فوق مقعد عتيق وجده فى الطابق الأرضى ليقضى الليل .. وهو يفكر فى أن الرجل المجهول الذى أخطره قبل قدوم البوليس بساعة والذى أتاه قبل ذلك بالزاد لن يتأخر عن القدوم .

وكان برابازون لا يزال يفكر فى أمره عندما سمع مفتاحا يدور فى قفل فنهض على الفور وأسرع يرقى السلم المؤدى الى الفرفة المسحورة ، وهم بفتح الكوة عندما سمع صوتا يقول له : اهبط .

وأذعن برابازون للصوت ، وكان قد اعتاد على الظلام وتقدم الى الدهليز ، وكان أشد ظلاما من باقى البيت ، حيث تم فيه أول حديث مع الغريب .

وقال له الصوت فى اللحظة التى بلغ فيها أول الطرقة :

ـ ابق حيث انت الآن . انني اتيتك ببعض الطعـــام والثياب ، وسوف تجد في هذه الربطة كل ما يلزمك .
وسأله برابازون : واين انا ذاهب ؟ ..
ـ انني حجزت لك مقصورة على الباخرة التي تغـــادر رصيف فيكتوريا بعد غد الى نيوزيلندا . وسوف تجد تذكرتك وجواز سفرك في الربطة . والآن ، اصغ الى جيدا ... احلق شاربك وحواجبك ايضا فانها ملفتة للنظر .
حدث برابازون نفسه فقال ان الرجل الغريب لا ريب قد رآه قبل ذلك . ورفع يده الى حاجبيه فأدرك أن زائره على حق .
واستطرد الغريب فقال : لم أحضر لك نقودا فما زالت الستون الف جنيه التي سرقتها من مارل يوم أن قفلت حسابه معك ، لأنك اعطيته شيكا زائفا اذ كنت تعلم انني سأقتله .. وقد قتلته .
فقال برابازون متلجلجا : من أنت اذن ؟ .
ـ انا الدائرة الحمراء ، لا تسلني شيئا آخر ، لقد سبق أن تقابلنا .
فتلعثم المالى وقال : أجل ... أجـــل .. اظن انني سأصاب بالجنون هنا .. متى يمكنني أن اغادر البيت ؟ ..
ـ يمكنك أن تخرج غدا .. ولكن عليك أن تنتظر حتى هبوط الليل . ان سفينتك لن تغادر الميناء الا صباح اليوم التالى ، ويمكنك أن تذهب اليها مساء الغد .
ـ ولكن ألن يستجوبونني عند صعودى الى ظهر الباخرة ؟ ...
فأجابه الصوت : ولكنك لن تتعرض لأى خطر ،والآن،أعطنى نقودك ..
ـ نقودى ؟ .
ـ نعم .. كلها ..
وكان يتكلم في قوة وتهديد بحيث ارتجف برابازون واطاعه على الفور فأعطاه رزمتين من الأوراق المالية ناوله الغريب بدلها رزمة ما أن لمسها برابازون حتى أدرك أنها أوراق جديدة .
وقال الغريب : يمكنك استبدالها في الخارج ..
فسأله برابازون : ألا يمكنني أن أخرج الليلة ؟ ..
لم يجب « الدائرة الحمراء » على الفور ، وفكر هنيهة قبل أن يقول : حسنا .. اذا شئت .. ولكن لا تنس أن في ذلك مجازفة . والآن ، اصعد .
وكانت لهجته يشوبها الأمر بحيث لم يسع المالى الا الاذعان .
ومرت لحظات قبل أن يسمع الباب وهو يغلق ، ومن خلف النافذة

رأى شبحا يتسلل الى الحديقة ومنها الى الشارع .
واسرع بالهبوط واخذ يبحث عن الربطة التى احضرها له الزائر متحسسا ، ثم هرع الى المطبخ حيث أمكنه اشعال شمعة وهو آمن وواثق ان احدا لن يرى نورها . وكان أول ما فعله بعد ذلك انه راح يعد النقود ، وكانت كلها أوراقا مالية جديدة غير متتابعة الأرقام بينما كانت ارقام أوراقه متسلسلة .
وعندما غادر مخبأه كان قد تغير شكله واصبح نظيفا مهندما حليق الشارب والحاجبين ، ومر امام عدد كبير من رجال الشرطة الذين يعرفون أوصافه من غير أن يتعرفوا عليه .
واستأجر غرفة فى فندق صغير قريب من محطة ايستون ، وتمدد فوق الفراش . وكانت هذه هى أول ليلة هادئة يقضيها منذ فراره .
وقضى طوال اليوم التالى فى غرفته ، ولكنه خرج فى الليل بعد أن تناول العشاء . وشعر بالثقة والهدوء وهو يمر امام رجال البوليس دون أن يلتفتوا اليه وبدأ يراوده الأمل . ومع ذلك فقد عكف على اختيار الشوارع غير المزدحمة ، وعندما بلغ المتحف رأى اعلانا مطبوعا بالحبر الأحمر دفعه الفضول الى قراءته .
وما ان فرغ من قراءة ذلك الاعلان حتى خطرت له فكرة ... عشرة آلاف جنيه والعفو الشامل ! هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى ، لم يكن لديه اى امل فى الوصول الى الباخرة فى أمان . وهبه استطاع ان يصل اليها فما الذى يمكنه ان يفعل فى نيوزيلندا ؟ .. سوف يقضى فيها حياة ولا حياة الكلاب ، وخصوصا بعد أن تنفد نقوده ... عشرة آلاف جنيه والحرية ... ولن يعرف أحد ابدا أين ذهبت أموال مارل ... فى مقدوره أن يودعها صباح الغد خزانة احد البنوك ثم يذهب بعد ذلك الى ادارة الأمن فيدلى اليهم بالمعلومات التى تكفل لهم القبض على الدائرة الحمراء .
وقال فى صوت مرتفع : سوف افعل هذا ..
ورد عليه صوت يقول : وحسنا تفعل ..
فرفع عينيه ورأى أمامه رجلا بدينا كان قد اقترب منه فى صمت فهتف يقول : المفتش بار ! ..
واجابه المفتش : هو ذلك .. والآن ، لعلك تؤثر أن تأتى معى فى هدوء يا مستر برابازون ؟ .. اننى انذرك ان المقاومة لن تجديك ! .
وعندما بلغا مركز البوليس شاهدا امرأة تخرج لم يعرف فيها برابازون احدى موظفاته السابقات وذلك لفرط ما اعتراه من اضطراب .

وخاطبه بار قائلا : يمكنك أن توفر على نفسك الكثير من المتاعب والمشاق فتذكر لنا كل ما تعرفه ، ويمكنني أن أعيد الى ذاكرتك اذا كنت نسيت انك قضيت الليلة الماضية وطوال نهار اليوم في فندق برايت بشارع ايستون ، وان هناك مقصـــــورة محجوزة لك باسم تومسون على الباخرة التى تبحر غدا فى نيوزيلندة .

فصاح برابازون يا اله السموات ! .. كيف عرفت كل هذا ؟ ..

ولم يخبره بار .. ومهما يكن فان برابازون لم يخطر له خداع رجال البوليس فذكر لهم كل ما يعرفه ، وخاصة ما حدث له منـذ اللحظة التى جاءته فيها تلك المكالمة الغامضة التى تخطره بالخطر الذى يتعرض له الى تلك التى ألقى المفتش بار فيها القبض عليه .

وقال بار فى تفـــكير : كنت اذن طوال الوقت فى ذلك البيت المتهدم ؟ .. ولكن ماذا فعلت حتى لا يراك ييل عند تفتيشه البيت ؟ .

فسأله برابازون : آه .. هل كان ييل ؟ .. حسبتك انت الذى صعدت الى الفرفة المسحورة .. حسنا ، لقد اختبأت خلف الباب ولم يفعل ييل أكثر من ان يفتحه وان يلقى نظرة سريعة .

ـ اذن كان ييل على حق ؟ .. أليست لديك أقوال أخرى ؟ ..

ـ اريد أن أقـول كل ما اعرفه عن الـدائرة الحمراء . واظن أن ما سأدلى به اليكم سيساعدكم على القاء القبض عليه .

واستعاد رباطة جأشه واستطرد : ذكرت مرة أنه أخذ أوراقي المالية واعطاني اوراقا اخرى بدلا عنهـــا ... هذه الأوراق الأخيرة ارقامها غير متتابعة فى حين كانت أرقام أوراقى متتابعة ولكنها من مجموعة ح ١٩ . ويمكننى أن اذكر لك أرقامها .

فقال مستر بار : لا ريب أنها أموال مستر فروايانت . استمر ..

ـ انه لم يجد الجرأة فى توزيعها فاستبدلها بأوراقى ليتمكن من ذلك . ويمكنك ان تعرف الفائدة اذا ما أعطيتكم أرقامها .

وفيما بعد ، وفى بيت فروايانت شرح له الموقف . ولم يحـاول الرجل الشحيح اخفاء خيبة أمله لأن يظهر انه على الرغم من الظروف التى استعيدت فيها الأوراق المالية فان عليه أن يطالب بها . وبعد فترة اضطره مستر بار الى ان يغير أفكاره فراح يتكلم فى هدوء ثم قال فجأة : ألديك أرقام الأوراق التى أعطاها برابازون للرجل ؟ ..

فقال بار : أن من السهل تذكرها ، فهى أرقام متتابعة .

واخذ يذكر له أرقامها فى حين أخذ فروايانت ينظر الى مفكرة فوق مكتبه نظرة سريعة ليتحقق من صحة الأرقام .

الفصل السادس والعشرون

أم مستربآر

علم جاك بيردمور بنبأ القبض على برابازون فأسرع الى ادارة الأمن لمقابلة المفتش بار ، وهناك قال له الموظف المنوب ان المفتش عاد الى بيته واردف يقول :

ـ اذا كنت تريد أن تراه لأمر هام يا مستر بيردمور فسوف تجده فى بيته بشارع ستامفورد .

تردد جاك .. لم يكن الأمر عاجلا . وقد اطلعه دريك بيل تليفونيا على كل ما يعلم .

لقد تحدث اليه المخبر السرى وقال له : ان بار يعتقد أن القبض على برابازون ستكون له عواقب كبيرة الأهمية ... كلا . اننى لم ار برابازون بعد ولكن يجب أن أرافق بار غدا الى السجن .

واردف بيل يقول انه ذاهب الليلة الى المسرح ، ولم يجرؤ جاك ان يسأله اى مسرح ..

ووقف جاك برهة طويلة مترددا قبل أن يستوقف سيارة أجرة .. لا ريب أن مستر بار ستتملكه الدهشة لهذه الزيارة المفاجئة التى لا يبررها شيء . ولكنه مع ذلك استقل السيارة وقد دفعه تصميم مفاجيء . وامام باب الفيللا الصغيرة التى يملكها المفتش بار تردد لحظة ثم دق الباب اخيرا .

وفتح المفتش بار الباب بنفسه . وبدا جامد الأسارير كعادته وهو يقول :

ـ تفضل يا مستر بيردمور .. اننى جئت منذ لحظات وما زلت أتناول عشائى . اظنك تناولت عشاءك منذ وقت طويل ؟ .

ـ يؤسفنى أننى أزعجتك يا مستر بار .. ولكنى سمعت بنبأ القبض على برابازون وظننت من الأوفق أن اتحدث معك بشأنه .

ودخل غرفة الطعام واغلق الباب خلفه فى حرص ووجد عمة مستر بار جالسة ، وهى سيدة عجوز ، تملأ وجهها التجاعيد . ومرت دقيقة او دقيقتان ثم سمع صوت اقدام تروح وتجيء . وفتح الباب اخيرا

وظهر بار وقد اصطبغ وجهه وقال :
ـ والآن يا مستر بيردمور .. ماذا تريد ؟! ..

فاعتذر جاك للمرة الثانية ثم قال : ان عصابة الدائرة الحمراء معقدة لدرجة انني اصبحت أشتبه في أقرب المقربين الي .. هل تعتقد ان القبض على برابازون سيساعد في معرفة رئيس هذه العصابة ؟ .

ـ لا أدري .. هذا محتمل ولكنه غير مؤكد . انني كلفت رجالي بالا يتركوه يغيب عن أعينهم لحظة واحدة . وقد أصدرت اوامري بحيث لا يتمكن السجان نفسه من دخول زنزانته ..

ـ لعلك تخشى أن يتكرر ما حدث لسيبلي ، قاتل أبي ..

ـ أجل ... الا ترى يا مستر بيردمور أن تسمم سيبلي سر من الأسرار العجيبة التي أقدم عليها الدائرة الحمراء ؟ .

وكان يتكلم في لهجة طبيعية .. ولكن كان في عينيه بريق ساخر لمحه الشاب في شيء من الدهشة فسأله :

ـ هل تتكلم جادا ؟ .. ظننته من الأسرار المستغلقة ... الا تعتقد ذلك ؟ ..

ـ أوه ، طبعا . من ناحية ما .. ان موت سيبلي غير المتوقع في رأيي أكثر أهمية من القبض على برابازون .

وقالت العمة العجوز وهي ترتجف : دائمـــــا هذا الحديث عن الجريمة والمجرمين . هذا أمر مزعج حقا ياجون ... لو ان ماما هنا لاستخفها الطرب ، فهي مشغوفة بهذا النوع من الحديث .

فأسرع بار يقول : نعم .. يا عمتي .. انك على حق ..

وعندما غادرت العمة غرفة الطعـــــام لم يملك جاك نفسه من الابتسام وقال :

ـ يبدو أن ماما هذه تشغل بال عمتك كثيرا .

وخشي أن يكون قد تطفل ولكن المفتش بار ضحك وقال :

ـ نعم .. طبعا .. انها تفكر فيها كثيرا .. وأنا ايضا .. انهــا لا تقيم معنا الآن ...

ـ أهي امك يا مستر بار ؟ ..

فأجابه المفتش : كلا ... بل جدتي ..

ونظر جاك بيردمور اليه مشدوها ..

الفصل السابع والعشرون

طلقة فى الليل

كان المفتش بار يناهز الخمسين من عمره ، وبحسبة بسيطة امكن لجاك أن يعرف على وجه التقريب سن الجدة التى يروق لها الحديث عن الجريمة والمجرمين والتى تجيد تنسيق البيت .

وقال : لا ريب انها امرأة غريبة الأطوار ، واعتقد انها تهتم كثيرا بالدائرة الحمراء .

ضحك المفتش وقال : كل الاهتمام .. لو انها كانت مكانى لما بقى هذا المجرم طليقا حتى الآن .

وجرى الحديث بينهما ، وراح الشاب يسائل نفسه أثناء ذلك لماذا تبدو غرفة الطعام غير مرتبة مع ان كل شىء كان فى مكانه كما هو ظاهر . ولكنه سرعان ما نسى هذا الأمر ، فقد كان المفتش بار محدثا لبقا ، وقد تكلم كثيرا وأسر الى جاك أن رئيسه وجه اليه لوما واردف يقول :

– ان ادارة الأمن طبعا فى موقف حرج ازاء الرأى العام بسبب هذه الجرائم المتتابعة التى لم أستطع وقفها . والحق أننى أعتقد أنه منذ قضية « ريبر » ، سفاح النساء ، لم يشهد العالم مثل هذه الجرائم الغريبة ، وقد يهمك أن تعرف يا مستر بيردمور ان هذه أول مرة منذ خمسين عاما نجد انفسنا أمام منظمة اجرامية كمنظمة الدائرة الحمراء . ان مثل هذه المنظمات تهدم نفسها بنفسها فى العادة لأنه لا يمكن أن تدوم الا على اخلاص كل فرد من أفرادها . ولم أر قط حتى الآن عصابة لم يخن أعضاؤها بعضهم بعضا ، ولكنى أعتقد ان منظمة الدائرة الحمراء يشرف عليها رئيس لا يعطى أسراره لأحد من رجاله وان هؤلاء لا يمكن ان يشوا به لسبب وجيه وهو أنهم لا يعرفونه معرفة شخصية . بل ان أفراد العصابة أنفسهم ليس فى مقدورهم الوشاية ببعضهم بعض لسبب بسيط وهو أنه ليس بينهم من يعرف الآخر .

واستطرد يحدث جاك عن قضايا شهيرة اشترك فى تحقيقها ،

وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة عندما نهض الشاب .

وقال المفتش : سأرافقك حتى الباب ، هل سيارتك بالخارج ؟ .

ـ كلا ... فقد اتيت فى سيارة أجرة ..

ـ حسبت غير ذلك ، فاننى رايت عربة واقفة أمام البيت ، وليس فى الحى من يملك سيارات . لا ريب انها عربة احد الأطباء .

وفتح الباب .. وكانت هناك عربة سوداء تقف على بعدبضعةأمتار .

وقال المفتش : يخيل لى اننى رايت هـذه السيارة من قبل .

وتقدم خطوة خارج الباب ، وفى نفس اللحظة انبعث لهب احمر من جوف العربة دوت على أثره طلقة . ووقع المفتش بار بين ذراعى جاك بيردمور ، وما هى الا لحظة حتى انطلقت العربة باقصى سرعة واختفت فى منعطف الشارع .

واقبل شرطى على صوت الرصاصة ، وساعد جاك فى حمل المفتش الى غرفة الطعام . ولحسن الحظ كانت العمة العجوز قد أوت الى فراشها فلم تسمع شيئا .

وفتح المفتش بار عينيه وقال : انها صدمة عنيفة ! ..

وفتح قميصه وأخرج رصاصة وهو يقول : يسرنى أن صاحبنا لم يستخدم مسدسا أوتوماتيكيا .

واذ راى الدهشة التى ارتسمت على وجه جاك استطرد يقول :

ـ ان الدائرة الحمراء واحد من الأشخاص الثلاثة الذين يرتدون قميصا واقيا من الرصاص ، وأنا الشخص الثانى .. اما الشخص الثالث فقد علمت أنه هو تاليا دراموند ..

ولزم الصمت مدة طويلة ثم طلب من جاك ان يتصل ببيل تليفونيا وهو يقول : سوف تكون دهشته كبيرة ..

وهذا ما كان ..

فقد أقبل دريك بيل بعد نصف ساعة ، وكان على عجل من امره بحيث ارتدى ثيابه فوق بيجامته . وقال : ارجو الا تظن اننى اريد الانتقاص من قدرك بما سوف اقول .. ولكن الواقع اننى كنت أعتقد أنك آخر من يفكر هؤلاء المجرمون فى الاعتداء عليه .

فأجابه المفتش : شكرا لك ..

ـ أكرر قولى بأن ليس هذا انتقاصا لقدرك .. اردت ان اقول اننى لم أكن اظن انهم يتجاسرون على تحدى رجال البوليس بهذه الطريقة .

وأردف يقول كما لو كان يحدث نفسه : اننى لا أستطيع ان افهم ... واننى لأتساءل لماذا أرادت أن تعـــرف .. اننى أعنى تاليا

دراموند ... فقد سالتني صباح اليوم عن عنوانك ... وانني اعلم ان اسمك ليس موجودا في دليل التليفونات ولا في الدليل المحلى .

ـ وبماذا اجبتها ؟ ..

ـ قلت لها انني لا اذكره في الوقت الحالي . ولكنى لم البس ان تذكرت ان دفتر عناويني الخاص موجود تحت يديها ... فلماذا طلبت مني ذلك ؟ ..

تنهد جاك بيردمور عند سماعه ذلك وقال : ما ظنك يا بيل تشتبه في ان الآنسة دراموند هي التي اطلقت الرصاص على مستر بار .. هذا سخف . اعلم انها ارتكبت سرقات صغيرة ولكنى لا اعتقد انها تقدم على قتل رجل ...

فاجابه بيل : نعم ... قد اكون ظالما لهذه الفتاة ... فلندعها وشأنها ... ثم ان عندي مشاغل اخرى .

واخرج بطاقة بريدية ناولها لبار قائلا : ما قولك في هذه ؟ ..

ـ متى جاءتك ؟ ..

ـ كانت في صندوق بريدي ولم افتحه الا بعد ظهر اليوم . اليس هذا عجيبا ؟ ..

كانت البطاقة تحمل شارة الدائرة الحمراء . وبها هذه الكلمات :

« انت مع الجانب الخاسر . انضم الى جانبنا وسوف نكافئك بسخاء . اما اذا اصررت على موقفك فسوف تموت في الرابع من الشهر المقبل » .

وقال المفتش بار بلهجة الجد : ما زال امامك عشرة ايام ...

ـ انني لا اعلق اية اهمية على هذا التهديد طبعا .. والحق انه بعد التجربة التي مرت بي في اليوم السابق بدات ادرك ان هؤلاء المجرمين يتمتعون بقوى شيطانية خارقة .

وعاد المفتش يقول : عشرة أيام .. هل لديك مشاريع ؟ .. اين كنت تنوى قضاء اليوم الرابع من الشهر المقبل ؟ .

ـ من الغريب ان تلقي على هذا السؤال ، ولكني دبرت أمرى لكي اذهب الى الصيد في مقاطعة ديل فقد اعارني احد اصدقائي زورقه .

فقال بار في قوة : لك أن تفعل ما تريد ولكننا لن نتركك بمفردك ... يمكنك أن تنصرف الآن .. ولك أن تحمد الله على أن عمتى لم تسمع صوت الرصاصة ، وعلى أن ماما غير موجودة .

وقال هذه الكلمات الأخيرة وهو ينظر الى جاك بيردمور .. وابتسم هذا الأخير في فهم وادراك .

الفصل الثامن والعشرون

الدائرة الحمراء

كان هارفى فروايانت دائم الشك بكل من حوله ، وكان يفخر بأنه لا يولى ثقته لأحد ايا كان ، وهو وان كان قد وثق بهيجيت فان ثقته به كانت محدودة كما سوف ترى .

فبعد يومين من اطلاق النار على المفتش بار اسرع هيجيت الى مخدومه وهو بادىء الانفعال ، واخبره بأنه نمى الى علمه بأن احدى الأوراق المالية الجديدة التي اخذها الدائرة الحمراء من برابازون ظهرت في الأسوق وأردف يقول :

ـ والآن ، وقد اهتدينا الى هذا الأمر فقد أصبح من السهل أن نضع ايدينا الى المصدر الذى ظهرت منه هذه الورقة .

ولكن فروايانت لم يكن من هذا الراى ، فلسبب ما لم يشأ ان يترك هيجيت يتولى هذه المسألة . وذكر له انه سيكلف شخصا آخر باتمام هذه المهمة ، وكان صارما فى رأيه فلم يتزحزح عنه وقال هيجيت فى أسف : يؤسفنى هـذا القـرار . فقد قمت أنا بنفسى بالاستقصاءات الأولية ، وأؤكد لك انه لم يبق امامى الا خطوات قلائل بين الرجل الذى اكتشفنا النقود معه والرجل الذى تبحث انت عنه .

وقد أصبح فى مقدوره الآن ان يقوم بأبحاثه بنجاح بعد ان جاءه هيجيت بالنبأ الذى كان ينتظره . وكان قد اثرى وباع اراض كثيرة فى جميع بقاع الأرض ، وبدأ حياته من غير رأسمال يذكر ، وتمكن بفضل حذقه وجهده من الحصول على ثروة تقدر بالملايين ، ولم يركن الى أحد أبدا أو يثق بأى أحـد بل كان دائم السفر والترحال يقوم بعمله ويبحث ويتقصى بنفسه بدون تعب او كلل .

وقام بما يريد من عمل ومن غير أن يخبر ييل أو بار بنواياه . .

وكان من السهل تتبع اثر الورقة المالية بعد ان اطلعه هيجيت على نتيجة بحثه ، فقد قادته ابحاثه الى أحد الصيارفة فى حى ستراند ثم الى مكتب للسياحة واخيرا الى مصرف محترم ، وقد خدمه الحظ فى هذه الناحية لأنه كان يتعامل مع ذلك المصرف .

وقضى ثلاثة أيام في الاستقصاء والبحث والتفتيش فى السجلات وانتهى أخيرا الى نتيجة . ولم تكن هذه النتيجة بمرضية له على الرغم من انه عرف الشخص الذى صرف الورقة المالية لأول مرة . بل ان رئيس الحسابات الذى تركه يبحث فى السجلات كما يشاء والذى عنفه رؤساؤه فيما بعد لم يعرف هذه النتيجة .

وفى صباح اليوم التالى كان فى طريقه الى فرنسا . وقضى فى باريس ساعتين اثنتين وأقبل الليل وهو فى طريقه الى تولوز . وبلغها فى الساعة التاسعة صباحا . وخدمه الحظ هناك ايضا فقد علم أن احد السماسرة القدماء الذين كان يتعامل معهم أصبح مستشارا قانونيا . واستقبله المستشار براسار مرحبا ظنا منه ان الأيام الخوالى ستعود ، ولكنه لم يلبث أن تجهمت أساريره عندما عرف سبب زيارة فروايانت له وأجابه يقول : اننى لا أهتم بمثل هذه الأمور .. صحيح أننى مستشار قانونى .

ولكن لا صلة بى بالمحاكم الجنائية .

وحك لحيته الطويلة مفكرا ثم استطرد : اننى أذكر مارل جيدا .. مارل ورجلا آخر ، انجليزى الجنسية على ما أعتقد .

ـ هل اسمه لايتمان ؟ ..

ـ هو ذلك ... هو ذلك ..

واستأنف حديثه فقال فى نفور : انها قصة معروفة على كل حال . كان هذان الرجلان من المجرمين وقد أطلق أحدهما النار على صراف وحارس مصرف « بنيم » وارتكبا جريمتى قتل هنا فى تولوز وأذكر اسميهما جيدا .. كما أذكر ذلك الحادث المروع .

فسأله مستر فروايانت فى فضول : اى حادث ؟ ..

ـ عندما ارادوا تنفيذ الحكم فى لايتمان كان الجلاد ومساعدوه قد أفرطوا فى الشراب لكى يتمكنوا من مواجهة الموقف . ولكن حدث ان سكين المقصلة لم تهبط وتقطع عنق لايتمان بسبب عطب ما . وتوقفت السكين ثلاث مرات ، وأثار ذلك أعصاب الموجودين خاصة وأن اهل الشمال سريعوا التأثر فطالبوا باعادة المحكوم عليه الى السجن .. وهكذا أفلت الدائرة الحمراء من الاعدام .

وكان مستر فروايانت يمسك فى يده فنجانا فما سمع هذه الكلمات الأخيرة حتى وقع الفنجان من يده وقال : ماذا تقول ؟ .

نظر براسار اليه ثم قال : ما الخبر يا سيدى ؟ ..

فسأله فروايانت وهو ينتفض من الانفعال : الدائرة الحمراء ؟ ..

ماذا تعنى ؟ ..

أومأ مستر براسار برأسه وقد أذهله تأثير كلماته :

ـ أعنى لايتمان ... هذا هو الاسم الذى كان معروفا به بين الجميع ... ولكن اذا كانت هذه القضية تثير اهتمامك بهذه الصورة فسأدعو موظفا عندى ملما بكل تفاصيلها ..

ودق الجرس فأقبل رجل يضع قلما فوق اذنه فقال له :

ـ جول ... هل تذكر الدائرة الحمراء ؟ .

ـ أوه ... اذكره جيدا يا سيدى ، فقد كنت موجـودا عندما حاولوا تنفيذ حكم الاعدام فيه .. كان ذلك رهيبا ...

وسأله مستر فروايانت : ولماذا لقبوه بالدائرة الحمراء ؟ .

ـ بسبب علامته ..

ورفع الرجل اصبعه الى عنقه واستطرد : لأنه كانت توجد على عنقه دائرة حمراء كأنها مرسومة باتقان . وكانت بشرته نفسها بهذا اللون . ويقال ان هناك أسطورة فى هذا الشأن ... فقد ذكروا انه لا يمكن لأى سلاح الوصول الى عنقه بسبب هذه العلامة التى تقوم مقام السحر . وانى اعتقد أن هذه العلامة ما هى فى الواقع الا ما يسميه العامة « بالوحمة » ولكنها كانت كبيرة الحجم أكثر من المعتاد . وعندما حكم على لايتمان بالاعدام قال الكثيرون ان السكين لن تصل الى عنقه بسبب تلك العلامة ، فهل كانوا يعلمون ان الجلاد ومساعديه سيفرطون فى الشراب الى حد يجعل هـذه الاسطورة تتحقق . مهما يكن من أمر فان مسمارا صغيرا خرج من مكانه كان السبب فى نجاة المتهم من الاعدام .

أصغى مستر فروايانت الى هذه القصة فى اهتمام كبير .. وشيئا فشيئا سطعت الحقيقة فى ذهنه . وقال يسأل الموظف :

ـ وماذا حدث للدائرة الحمراء ؟ ..

ـ لا ادرى .. نقل الى احدى الجزر . اما مارل فقد أخلى سبيله لأنه ثبتت براءته . وقد سمعت فيما بعد ان لايتمان تمكن من الهرب من الليمان ، ولكنى لست على يقين من ذلك .

شكر فروايانت المحامى وقضى بقية اليوم فى تحريات طويلة ، وذهب بعد ذلك لمقابلة المدعى العام . وختم استقصاءاته بحديث طويل مع مدير السجن فى مكتبه حيث فحص صورا كثيرة مختلفة .

ويمكننا ان نقول انه أوى الى غرفته فى الفندق فى تلك الليلة وهو يشعر بارتياح اذ أفلح فى حيث أخفق أمهر رجال البوليس ...

الفصل التاسع والعشرون

مصرع فروايانت

لم تغب رحلة هارفى فروايانت الى فرنسا عن دريك ييل ولا بار . ومما لا ريب فيه ان الدائرة الحمراء قد علم بهـــا هو الآخر فقد ارسلت تاليا دراموند اليه برقية بهذا النبأ .

وبسبب هذه البرقيات التى كانت تاليا دراموند ترسلها الى مجهول فى أوقات منتظمة ذهب دريك ييل الى ادارة الأمن العام فى نفس الليلة التى عاد فيها فروايانت من فرنسا منتصرا .

وعندما عاد المفتش بار الى مكتبه وجد ييل يكشف عن مواهبه لجماعة من رجال البوليس . وكان ييل مدهشا حقا فمن خاتم بسيط قدمه اليه أحد المفتشين استطاع أن يذكر له حياته المعروفة ، بل استطاع أن يذكر له أشياء خافية كان يعتقد انه هو وحده الذى يعرفها ...

وما ان جلس المفتش بار حتى ناوله سكرتيرة مظروفا مختوما ألقى المفتش نظرة عاجلة على العنوان المكتوب عليه بالآلة الكاتبة ، ثم القاه فى يد ييل المبسوطة وقال له وهو يبتسم :

ــ هل يمكنك أن تقول من الذى أرسل لى هذا ؟ ..

ــ هو رجل قصير ذو لحية صفراء يدعو شكلها الى الضحك ويتكلم من انفه ويشتغل بالتجارة .

اتسعت عينا بار فى حين استطرد ييل : ليس هذا تخمينا على كل حال ، فاننى أعرف مستر جونسون بشارع ملدريد .

وضحك عندما رأى دهشة المفتش ، وقال له عنـدما اصبحا بمفردهما :

ــ عرفت انك اهتديت الى المكان الذى ترسل اليه رسائلَ الدائرة الحمراء . أما انا فقد عرفته منذ وقت طويل . وقد أخبرنى مستر جونسون بأنك ذهبت اليه وطلبت منه أن يزودك بالمعلومات التى يعرفها كتابة ، وفى خطابه هذا المعلومات المطلوبة .

ــ أجل .. كنت اعلم ان الرسائل والبرقيات المرسلة الى الدائرة الحمراء ترسل الى جونسون ، وانه بعد ظهـــر كل يوم يأتى صبى

صفير فيأخذها منه . وعلى ما فى هذا من مهانة لى فانى أعترف باننى لم أستطع الاهتداء الى ذلك الشخص الذى يأتى بعد ذلك ويسرقها من جيب الصبى . ويسرقها من جيبه ؟ ..

كان يبدو على بيل السرور والابتهاج ازاء دهشة بار من كل هذه الاسرار .. واستطرد :

ــ أجل .. ان المعلومات التى لدى هذا الصبى هى أن يضع الرسائل فى جيبه ، وأن يتمشى بعد ذلك فى شارع هاى ستريت . وهو شارع كثير الازدحام ، وفى أثناء ذلك يلتقط بعضهم الرسائل من جيبه دون أن يشعر .

جلس مستر بار وحك ذقنه فى قوة ثم قال :

ــ انت مدهش يا بيل .. وماذا اكتشفت غير ذلك ؟ .

ــ شيئا كنت أشتبه فيه منذ وقت طويل ، وهو أن تاليا دراموند على صلة مستمرة بالدائرة الحمراء ، وهى تمده بكل المعلومات التى تصل الى علمها ..

هز بار راسه وقال : وماذا تفعل الآن ؟ ..

فأجاب بيل فى هدوء : قلت لك قبل ذلك انها سوف تقودنا الى الدائرة الحمراء واعتقد ان هذه النبوءة سوف تتحقق ان عاجلا وان آجلا . ومنذ شهرين افلحت فى اقناع ذلك الرجل الطيب جونسون لــكى يدعنى اطلع على كل الرسائل التى تأتيه باسم جونسون . وقد سألنى ضمانا قبل ذلك ، فهو رجل شريف ولا يريد أن يؤاخذه احد بشىء ... فذكرت له اننى من رجال البوليس وأرجو الا يغضبك هذا .

فأجابه بار : تمر بى أوقات اعتقد فيها ان مكانك الصحيح هو فى ادارة الأمن ... اذن فتاليا دراموند على اتصال بالدائرة الحمراء ؟ ..

فقال بيل : سأظل محتفظا بها فى خدمتى طبعا ... اننى أوثر أن تكون تحت متناول يدى فتكون بذلك اقل خطرا .

وسأله بار : وهل تعرف لماذا ذهب فروايانت الى فرنسا .

هز المخبر السرى كتفيه واجاب : لأعماله الخاصة على ما أعتقد . ان له أعمالا كثيرة فى الخارج وهو يملك مزارع كثيرة فى شمبانيا ... وكنت احسبك تعلم ذلك ..

اوما المفتش بالايجاب ، وساد صمت طويل ، وكل من الرجلين مستغرق فى أفكاره الخاصة . وتساءل بار لماذا ذهب فروايانت الى

فرنسا ، والى تولوز بالذات ، وسأله بيل فجأة :
ــ كيف علمت انه ذهب الى تولوز ؟ ..
وجاء سؤاله فجأة . وكان مطـــابقا لأفكار المفتش تماما بحيث انتفض بشكل ظاهر وهتف :
ــ يا للسماء ! .. هل بلغ بك الأمر الى حد قراءة افكار الغير ؟ ..
فأجاب بيل فى لهجة الجد : فى بعض الأحيــان ... حسبته لم ينتقل من باريس .
وقال بار فى اقتضاب ومن غير ان يذكر له كيف عرف ذلك :
ــ بل ذهب الى تولوز ..
ولكن كل ما فعله بيل حتى اليوم ، وكل ما اظهره من مواهب خارقة ، لم يكن شيئا يذكر ازاء ما بدا منه الآن . وأحس المفتش بالانزعاج وتملكه الخوف بعد ان قرأ بيل دفين افكاره ..
ودق جرس التليفون وسمع بار صوت فروايانت يقول :
ــ اهكذا انت يا بار ؟ .. أريد أن أراك .. هل لك ان تأتى لزيارتى انت ومستر بيل ... عندى اخبار ذات اهمية لكما ..
واعاد السماعة مكانها وقال فى دهشة :
ونظر دريك بيل الى المفتش برهة وقــد لمع فى عينيه بريق غريب .

***

فرغت تاليا دراموند من تناول عشائها واخذت ترفو زوجا من الجوارب . ولم يمنعها ذلك عن الاستغراق فى التفكير فى أشياء كانت تود الا تفكر فيها ... أجل .. كان من العسير عليها أن تقصى عن ذهنها جاك بيردمور .. والقت الابرة جانبا وقد عقدت العزم على أن تبحث عن عمل آخر يساعدها على النسيان عندما دق جرس الباب .
كان الطارق هو ساعى البريد . وقد سلمها طردا صغيرا عليه عنوانها وقد كتب باليد ولكن بحروف المطبعة .
واغلقت الباب وعادت الى مخدعها . وعندما نزعت الأغلفة عن الطرد رأت خطاب الدائرة الحمراء وهذا نصه :
« أنت تعرفين بيت فروايانت من الداخل . يوجد ممر مباشر بين الحـديقة وبين المخبأ الموجود تحت غرفة مكتبه فاذهبى الى هناك فورا ومعك الأشياء الموجــودة فى الطـــــــرد . وانتظرى فى المخبأ حتى تصلك تعليمات أخرى » .

وفحصت تاليا الأشياء الموجودة فى الطرد . كانت عبارة عن قفاز طويل من الجلد لليد اليسرى حتى المرفق وسكين كبيرة ذات نصل حاد . ونظرت اليهما برهة ثم سارت الى التليفون وطلبت رقما معينا . وانتظرت حتى أخبروها أن الرقم المطلوب لا يرد .

ونظرت الى ساعتها .. كانت قد تجاوزت الثامنة والنصف ، ولم يكن أمامها متسع من الوقت فوضعت القفاز والسكين فى حقيبة يدها وارتدت معطفها وخرجت ..

وبعد نصف ساعة وصل دريك ييل والمفتش بار الى مسكن فروايانت وكان النور يسطع في الفناء وينبعث من جميع النوافذ على خلاف المعتاد ، فقد كان الرجل بخيلا لا يسمح الا باضاءة مصباح خافت الضوء فى الفناء تاركا الظلام يضرب اطنابه فى جميع الغرف الأخرى .

كان مكتب مستر فروايانت يؤدى الى الفناء مباشرة . وكان النور يسطع به هو الآخر . واستقبل الرجل زائريه وعلى شفتيه ابتسامة ارتياح جعلته يبدو أصغر من سنه . وقال يخاطبهما :

ـ سأخبركما بشيء سوف يثير دهشتكما .

والقى الى بار نظرة خاصة ثم استطرد يقول : وقد طلبت الآن الاتصال تليفونيا بمدير البوليس لأنه يجب أن أتخذ كل الاحتياطات اللازمة فى مثل حالتى هذه ، فقد يقع لك حادث وانت خارج من عندي . ومن ناحية أخرى ليس من المستصوب أن نطلع كثيرا من الناس على سر مثل هذا . هل لكما أن تخلعا معطفيكما ؟ .. ان ما سأذكره لكما سيقتضى منا وقتا طويلا .

دق جرس التليفون فى هذه اللحظة ، فأخذ مستر فروايانت السماعة وقال :

ـ نعم .. نعم .. انا هو يا سيدى المدير .. ان عندى نبأ هاما لك .. آه ، هل يمكننى الاتصال بك مرة أخرى ؟ .. بعد لحظات ؟ .. هو كذلك . شكرا .

وأعاد السماعة مكانها واستغرق فى التفكير هنيهة ثم قال :

ـ لم اشأ ان اذكر شيئا لمدير البوليس امامكما لأنه يجب أن يعرف النبأ هو وحده أولا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لأننى لا اريد أن احرم نفسى من الاستمتاع بالتحدث معكما فى الأشياء العجيبة التي اكتشفتها . هل تسمحان لى بالتحدث مع مدير البوليس على حدة ؟ .

فقال بار وهو يغادر الغرفة : طبعا ..
ولكن ييل تردد قائلا : هذا النبأ الذى تتكلم عنه ... هل له صلة بالدائرة الحمراء ؟ ..
فأجابه فروايانت : سوف ترى ... أمهلنى خمس دقائق فقط وسوف تعرف بعدها كل شيء ..
ضحك دريك ييل وابتسم بار عندما سمع ضحكته ، وكان قد خرج الى الطرقة .
وقال ييل : لم يعد يثير دهشتى شيء .
وخرج بدوره ولكنه عندما بلغ عتبة الباب تحول الى الداخل وقال :
ـ بعد أن تذكر لنا هذا النبأ الذى لديك سوف اخبرك بدورى بأشياء لا تخطر لك ببال بخصوص سكرتيرتك السابقة الآنسة دراموند . اعرف ان أمرها لم يعد يهمك ولكن ما سأفضى اليك به سوف يثير دهشتك الى حد كبير .
ورآه بار يبتسم واعتقد ان فروايانت اجابه مازحا : وأغلق ييل الباب فى رفق وخاطب بار قائلا :
ـ اننى أتساءل ما هى الأنباء التى لديه ..
ومضى الرجلان الى الصالون ، وكانت الأنوار تسطع به هو الآخر ، وصاح ييل : ما كل هذه الأنوار ؟ .
وأردف يقول مخاطبا رئيس الخدم ستير ، وكان يعرفه :
ـ هذا أمر غير عادى ياستير .. أليس كذلك ؟ .
فأجابه الرجل : نعم يا سيدى .. ليس من عادة مستر فروايانت الاسراف فى النور ، ولكنه أمرنى أن اضيء جميع الأنوار الليلة بصفة خاصة لمواجهة اى احتمال ... وهذا أمر يدعو الى الدهشة . وفوق ذلك فمعه مسدسان محشوان .
فسأله بار على الفور : وكيف عرفت هذا ؟ ..
لأننى أنا الذى حشوتهما فقد كنت جنديا قبل أن ألتحق بخدمته ، ولى دراية بمثل هذا العمل . ثم ان أحد هذين المسدسين ملك لى .
أخذ مستر دريك ييل يصفر برهة ثم قال : يبدو انه يتوقع أن الأنباء التى لديه سوف تأتيه بزائر غير مرغوب فيه . هل أتيت ببعض الرجال معك يا بار ؟ .
ـ أجل .. معى رجلان فى الشارع ..
ولم يكن فى مقدورهما ، وهما فى الصالون ، سماع صوت

فروايانت وهو يتكلم فى التليفون لأن الأبواب كانت ضخمة سميكة .
ومرت أكثر من ربع ساعة منذ أن غادرا المكتب بدون أن يستدعيهما فروايانت ، وبدأ بيل يفقد صبره ..
وعندما مرت نصف ساعة عاد البوليس السرى الى الممر وطلب من رئيس الخدم أن يذهب ليرى ان كان سيده قد فرغ من حديثه التليفونى ، ولكن الرجل قال :
ــ لا يمكننى مقاطعته يا سيدى ، فلدينا أوامر شديدة بعدم الدخول الى مكتبه من غير أن يدعونا . ولكن قد يستطيع احدكما ان يذهب اليه .
وكان المفتش بار على مقربة من باب المكتب ففتحه . وتحت الانوار الساطعة فى كل مكان لم يخالجه اى شك فيما حدث بمجرد أن وقعت عيناه على وجه صاحب البيت الشاحب . فقد كان مستر فروايانت جثة هامدة . كان جالسا على مقعده وفى صدره سكين وعلى المنضدة قفاز طويل من الجلد ملوث بالدماء .
وعلى أثر الصيحة التى اطلقها المفتش بار أسرع بيل الى الغرفة .. ونظر الرجلان بعضهما الى بعض لحظة دون أن يسعفهما النطق . وكان المفتش بار أول من تكلم فقال :
ــ أطلب رجالى ، واحرص على الا يخرج احد من البيت . قل لرئيس الخدم أن يستدعى جميع الخدم الى المطبخ .
وراح يفحص الغرفة فحصا دقيقا . كانت الستائر الثقيلة تتدلى امام النوافذ الكبيرة التى تطل على الحديقة الخلفية . وعندما ازاحها الفى النوافذ مغلقة .
كيف قتل هارفى فروايانت اذن ؟ .. وأى طريق سلكه القاتل ؟ .. هل أتى من الخلف ؟ .. كان الخنجر يدل شكله على أنه غاص فى الصدر من أعلا الى أسفل . ولكن لماذا هذا القفاز ؟ وفحصه مفتش البوليس فحصا دقيقا .. كانت قفازا طويلا قديما من القفازات التى يستعملها سائقو السيارات ..
وترك كل شىء على حاله وأسرع بالاتصال بمدير البوليس ، وكان لا يزال فى مكتبه منتظرا مكالمة فروايانت .
وسأله بار قائلا : الم يتصل بك اذن مرة أخرى ؟
ــ كلا .. ما الذى حدث ؟ ..
واخبره المفتش بما حدث فى بضع كلمات . واصغى دون اختلاجة واحدة الى لوم رئيسه ، ثم أعاد السماعة مكانها وخرج الى الطرقة

حيث وجد رجاله في انتظاره . وقال :
ــ سوف نفتش البيت كله ..
وهبط بعد نصف ساعة ، وقال يسأل يل : حسنا ؟ ..
فأجاب هذا : لا شيء .. لا يوجد اى غريب ..
ــ ولكن كيف دخل القاتل المكتب ؟ لقد كان رئيس الخدم واقفا بالممر طوال الوقت فيما عدا اللحظة التى تحدث معنا فيها فى الصالون .
ــ هذا صحيح ... قد يكون هناك منفذ سرى فى أرضية الغرفة .
ــ سوف نتحقق من ذلك .
ــ وماكادوا يرفعون السجادة حتى ظهر باب سرى وقال رئيس الخدم انه يفضي الى مخبأ صغير أقامه مستر فروايانت ابان الحرب ليسهل له الانتقال اليه أثناء الغارات الجوية .
وطلب المفتش بار ان يأتوه بشمعة ورفع باب المخبأ وهبط اليه . وكان عبارة عن غرفة صغيرة مربعة فى جانب منها باب موصد بالمفتاح . وعندما فتشوا جيوب الميت وجدوا بين مفاتيحه مفتاحا فتحوا به باب المخبأ الذى افضى بهم الى ارض فضاء بين عدة بيوت متقاربة لا يفصلها عن الشوارع المجاورة اى سور .
وقال يل : اذن ففى الامكان الدخول الى المكتب من هذا الباب .. ليس امامنا الا ان نفترض ان القاتل قد جاء من المنفذ السرى .
وهبط يل بدوره الى المخبأ وسلط ضوء مصباحه الكهربى فى انحائه ثم خرج الى الأرض الفضاء .
وانحنى فجأة وهو يقول : ماذا ارى ؟ .. هذا اثر حذاء على الأرض الرطبة ... انه حذاء امرأة .
واقترب بار بدوره وقال : اجل ... ليس هناك اى شك ... هذا أثر حديث ..
ودقق النظر .. وما كاد يفعل حتى ارتد الى الخلف وهو يصيح قائلا :
ــ يا الهى ! .. يا لها من مؤامرة شيطانية ! .
ذلك انه عرف فى الأثر الذى رآه اثر حذاء تاليا دراموند ! .

الفصل الثلاثون

اجابات تاليا

قضى دريك ييل صباح اليوم التالى فى مطالعة جرائد الصباح . وكانت كلها تحمل حملة شعواء على ادارة الأمن العام وعلى بار ..

« جريمة مروعة تحت بصر رجال البوليس » .. أو .. « ضعف ادارة الأمن العام وعجزها التام » .. وغير ذلك من العناوين المعادية.

وقال ييل وهو يلقى بالجريدة التى فى يده : ان الجرائد كلها تحمل على المفتش بار ؛ ومع ذلك فلم يكن فى مقدوره ـ كما لم يكن فى مقدورى ـ منع هذه الجريمة يا آنسة دراموند .

كانت تاليا تبدو متعبة قليلا . وكانت عيناها ذابلتين شاردتين ، على غير عادتها . وقالت فى برود : كان عليه أن يتوقع هذه الحملة . ومهما يكن من أمر فليس فى مقدور رجال البوليس الاتيان بالمعجزات.

نظر ييل اليها فى فضول وقال : أرى أنك لست من المعجبات بتصرفات رجال البوليس .

فأجابته وهى تلقى برزمة من الرسائل أمامه : اننى أحاول ان أقيم بينى وبينهم سدا منيعا ... ومهما يكن فما اظنك تنتظر منى أن أبدى اعجابى بالمفتش ...

فقال ضاحكا : أنت فتاة غريبة ... هناك لحظات أكاد أعتقد فيها أنه لا قلب لك . ولـــكن بمناسبة فروايانت ... انك كنت سكرتيرته ، أليس كذلك ؟ .

ـ نعم ..

ـ وقد أقمت فى مسكنة بعضا من الوقت ؟ .

فأجابت وهى تحدق فيه بعينيها الجامدتين : نعم .. لماذا تسألنى هذا السؤال ؟ ..

ـ ظننت انك ربما كنت تعلمين بوجود ذلك المخبأ تحت مكتب مستر فروايانت ؟ .

ـ طبعا ... ان الرجل المسكين لم يجعل من ذلك الأمر سرا ... وقد ذكر لى مرارا ان ذلك المخبأ كلفه الكثير .

وفكر ييل لحظـة ثم قال : أين كان يضع مفتـاح الباب الخارجى

للمخبأ عادة ؟ ..
ـ فى مكتبه : اتظن أننى اخذته او أن لى صلة بجريمة الأمس ؟ .
فقال ضاحكا : لكى لا أظن شيئا على الاطلاق ... ان فضولى طبيعى بما أنك بقيت مدة طويلة بالبيت . هل تعتقدين انه أمكن للقاتل رفع الباب بدون اصدار صوت ؟ .
ـ أوه ، طبعا ، فالباب مصنوع من المعدن ومدهون بالزيت ... هل تنوى أن ترد أنت بنفسك على هذه الرسائل ؟ .
ولكنه أبعد الرسائل عنه وقال : ماذا فعلت مساء الأمس يا آنسة دراموند ؟ ..
كان هجومه فى هذه المرة مباشرا ، وأجابته قائلة وهى عاقدة ذراعيها خلف ظهرها فى توتر : قضيت السهرة فى البيت ..
ـ كل السهرة ؟ ..
ولم تجب فاستطرد بيل : الم تخرجى فى نحو الثامنة والنصف وتحت ذراعك ربطة صغيرة ؟ .
ولزمت الصمت .. وعاد بيل يقول فى غير اهتمام : لقد رآك أحد رجالى ولكنه لم يلبث أن فقد أثرك . فأين ذهبت حتى الساعة الحادية عشرة ؟ .
ـ كنت اتنزه ... اذا كان لديك خريطة لمدينة لندن فسوف احاول ان أدلك على خط سيرى .
ـ لا لزوم للخريطة لأننى على علم بخط سيرك ليلة الأمس .
فقالت : ما دام الأمر كذلك فانك تجنبنى مشقة الرد عليك .
ـ اصغى الى جيدا يا آنسة دراموند .. اننى واثق تمام الثقة انك لا تستطيعين قتل أحد ، ولكن حركاتك ليلة الأمس كانت تثير الشكوك .. وانا لم أطلع بار عليها بعد .
ـ اننى كنت دائما موضع شك .. وهذا الوضع طبيعى بالنسبة لى . وما دمت على علم بحركاتى فلا داعى اطلاقا لأن اخبرك بالمزيد .
وحدق فيها ولكنها قابلت نظراته بثبات ، وعندئذ هز كتفيه وقال :
ـ لست اعتقد حقا ان من المهم أن اعرف ماذا فعلت مساء أمس .
فقالت ساخرة وهى تعود الى مكتبها : اعتقد انك على حق ..
وقال دريك يحدث نفسه : يا لها من مخلوقة غامضة ..
لم يكن يهتم بصفة عامة بالنساء . ولكن تاليا دراموند لم تكن فتاة عادية . ولم يكن يفتنه جمالها فهو لم يكن يعرف اكثر من انها جميلة

تماما ، كما يعرف أن باب مكتبه مدهون باللون الأسود وان الثلج أبيض .

وتناول جرائده وقرأ بضع مقالات اخرى تتحدث كلها عن عجز رجال البوليس وعدم كفاءتهم . وجاءه بار بعد قليل ، كما كان يتوقع وقال له : لقد طلب منى مدير البوليس أن اقدم استقالتى ..

وكان يتكلم في مرح ... الشيء الذى أثار دهشة بيل .. واستطرد يقول : ولست أهتم بذلك على كل حال . فقد سبق ان فكرت فى اعتزال الخدمة منذ ثلاث سنوات عندما أوصى لى أخى بثروته .

ولم يكن دريك بيل يعلم أن لبار ثروة خاصة فقال يسأله :

ــ وماذا تنوى أن تفعل ؟ ..

فأجابه مفتش البوليس وهو يبتسم : فى الوظائف الحكومية لا يسع المرء الا الامتثال للأوامر التى تصدر اليه . ولكن استقالتى لن تكون نافذة المفعول الا فى آخر الشهر المقبل اذ يجب أن انتظر حتى أرى ما سيحدث لك .

ــ لى ؟ .. أوه ، فهمت . هل تشير الى تهديدهم بقتلى فى اليوم الرابع ؟ ما زال أمامى يومان او ثلاثة ... لا اظن ان هذا السبب يدعوك الى الانتظار .. دع المزاح جانبا وقل لى لماذا هذه الاستقالة ؟. هل تظن اننى لو قابلت مدير البوليس ..

ــ لن يكون لمحاولتك هذه اى تأثير .. ثم اننى ما زلت مكلفا بقضية الدائرة الحمراء الى أن تصبح استقالتى نافذة المفعول ، وانى أدين لك بذلك ..

ــ لى أنا ؟ ..

ضحك المفتش البدين وقال : نعم .. فقد أوضحت لمدير البوليس أن حياتك غالية وأن ذلك يقتضى أن ابقى فى وظيفتى حتى يحين اليوم المشئوم .

وفى هذه اللحظة اقبلت تاليا ومعها بعض الرسائل فحياها بار قائلا : صباح الخير يا آنسة دراموند ..

ــ صباح الخير يا سيدى .. لا حديث للجرائد اليوم الا عنك .. انك اصبحت مشهورا يا مستر بار ..

ــ ان الدعاية ذات اثر طيب دائما يا آنسة ... ولكن يبدو لى انه مر وقت طويل لم تتحدث فيه الجرائد عنك انت .

كان يشير الى وقوف الفتاة أمام القاضى .. وقالت : اطمئن ، فسوف يأتى دورى .. ولكن ما آخر أنباء الدائرة الحمراء ؟ ..

فأجاب بار فى هدوء : آخر الأنباء ؟ .. آخرها ان مراسلاته يجب ان ترسل الى مكان آخر غير شارع ملدريد .

اجفلت الفتاة ولكنها لم تلبث أن تمالكت وقالت وهى تتكلف المرح : هل سيفتتح الدائرة الحمراء مكاتب له فى المدينة ؟ .. ولم لا ؟ .. يبدو انه يستطيع ان يفعل كل ما يحلو له .. ولا ادرى لماذا لا يقيم فى عمارة شاهقة ذات مصاعد ولافتات مضيئة .. كلا .. كلا لا داعى للافتات المضيئة فان رجال البوليس جديرون بأن يرونها .

فقال بار فى خشونة : ان السخرية بين شفتى فتاة جميلة ليست من الحشمة فى شىء .

كان ييل يصغى الى حديثهما وهو يبتسم مسرورا .. واذا كانت تاليا تثير حيرته فقد كانت هناك أوقات كان فيها المفتش بار نفسه يثير حيرته هو الآخر ، فان هذا الرجل البدين ، الثقيل المظهر لم تكن تعوزه خفة الروح اذا ما أراد ذلك .

وقال بار وهو مطرق الراس : أين كنت الليلة الماضية يا آنسة دراموند ؟ ..

ـ فى فراشى ، مستغرقة فى النوم والأحلام ..

ـ لا ريب انك مصابة بداء السير أثناء النوم اذن ، لأنك تمشيت فى اراضى فروايانت ما بين التاسعة والنصف و ...

ـ حقا ؟ .. هل رأيت آثار قدمى فى الحديقة ؟ .. ان مستر ييل اشار الى ذلك .. ولكنك على خطأ يا سيدى ، فأنا لم أذهب الى بيت مستر فروايانت وانما ذهبت الى متنزه عام ، فان الوحدة خير ناصح ...

واستمر بار يحدق فى السجادة فى اهتمام ثم قال اخيرا :

ـ حسنا .. عندما يحلو لك الذهاب الى متنزه عام فلا تقتربى كثيرا من جاك بيردمور لأنك اخفته آخر مرة خوفا عظيما .

فاصطبغ وجهها بالاحمرار وقالت : لا يجب ان يخاف مستر بيرامور بمثل هذه السهولة ... ومهما يكن فاننى ...

ولم تزد ... وغادرت الغرفة فجأة ..

وعندما مر بار بمكتبها بعد لحظات فى طريقه للانصراف رفعت راسها اليه وقالت عاتبة : هناك لحظات يا مستر بار احس فيها باننى اكرهك ..

فقال المفتش : انك تثيرين دهشتى ..

الفصل الحادي والثلاثون

رحلة الى الريف

كانت ادارة الأمن فى حالة كبيرة من الانفعال فقد حملت الجرائد على رجال البوليس حملات شعواء بعد وقوع جريمة الدائرة الحمراء الأخيرة ، وطالبت بعضها البرلمان باتخاذ اجراء حاسم وسريع ازاء جمود المفتش بار ومساعديه الذى أن دل على شيء فانما يدل على عجزهم التام . ولم تشذ جريدة واحدة عن نشر بيان كامل لجرائم الدائرة الحمراء كلها ، وهى تشير الى الحقيقة الغريبة وهى أن التحقيق فى كل هذه الجرائم قد ألقى على عاتق المفتش بار .

وقد طلب المفتش بار من رؤسائه التصريح له بالسفر الى فرنسا لاستكمال التحقيق ، واجيب الى طلبه بعد أن دبروا الأمر بحيث يخلفه غيره أثناء غيابه . ولم يكن له من أصدقاء فى ادارة الأمن كلها غير صديق واحد ، والعجيب انه هو الكولونيل مورثون ، مدير البوليس نفسه .. فقد دافع عنه وبسط عليه حمايته بقدر المستطاع على الرغم من انه كان يعرف أمره ميئوس منه ، وساعده فى ذلك دريك ييل فقد ذهب الى ادارة الأمن واوقفهم على كل ما حدث لتخفيف عبء المسئولية عن زميله الرسمى وأردف يقول :

ــ وبما أننى كنت موجودا مع بار ، وحيث اننى كلفت شخصيا بحماية مستر فروايانت فاننى يجب أن أتحمل جزءا من تلك المسئولية .

ولكن الكولونيل مورتون اضطجع فى مقعده الى الخلف وعقد يديه وقال : لا أريد أن أجرح شعورك يا مستر ييل . ولكنك تعرف أننا لا نستطيع الاعتراف رسميا بخدماتك او بانضمامك الينا ، وعليه فلا شيء مما تقول يمكن أن يخف العبء عن مستر بار ..

ووقف ييل يبغى الانصراف ، ولكن المدير طلب منه البقاء وسأله :

ــ لعل مقدورك أن تلقى الضوء على نقطة هامة ... ان ذلك يتعلق بقاتل جيمس بيردمور ... أعنى ذلك المدعو سيبلى ..

أومأ ييل وجلس ثانية فى حين استطرد المدير يقول :

ــ من كان موجودا معه فى زنزانته ساعة اعترافه ؟ ..

ــ مستر بار وأنا وكاتب الاختزال . وقد دخل الحارس الغرفة

مرة او مرتين . وقد أحضر في المرة الثانية الدورق الذى فيه السم .
وتناول المدير ملفا من فوق مكتبه أخرج منه ورقة منزوعة من كراسة وقال : هذه هى أقوال السجان .. وسوف اترك المقدمات .
ووضع عويناته وراح يقرأ فى بطء :
« كان السجين جالسا فوق فراشه والمستر بار أمامه .. أما مستر بيل فكان موليا ظهره للباب ، وكان مفتوحا عندما دخلت وأخذت دورق المياه ولم يكن مملوءا لأكثر من نصفه وذهبت فمــلأته من الصنبور الموجود فى الميناء وتركته لحظة تحت الصنبور ، فقد دق جرس فى هذه اللحظة واستدعيت الى زنزانة أخرى . ولكن لم يكن فى مقدور أحد الاقتراب من الدورق فى هذه الأثناء ، على الرغم من أن الباب الخارجي للفناء كان مفتوحا . وعندما عدت بالدورق أخذه مستر بار ووضعه فوق رف بجوار الباب وطلب منى الاازعجهم » .
وعاد المدير يقول وهو يرفع عويناته : وأنت ترى أنه لم يرد ذكر لكاتب الاختزال فى أقواله . فهل استحضرتماه من بين أهالى البلد .
ــ بل انى موقن انه من موظفى ادارة الأمن الرسميين ..
فقال المدير : يجب أن أتأكد وأن أسأل بار فى ذلك .
وكان المفتش بار قد عاد من فرنسا ، وعنــدما اتصل به المدير بالتليفون اجاب بأن كاتب الاختزال أختير من اهالى البلد ، وأنه عقب الارتباك الذى ساد المكان عند اكتشاف موت سيبلى لم يفكر فى التحرى عن شخصيته .
لزم دريك الصمت اثناء الحديث الذى دار بين الرجلين ، واذ رأى أمارات الخيبة تظهر على ملامح المدير أدرك أن المعلومات التى أزجيت اليه لم تلق الضوء على المسألة .
وتحول المدير اليه وسأله : الا تذكر ملامح ذلك الكاتب ؟ ..
فهز بيل رأسه وأجاب : لقد كان يولينى ظهره ..
ــ لا يدهشنى أن يكون ذلك الكاتب شريكا للدائرة الحمراء ، وان من الاهمال الشنيع تكليف رجل لا يمكن التحقق من شخصيته بمثل هذا العمل الكبير الأهمية ..
وتنهد ثم استطرد يقول : نعم .. لقد فشل بار ، واننى لشديد الأسف فيما يتعلق به . فاننى أحبه ... فهو واحد من ضباط البوليس القدامى الذين تزورونهم انتم معشر رجال البوليس السرى ، وهو لا يتمتع بمواهب خارقة ولكنه كان مع ذلك ضابطا لامعا فى أول عهده . ولكن عليه أن يذهب ، وقد استقرت النية على ذلك . ويمكننى

ان اصارحك بذلك لأننى اخبرت بار به . وهو امر يؤ. ف له حقا .
ولم يكن هذا بالشيء الجديد على بيل ولا على موظفى ادارة الأمن العام ، ولكن الرجل الوحيد الذى لم يزعجه هذا الأمر هو بار نفسه .. فقد استمر يباشر عمله العادى كأن شيئا لا يشغله .. بل انه عندما أقبل خلفه ليلقى نظرة على المكتب استقبله بشكل ود .
وبعد ظهر ذات يوم التقى صدفة بجاك بيردمور ، وقد دهش الأخير اذ ألفاه مرحا وقال يسأله : حسنا يامستر بار ؟ .. هل تدنومن النهاية؟.
فأجاب : نعم ... فيما يتعلق بى على كل حال ..
وذكر لجاك انه كان ينوى اعتزال العمل فعلا ..
فهتف الشاب : ولكن لا يمكنك اعتزال العمل فى مثل هذه الظروف ، فأنت تمسك الآن بجميع خيوط القضية .. هذا جنون ! .. الا اذا كانوا يريدون قطع كل أمل فى القبض على هذه العصابة من المجرمين الأشرار .
وذكر له جاك بأنه يتأهب للانتقال الى بيته الريفى . وكان لم يعد اليه منذ ان لقى أبوه مصرعه بتلك الطريقة المفجعة . لكن الواجب كان يدعوه لتجديد العقود وتحصيل الايجار واجراء ما يلزم من اصلاحات وترميمات . وسأله بار : هل تسافر وحدك ؟ .
فأجابه الشاب : نعم ..
واردف يقول على الفور : لن أجرؤ على ان ادعوك لمرافقتى يا مستر بار ، فلا ريب أن هناك ما يشغلك . اما اذا كان الأمر غير ذلك فيسرنى أن تأتى معى ..
فأجابه المفتش بار : اعتقد ان فى مقدورهم الاستغناء عنى ، وان فى استطاعتى قبول دعوتك الكريمة . ومهما يكن من امر فاننى لم ار الفيللا منذ وفاة أبيك المسكين ، ويسرنى أن ألقى على المكان نظرة أخرى ..
وطلب من رؤسائه يومين اجازة . ولما كان جاك ينوى السفر فى نفس الليلة ، فقد عاد لتوه الى البيت وأعد حقيبته وكتب خطابا لبيل قبل ذهابه الى المحطة اختتمه بقوله : « من المحتمل ان تطرأ ثمة ظروف تتطلب وجودى بالمدينة ، فاذا حدث هذا فلا تتردد فى استدعائى » .
واذا نظرنا الى هذه الكلمات الأخيرة لبدا لنا سلوك مستر بار غريبا .

الفصل الثاني والثلاثون

الزائر الغريب

لم يكن مستر بار رفيقا مسليا ، فقد قضى طوال الرحلة في قراءة الجرائد التى تتحدث عن الدائرة الحمراء وعن جرائمه الأخيرة . ودهش جاك اذ رآه يقابل المقالات التى تهاجمه بهدوء تام . ولما أخبره بذلك ألقى بار بالجريدة التى كان يطالعها على ركبتيه وخلع نظارته وقال :

ـ الحق أننى لا أدرى ما الذى يدفعنى الى مطالعة هذه المقالات . ومهما يكن من أمر فان هذا النقد لا يكدرنى ابدا ... لو اننى كنت مخطئا لأغضبنى ذلك ولكنى لم أخطىء وأعلم أننى على حق ..

وهبطا فى المحطة الريفية الصغيرة ، وقطعا الأميال الثلاثة التى تفصلهما عن قرية بيردمور بالسيارة .

وأقبل الساقى للاقاة سيده وتدبير وسائل الراحة له ، وناول المفتش بار برقية نظر اليهـا هذا الأخير وسأل الساقى قائلا :

ـ متى جاءت هذه البرقية ؟ ..

ـ منذ خمس دقائق .. جاء بها من القرية شاب يركب دراجة .

فض بار البرقية فوجدها بتوقيع دريك ييل وهذا نصها :

« عد الى لندن على الفور لأمر هام » .

وبسط البرقية الى جاك من غير أن ينطق بكلمة ..

وقال جاك فى لهجة الأسف : سوف تذهب طبعا .. هذا أمر مكدر .. ليس هناك قطار قبل الساعة التاسعة .

فقال بار فى هدوء : لن أذهب .. لا شىء فى العالم يمكن أن يرغمنى على ان استقل قطار العودة الليلة بالذات .. سوف أبقى ..

وأثار هذا القرار دهشة جاك اذ كان يعرف أن بار ممن يلبون نداء الواجب فى كل الأوقات . ولكن سره من ناحية أخرى أن يقضى الليل معه ، فى هذا البيت المسكون بالأشباح ..

ـ لا ريب أنه أرسلها بعد مغادرتنا المحطة بنصف ساعة ... هل لديك تليفون هنا ؟ ..

أومأ جاك ، وطلب بار الاتصال بلندن . وسمعه جاك يتكلم فى التليفون بعد ربع ساعة ، وهو فى الدهليز . ولم يلبث ان عاد وقال له :

ـ ان البرقية زائفة كما خطر لى ... اننى تحدثت الآن مع يل ..

ـ وكيف أدركت انها زائفة ؟ ..

فأجابه بار وهو يبتسم : ان موهبتى فى الاستنتاج والتخمين بدات تتحسن وسوف ابز يبل فى هذا المضمار بعد قليل .

وقضيا فترة كبيرة من الليل فى لعب الورق ، وكان بار بارعا فيه ، وبلغ اهتمامها باللعب الى حد أن الوقت سرقهما فلم يشعرا الا والساعة قد بلغت منتصف الليل .

واعدت لبار الغرفة التى كان يشغلها جيمس بيردمور قبل موته ، وهى عبارة عن مسكن كبير اجتمع فيه البذخ والاسراف مع الذوق الجميل وبه ثلاث نوافذ كبيرة . وقال المفتش يسأل الشاب وهو يقف بعتبة الباب : وأين ترقد انت ؟ .

فأجابه جاك : فى الغرفة المجاورة ..

أومأ المفتش واغلق الباب خلفه . ولم يلبث أن سمع جال يغلق باب غرفته هو الآخر . وخلع سترته وبدلا من أن ينضو عنه باقى ثيابه فتح حقيبته واخذ منها « الروب دى شامبر » والتف به ثم أطفأ النور ومضى الى النافذة وفتحها . وكانت الليلة مقمرة . وكان هناك من الضوء ما يكفى لكى يرى طريقه الى الفراش ، فتمدد فوقه وراض نفسه على فتح احدى عينيه طوال الوقت حتى لا يغلبه النعاس ..

وأفلح المفتش بقوة ارادته فى البقاء مستيقظا وهو يحملق فى النافذة المفتوحة . وقبيل الصباح نهض فى هدوء وبدون أن يصدر منه اى صوت ، ومضى الى النافذة وكان قد سمع صوت محرك يقترب من بعيد . ولكن الهدوء لم يلبث ان استتب من جديد وساد الصمت التام . وسار الى حوض المياه فغسل وجهه بالماء البارد ثم عاد الى النافذة وادنى منها مقعدا جلس فوقه بحيث يتمكن من رؤية الشارع الرئيسى الذى يؤدى الى الفيللا .

وانقضت نصف ساعة تقريبا قبل أن يرى شبحا يتسلل بين الاشجار ويختفى فى الظلال ثم لمحه ثانية فى ظل البيت نفسه .

وأسرع مستر بار فغادر الغرفة فى هدوء وهبط السلم فى صمت.

وكان الباب الخارجي موصدا وأضاع بعضا من الوقت قبل ان يتمكن من فتحه . وعندما تسلل الى الخارج كان الشبح قد اختفى . ودار بالبيت ولكنه لم يعثر على أحد وكان قد بلغ الباب الخارجي للفيللا ثانية عندما سمع صوت المحرك يبتعد فأدرك أن الزائر قد عاد من حيث اتى .

وأغلق الباب ووضع المزلاج ثم عاد الى غرفته ... اثارت هـذه الزيارة حيرته ، فقد كان من الواضح أن الرجل مهما يكن من أمره ، لم يكن يدرى أن هناك من يراقبه . وقد أقبل ثم انصرف على الفور تقريبا .

ولم تظهر جلية الأمر الا عند تناول طعام الفطور فقد راح جاك يقرأ قصاصة من الورق المقوى ما كاد بار يراها حتى أدرك أنهـا رسالة من الدائرة الحمراء .

ونظر الشاب اليه وهو يدخل ثم سـأله يقول : ما رأيك فى هذه ؟ .. اننا وجدنا عشرات منها مثبتة فى الأشجار ، وقد ثبتت هذه بالذات تحت نافذة غرفتى . وقرأ المفتش الكلمات التالية : « ان دين أبيك لم يسدد بعد . وسوف نعتبره مسددا اذا انت أقنعت صديقيك دريك بيل وبار بالتخلى عن نشاطهما » .

وتحت هذه الكلمات بضع كلمات أخرى كتبت بحروف أصغر هذا نصها : « لن نفرض اتاوات على أحد بعد اليوم » .

وقال بار فى تفكير : اذن فقد كان ذلك الزائر رسـول الدائرة الحمراء . اننى تساءلت لماذا انصرف هكذا سريعا .

فسأله جاك مشدوها : هل رأيته ؟ ..

ـ اننى لمحته .. والواقع اننى كنت أعرف انه سوف يأتى ولكنى كنت أتوقع أكثر من ذلك .

وجلس مكانه بالمائدة ولم يتكلم . لم يزد عن الرد على أسئلة جاك وفى ايجاز كبير . وفرغا من الطعـام . وبينما هما يتمشيان بين الأشجار قال بار متسائلا : اننى أتساءل ان كان يعلم انك تحب تاليا دراموند ؟ .

فاضطرم وجه جاك وقال فى قلق : ولم هذا السؤال ؟ .. أظنك تعتقد انهم يقدمون على الانتقام من تاليا ..

ـ انهم لن يرحموها اذا كان فى ذلك ما يخدم مصالحهم ..

وغير مجرى الحديث بأن توقف فجأة وقال : هذا يكفى ... لنعد الآن ..

ـ ظننت أنك تريد أن تسير حتى المحطة لترى كيف جاء مارل في ذلك اليوم .

هز بار راسه وقال : كلا .. انما اردت أن اعرف كيف اقترب من البيت . هل يمكن أن تشير الى المكان الذى توقف فيه فجأة وقد تملكه الفزع ؟ ..

فأجابه جاك مسرعا وهو في عجب من أمره : طبعا .. كان ذلك قريبا جدا من البيت . ويمكنني أن أدلك على المكان بالضبط لانني اتذكر أنه داس شجيرة زهور صغيرة وحطمها بقدمه . انه توقف عند هذه الشجرة التي زرعها البستاني عوضا من الشجرة الأخرى التي تحطمت .

هز بار راسه مرارا ثم قال : هذا امر كبير الاهمية ..

ثم سار الى الشجيرة وقال وكأنه يحدث نفسه : كنت اعلم انه كاذب ، فلا يمكن رؤية الشرفة من هذا المكان ابدا . لقد قال لي مارل انه رأى اباك واقفا في الشرفة في اللحظة التي تملكه فيها الفزع . وقد خطر لي باديء الأمر أن رؤيته لأبيك هي التي اثارت ذعره .

وروى لجاك الحديث الذى جرى بينه فليكس مارل قبل موته فقال جاك :

ـ كان في مقدوري ان اذكر لك الحقيقة ، فان ابي كان في المكتبة صباح ذلك اليوم ولم يغادرهما الا ونحن نصعد الدرجات المؤدية الى الشرفة .

واخرج بار دفترا صغيرا من جيبه ورسم رسما كروكيا للمكان . كان على يساره بيت سيدجويك الشامخ وأمامه مباشرة الحدائق تحوطها الأسلاك الخفيفة لمنع الماشية من دوس الأزهار ، وعلى اليمين طريق من الشجيرات تقوم في وسطه سقيفة من السعف والنخيل . وقال جاك :

ـ كان ابي يحب هذه الغيضة كثيرا ، فان الجو هنا شديد الاندفاع حتى في أيام الصيف وكنا نحتمي هنا في الغيضة من شدة اندفاع الريح ، وكان ابي يجلس فيها الساعات الطوال وهو يقرأ ..

ودار بار على عقبيه في بطء ، وهو يسجل كل شيء في مخيلته ثم قال :

وفيما هما عائدين الى البيت اشار الى زائر الصباح المبكر واثار دهشة جاك حين قال :

ـ هذه هي المناورة الوحيدة الكاذبة التي اقدم عليها الدائرة

الحمراء .. وأظن انه فكر فيها فجأة ، فلم تكن هذه نيته فى البداية ..

وجلس على احدى الدرجات الأمامية للشرفة وحدق فى المنظر الذى أمامه ، ولم يسع جاك الا أن يفكر فى انه لم يسبق له أن رأى مثل هذا الرجل الصموت القصير القامة البدين الجسم ، الجامد الوجه الذى لا يطابق منظره ما رسمه فى مخيلته عن رجال البوليس .

وقال بار أخيرا : اننى فهمت .. ان فكرتى الأولى كانت صحيحة ... فانه أقبل وفى نيته أن يهددك بدفع المبلغ الذى لم يدفعه أبوك . وفى الطريق خطرت له هذه الفكرة الجديدة التى ضمنها رسالته . لقد عقد النية على أن يقوم بضربة كبيرة ، وهذا هو السبب فى انه يطالبنى انا وبيل بألا نتعرض له . وهو يريد أن يبعدنا عن طريقه ، ولكنه يكون مجنونا حقا اذا اعتقد اننا لن نتعرض له . دعنى ارى هذه الرسالة مرة أخرى ..

وناوله جاك الرسالة فبسطها بار فوق بلاط الشرفة وقال :

ـ أجل .. انها كتبت على عجل ، ولا ريب انه كتبها وهو يسوق سيارته . وهى غير الرسالة التى أقبل من أجلها أصلا ..

وحك ذقنه وقال : ترى ، ما هى خطته الجديدة ؟ ..

ولم يمر وقت طويل حتى عرف تلك الخطة ، فقد أقبل أحد الخدم بعد لحظات ، وقال ان التليفون يدق منذ خمس دقائق .

وقال جاك وهو يبسط السماعة الى المفتش : هذه المكالمة لك ..

تناول بار السماعة ولم يلبث أن عرف فى صوت محدثه صوت الكولونيل مورتون الذى قال له :

ـ عد الى لندن فورا يا بار .. سيجتمع مجلس الوزراء بعد ظهر اليوم ، ويريدون الاستماع اليك .

اعاد مستر بار السماعة مكانها ، وقد ارتسمت على وجهه الكبير ابتسامة . وسأله جاك : ما الخبر ؟ ..

فأجاب : اننى مدعو لحضور اجتماع مجلس الوزراء .

وضحك كما لم يضحك من قبل .

الفصل الثالث والثلاثون

تهديد الحكومة

عندما بلغ جاك بيردمور ومستر بار لندن كانت الجرائد قد نشرت آخر الأنباء .. فقد عقد الدائرة الحمراء النية على القيام ببرنامج يدل على مدى اطماعه . ونوجز فنقـــول ان النشرة الرسمية التى نشرتها الجرائد كانت كالآتى :

ـ لقد تسلم كل عضو من أعضاء الوزارة نصا مكتوبا على الآلة الكاتبة لا يحمل عنوانا ولا أى اشارة فيما عدا دائرة حمراء مطبوعة على كل صفحة من صفحاته . وهذا نص البيان :

« ذهبت كل مجهودات رجال البوليس الرسميين وغير الرسميين، وكل محاولات مستر دريك يبل العبقرى وكبير المفتشين المستر بار هباء فى سبيل الحد من نشاطنا . ونجاحنا فى كل الأعمال التى اقدمنا عليها معروف ، فقد اضطررنا لسوء الحظ الى قتل عدد كبير من الناس ، ولم يكن ذلك بدافع الانتقام أو حبا فى القتل ولكن انذارا لغيرهم ، ويؤسفنا جدا أن نقول اننا وجدنا من واجبنا أن نقتل صباح اليوم الباكر المستر صمويل هيجيت ، وهو محام استخدمه هارفى فروايانت للقيام بعمل خاص كان من نتيجته انه أوشك أن يهتدى الينا . وانه من حسن حظ موظفيه أنه قام بهذا العمل بمفرده وانه لم يطلع أحدا منهم على نتيجة أبحاثه ، وعليه فقد كان لابد له من أن يموت ، وسوف تجدون جثته بجوار قضبان السكة الحديدية بين بريكستون ومارسدن .

« وما دام البوليس قد عجز عن الاهتداء الينا ونظرا الى اننا قد أصبحنا ، كما يقال ، مصدر خطر كبير على الأمن العام فقد قررنا أن نوقف نشاطنا على أن تدفع لنا الحكومة مليونا من الجنيهات . وسوف نقدم لذوى الشأن فى القريب العاجل كل التعليمات التى تمكنهم من سداد هذا المبلغ ، ويجب أن يكون مصحوبا على كل حال بعفو شامل يصدر على بياض بحيث نتمكن من استخدامه فيما بعد اذا اضطرتنا الظروف الى ذلك أو اذا انكشف أمرنا .

« ورفض هذا الاقتراح سوف يكون وخيم العاقبة . ونذكر فيما بعد أسماء اثنى عشر وزيرا يجب أن يكونوا رهينة لنا ، فاذا مضى الأسبوع الذى يبدأ اليوم ولم تقبل الحكومة شرطنا فسوف يموت احد هؤلاء الوزراء » .

كان أول شخص التقى به المفتش بار فى ادارة الأمن العام هو دريك بيل ، وكان بادى الانزعاج على غير عادته . وقال يخاطب المفتش :

ــ كنت أخشى مثل هذه الضربة .. وأغرب ما فى الأمر أن يقع هذا فى اللحظة الذى ظننت نفسى فيها فى موقف يمكننى من وضع يدى على زعيم هذه العصابة .

واخذ بار من يده وسار معه فى الطرقة المظلمة وقال :

ــ لقد أفسدت هذه العملية خطتى فقد كنت انوى قضاء اليوم فى الصيد .

فقال بار فى برود : اننى اذكر الآن انه كان مفروضا ان تموت اليوم ، ولكنى اظن انك تتمتع الآن بالعفــو الشامل ، الذى أصدره الدائرة الحمراء .

ضحك بيل وقال فى هدوء : قبل أن تذهب الى هذا الاجتماع اريد ان اقول لك اننى اضع نفسى تحت تصرفك التام ، واظن انه يجب أن تعلم يا بار انه فى نية الحكومة أن تعرض على رسميا القيــام بالتحقيق فى قضية الدائرة الحمراء ، وقد استطلعوا رايى منــذ لحظات فرفضت رفضا باتا لأننى واثق انك خير من يصلح لهذه المهمة ولأننى لا أريد أن أخدم رئيسا غيرك .

فقال بار فى بساطة : شكرا لك .. ولكن قد ترى الحكومة غير ذلك ..

واجتمع الوزراء فى مكتب وزير الداخلية ، وكان كل من تسلم اخطار الدائرة الحمراء قد حضر ولكنهم انتظروا حتى اجتمع كل الوزراء ، حتى الذين لم يتسلموا الاخطار .

وكان بيل أول من استدعى لحضور الاجتماع ، واستدعى المفتش بار بعده بربع ساعة .. وكان يعرف اكثر المجتمعين اسما ، وكان لا يحترم أيا منهم خارج الناحية السياسية . واحس بجو من العداء نحوه وهو يدخل القاعة ، وازداد يقينا من ذلك عندما أومأ اليه رئيس الوزراء ذو اللحية الطويلة فى برود وقال له فى جفاء :

ــ مستر بار ... اننا نتجادل الرأى الآن فى أمر الدائرة الحمراء الذى اصبح كما لا شك تعرف مشكلة وطنية ، فان خطره فاق كل

حد ، وقد بلغت به الجراة الى أن يبعث الى أعضاء الوزارة تهديدا مكتوبا ، لا ريب أنك قرات نصه فى جرائد اليوم .

فأجاب المفتش : نعم يا سيدى ..

ـ لا أخفى عنك أننا شعرنا باستياء كبير ازاء الطريقة التى عالجت بها هذه القضية ، فعلى الرغم من أننا منحناك كل التسهيلات وكل السلطات التى طلبتها والتى ...

ونظر الى ورقة أمامه يستلهم منها كلماته ، ولكن بار قاطعه يقول فى قوة وثبات :

ـ أود أن تطلع السادة المجتمعين على السلطات التى خولت لى ، ولا المزايا الخاصة التى قدمها لى وزير الداخلية .

عقدت الدهشة لسان رئيس الوزراء ولكنه لم يلبث أن قال :

ـ حسنا .. ولكن دعنى أقول لك انك على الرغم من هذه السلطات والمزايا ، وعلى الرغم من انك باشرت تحقيق جرائم الدائرة الحمراء منذ البداية فانك فشلت فى تقديم ذلك المجرم الى العدالة .

أومأ المفتش برأسه فى حين استطرد رئيس الوزراء يقول :

ـ ان النية الأصلية من وراء هذا الاجتماع هى أن نضع القضية بين يدى مستر دريك ييل ، فهو قد أفلح مرتين فى القبض على مرتكب جريمة منسوبة الى الدائرة الحمراء وان لم يكن قد أفلح فى القبض على المحرض نفسه . ومع ذلك فان مستر ييل أبى أن يقبل ذلك الا تحت رئاستك ، وقد قبلنا شرطه هذا .. وانى أعلم انك قدمت استقالتك لرؤسائك وانها قد قبلت . ولكنى أرجىء قبولى هذه الاستقالة فى الوقت الحالى .

وانحنى رئيس الوزراء الى الأمام وقال فى حدة واهتمام :

ـ ولكن ليكن معلوما يا مستر بار أن من المحال ان نقبل طلبات الدائرة الحمراء فان قبولهـــا معناه انكار للقانون وتقويض لجميع النظم والشرائع . وعليه فنحن نعتمد عليك لتقديم الحماية لكل عضو من أعضاء الوزارة وهى الحمـــــاية التى من حقه كمواطن . ان مستقبلك كله رهين بذلك .

وكانت هذه الكلمات اشارة بانتهاء الاجتماع فنهض المفتش فى بطء وقال :

ـ اذا حافظ الدائرة الحمراء على وعده فاننى أضمن لكم أنه لن يستطيع أن يمس أى عضو من أعضاء الوزارة بسوء فى لندن . اما القبض على ذلك الشخص الذى يطلق على نفسه اسم الدائرة

الحمراء فأمر آخر .

وقال رئيس الوزراء : أظن انه ليس هناك شك فى أن ذلك المدعو هيجيت قد قتل ؟ ..

وكان دريك ييل هو الذى اجاب فقال : نعم يا سيدى .. لقد عثرنا على جثته سباح اليوم الباكر . وكان يقيم فى مارسون ، وقد غادر لندن فى الليلة الماضية فى القطار ومما لا شك فيه ان الجريمة اقترفت فى الطريق .

هز رئيس الوزراء راسه وقال : هـذا أمر يؤسف له ... أمر يؤسف له حقا .. سلسلة بشعة من الجرائم والقتل ، ويبدو اننا لسنا فى آخر المرحلة بعد .

وعندما خرج بار وييل رأيا بعض الناس قد تجمعوا لاستقاء الانباء لان أمر الاجتماع كان قد شاع فوقفوا يتناقلون الرأى فى المشكلة التى تتعرض لها الحكومة . وعرف القـوم ييل فقابلوه بالتصفيق والهتاف ، ولكن بار مر بينهم من غير أن يفطن اليه أحد أو يهتم به . وقد سره هذا الأمر وقابله بارتياح كبير .

لم يكن هناك ريب فى ان الدائرة الحمراء كانت مشكلة الساعة .. وكان بعض باعة الجرائد قد رسموا على أكشاكهم حلقات حمراء مقلدين شارة العصابة . وكان الرجال يتكلمون فى كل مكان ويتجادلون فى احتمال تنفيذ الدائرة الحمراء تهديده ووعيده .

كانت تاليا دراموند فى المكتب عندما دق جرس التليفون . وكادت السماعة تفلت من بين أصابعها عندما عرفت صوت محدثها ، وقالت :

ـ نعم .. أنا هى .. صباح الخير يا بيردمور .

فسألها جاك : هل مستر ييل موجود ؟ ..

ـ انه خرج الآن لتوه ولن يعود اليوم ..

واردفت تقول وهى تحاول أن تملك نفسها وتجعل صوتها يبدو عاديا بقدر ما تستطيع :

ـ ربما أستطيع أن أجده اذا كنت تريده لأمر هام ..

فأجاب جاك : لا أدرى اذا كان الأمر هاما أم لا .. ولكنى كنت ارتب أوراق أبى هذا الصباح ، وهو أمر بغيض بهذه المناسبة ، وقد وقعت على حزمة من الأوراق خاصة بمارل .

فقالت فى بطء : بمارل ؟ ..

ـ نعم .. نعم يظهر ان ابى كان يعرف اكثر مما كنا نتصور . لقد

قضى مارل فترة في السجن ، فهل كنت تعلمين ذلك ؟ ..
فأجابت تاليا : أظن ذلك ..
واستطرد جاك : كان ابى يتحرى دائما عن العملاء الذين يتعامل معهم . وقد جاءته هذه المستندات من وكالة فرنسية وكلها تدور حول مارل ، ويتضح منها انه كان مجرما وغدا وانه ليدهشنى ان يتعامل ابى مع رجل طريد العدالة . وبين هذه المستندات مظروف مكتوب عليه « صورة الاعدام » وهو ما زال مختوما بخاتم مكتب الوكالة الفرنسيه . ويظهر أن أبى لم يفضه ، فقد كان يكره مثل هذه الأشياء البغيضة .
فقالت الفتاة على عجل : هل فتحته ؟ ..
فأجابها فى دهشة : كلا .. ولماذا هذه اللهفة ؟ ..
ـ هل لك أن تؤدى لى خدمة يا جاك ؟ ..
كانت هذه هي أول مرة تدعوه فيها باسمه مجردا فاصطبغ وجهه وقال فى لهفة :
ـ بكل تأكيد يا تاليا .. اننى لأقدم على كل شيء من اجلك ..
فقالت فى قوة : لا تفتح هذا المظـــــروف اذن .. احتفظ بكل الأوراق الخاصة بمارل فى مكان أمين .. هل تعدنى بذلك ؟ ..
ـ أعدك .. ولكنه طلب غريب ..
فسألته : هل حدثت أحدا بأمر هذا المظروف ؟ ..
ـ أرسلت كلمة للمفتش بار بخصوصه ..
وسمع صيحة تدل على الضيق قبل أن تقول له : هل تعدنى بألا تحدث احدا عن هذه الأوراق ، وخصوصا تلك الصورة ؟ ..
فأجاب : طبعا يا تاليا .. سوف أرسلها اليك اذا أردت .
فقالت : كلا .. كلا .. لا تفعل هذا ..
ثم أنهت المكالمة فجأة وجلست مكانها لحظة مبهورة الأنفاس ، ثم نهضت والقت قبعتها على راســها واغلقت المــكتب وذهبت لتناول الغــداء .

الفصل الرابع والثلاثون

تاليا تتناول الغداء مع وزير

مضى اليوم الرابع من الشــــهر وما زال دريك بيل على قيد الحياة . وذكر بيل هذه الحقيقة وهو يدخل المكتب الذى يتقاسمه مع المفتش بار وقال : ضاع على الصيد لسوء الحظ .

فقال بار مزمجرا : ضياع الصيد خير من ضياع العمر ... اننى واثق أنك لو كنت ذهبت للصيد لما عدت بعد ذلك على الاطلاق .

فضحك بيل وقال : انك تثق بالدائرة الحمراء ثقة عمياء ، وكذلك فى مقدرته على الوفاء بوعوده .

واجاب بار دون أن يرفع عينيه عن الخطاب الذى يقراه : نعم .. اننى واثق به الى حد ما.

وقال بيل بعـــد فترة صمت : سمعت ان برابازون قد ادلى باعترافاته ..

فقال المفتش : نعم .. ومع ذلك فليس فيها جديد .. مجموعة من الحقائق ... ولكنه اعترف بأنه كان يقوم منذ وقت طويل بتوزيع الأموال التى كان الدائرة الحمراء يبتزها من ضحاياه وان لم يكن على علم بهذه الحقيقة . وقد ذكر لنا كيف انضم للدائرة وكيف أصبح بعد ذلك من رجاله الموثوق بهم على الرغم من انه لم يعرف من هو الدائرة .

ـ وهل توجه اليه تهمة قتل مارل ؟ ..

هز بار رأسه وأجاب : ليس لدينا من الأدلة ما يكفى لذلك ..

وطوى الرسالة التى كان يقرأها واعادها الى المظروف . وسأله بيل : ماذا اكتشفت فى فرنسا ؟ .. لم تواتنى الفرصة لكى اتحدث معك فى هذا الأمر ..

اضطجع بار فى مقعده الى الخلف وبحث عن غليونه واشعله قبل أن يقول :

ـ اكتشفت نفس الأشياء التى اكتشفها فروايانت تقريبا . والحق اننى تتبعت نفس الخطوات التى قام بها هو فى بحثه . وكانت كلهـا

تتعلق بمارل وماضيه . وانت تعلم انه كان مشتركا مع عصابة من المجرمين الأشقياء فى فرنسا وانه هو وزميله لايتمان ـ واظن أن هذا اسمه ـ قد حكم عليهما بالاعدام ... وقد نجا لايتمان بسبب عطب اصاب المقصلة ، فنفى فى جزيرة الشيطان حيث مات .

فقال ييل فى هدوء : انه لم يمت .. بل هرب ..

فقال بار وهو يرفع عينيه اليه : انه هرب ، عليه اللعنة ! .. اننى لم أكن مهتما بلايتمان على كل حال ولكن بمارل ..

سأل ييل فجأة : هل تتكلم الفرنسية يا بار ؟ .

ـ بطلاقة ..

ثم نظر اليه وقال له : لماذا تسأل ؟ ..

ـ لا شيء الا أننى أردت أن أعرف كيف قمت بتحرياتك ..

فقال بار وهو يحاول تغيير مجرى الحديث : نعم .. اننى اجيد التحدث باللغة الفرنسية .

ولكن ييل عاد يقول فى رقة : وقد هرب لايتمان .. واننى أتساءل اين هو الآن ؟ ..

فأجابه بار وهو نافذ الصبر : هذه مسألة لم أهتم بها اطلاقا .

ـ يبدو أنك لم تكن الوحيد الذى اهتم بمارل ، فقد رايت على مكتبك رسالة من جاك يقول لك فيها انه اكتشف شيئا بين أوراق ابيه يتعلق بمارل فان أباه تحرى هو الآخر عن ذلك الرجل .

وكان ييل مدعوا لتناول الفداء مع مدير البوليس . ولم يكن بار مدعوا معهما ولم يشعر بأى اهانة لذلك ، فقد كان كثير المشاغل فى هذه الأيام ، وكان عليه أن ينتقى الرجال الذين يجب أن يقوموا بحراسة اعضاء الوزارة ، ولم يكن يريد أن يخل بالوعد الذى قطعه على نفسه .

والحق أن وجوده بينهما ما كان ليسر ييل ، فقد كان هذا الأخير يريد ان يطلع المدير على شيء لم يكن من الخير ان يسمعه بار ، على أنه لم يتكلم الا عندما أوشكا على الفراغ من الطعام . وأحدثت كلماته وقعا كوقع القنبلة ، وارتد المدير الى الخلف فى مقعده وهتف :

ـ شخص فى ادارة الأمن العام ؟ .. ولكن هذا محال يا ييل ..

هز دريك ييل رأسه وقال : لا استطيع ان اقول ان هناك شيئا مستحيلا يا سيدى . ولكن الا ترى معى أن كل الشواهد تؤيد هـذه الفكرة ؟ .. ان كل ما نقوم به فى سبيل الاهتـــداء الى شخصية الدائرة الحمراء لا يأتى بالنتيجة المرجوة . فقد تمكن احدهم من دس

السم فى زنزانة سيبلى وأن يقتله . ومن الذى يستطيع ان يفعل ذلك الا اذا كان رجلا يستمد سلطته من ادارة الأمن ... لننظر الآن الى قضية فروايانت . كان هناك بعض رجال البوليس يراقبون البيت والظاهر أنه لم يدخل البيت أو يخرج منه احد .

وكان مدير البوليس قد تمالك جأشه واستعاد هدوءه فقال :

ـ تكلم فى وضوح يا مستر ييل .. هل تتهم بار ؟ .

ضحك ييل وهز رأسه قائلا : كلا طبعا .. لا يمكننى أن أتصور بار وفى رأسه فكرة اجرامية واحدة .

وانحنى فوق المائدة واستطرد يقول فى صوت خافت : ولكن اذا انت أمعنت التفكير وأخذت كل نقطة وكل جريمة من الجرائم التى ارتكبها الدائرة الحمراء فسوف تلاحظ هذه الحقيقة ، وهى أن خلف كل جريمة من هذه الجرائم رجلا له شأن كبير فى ادارة الأمن .

وعاد المدير يسأل : هل تعنى بار ؟ ..

ـ لا اريد أن أفكر فى بار .. ولكنى أميل الى الاعتقاد بأنه ضحية مرءوس يثق فيه ثقة فى غير محلها .

واستطرد يقول مسرعا : وأرجو أن تفهم اننى لن أتردد فى اتهام بار لو أننى اكتشفت شيئا ضده . بل اننى لن أعفيك أنت نفسك من الشك يا سيدى لو أنه عرض لى ما يجعلنى اشك فيك .

ظهر الضيق على المدير وقال فى غلظة : يمكننى أن أؤكد لك اننى لا أعرف شيئا عن الدائرة الحمراء .

ولكنه لم يلبث أن ادرك سخف احتجاجه فضحك واشار الى شخصين يتناولان الغداء فى ركن من المطعم الكبير وقال :

ـ من هذه الفتاة التى هناك ؟ .. انها ترنو اليك ..

فأجاب ييل فى حرص : انها تدعى تاليا دراموند وزميلها هو ، اذا لم أخطىء ، الشريف رفائيل ويلنجز من رجال الحكومة وواحد من الذين تسلموا انذار الدائرة الحمراء .

أطلق المدير من بين شفتيه صفيرا خافتا وقال : تاليا دراموند ؟ .. أليست هى تلك الفتاة التى وقعت فى مشكلة منذ أيام ؟ .. كانت سكرتيرة لفروايانت ، أليس كذلك ؟ ..

فأومأ الآخر وأجاب وهو يهز رأسه : انها لغز بالنسبة لى ... واغرب ما فيها جرأتها فالمفروض أن تكون فى هذه اللحظة بالذات جالسة فى مكتبى ترد على المكالمات التليفونية وتهتم بالرسائل التى قد تأتى الى .

فقال المدير في دهشة : هل تستخدمها عندك ؟ .
ولكنه لم يلبث أن ابتسم واستطرد : انني اوافقك على انها شديدة الجراة ولكن كيف تسنى لها التعرف على مستر ويلنجز ؟ ..
ولم يكن في وسع دريك بيل الرد على هذا السؤال ..
وكان لا يزال جالسا مع المدير عندما رآها تنهض يتبعها زميلها وتجتاز القاعة في بطء . وكان لابد لها من المرور به والتقت عيناها بعينيه المستفهمتين واومأت اليه براسها ثم قالت شيئا للرجل الذي يتبعها ..
وقال دريك : ارايت الى جراتها ؟ ..
فأجاب المدير : كنت أتصور انك ستقول لها شيئا ما ..
وكان دريك بيل رجلا يجاري المناسبات سواء في تصرفاته أو في أقواله ، ولكنه وجـــد نفسه لأول مرة في موقف عسير لم يدر كيف يتصرف ازاءه . وكانت تاليا قد بلغت المكتب قبله بدقائق وكانت تخلع قبعتها عندما دخل . وخاطبها قائلا : مهلا يا آنسة دراموند .. اريد ان أقول لك بضع كلمات قبل أن تستأنفي عملك . لماذا غادرت المكتب ساعة الغداء ؟ .. انني طلبت منك البقاء بوجه خاص ..
فأجابته وعلى شفتيها ابتسامة بريئة : ولكن مستر ويلنجز طلب مني أن أتناول الغداء معه ، وبما انه من اعضاء الحكومة فقد خطر لي انه ما كان يروق لك أن ارفض دعوته .
ــ وكيف تعرفت بمستر ويلنجز ؟ ..
فنظرت اليه في قمة راسه الى اخمص قدميه في قحة وبرود واجابت : هناك وسائل كثيرة للتعرف بالرجال !! .
أخذ بيل بعض النقود من جيبه وألقاها فوق المكتب وهو يقول :
ــ اليك مرتب اسبوع يا آنسة دراموند .. لن احتاج الى خدماتك بعد اليوم .
فرفعت حاجبيها وقالت بلهجة الجد : هل عدلت عن تقويمي ؟ ..
فاسقط في يده ، ولكنه سرعان ما ضحك وقال : لا يمكن تقويمك يا آنسة . هناك اشياء كثيرة اضرب الصفح عنها ، وقد كان في مقـدوري أن اغفر لك لو أنني وجدت عجزا في الخزانة . ولـكني لا استطيع أن اغفر لك مغادرتك للمكتب بدون اذن مني ..
اخذت الفتاة النقود وأحصتها ثم قالت ساخرة : ان المبلغ مضبوط .. لا ريب انك اسكتلندي يا مستر بيل ..
ــ هناك طريقة واحدة لتقويمك يا آنسـة دراموند ..

وكان يتكلم بلهجة الجد . وكان يبدو انه يجد صعوبة فى اختيار الكلمات الصحيحة .. وسألته تقول : وما هى اذا سمحت ؟ ..

ـ هى الزواج .. وأكاد أميل الى أن أقوم بهذه المحاولة .

جلست تاليا على حافة المكتب وراحت تهتز وهى تضحك فى صمت ثم قالت أخيرا : انك غريب الأطوار الآن انك مصلح حقا .

واردفت تقول فى لهجة الجد : اعترف يا مستر ييل انك تنظر الى كتجربة لا أكثر وانك لا تشعر بأى ميل نحوى .

ـ اذا كنت تعنين الحب فاننى لا أشعر نحوك بأى حب ..

ـ هذا ما كنت أعنيه .. كلا .. اظن اننى سوف انصرف ومعى مرتب أسبوع .

وانتهى الحديث كما لو كان قد عرض عرضا قوبل بالرفض ، وتمتم ببضع كلمات يقول انه سوف يعطيها شـــهادة ، ثم انتهت المسألة بالنسبة له . وعاد الى مكتبه ولم يحاول أن يصفق الباب خلفه .

ومع ذلك فقد انزعجت الفتاة لهذا الطرد ، اذ لم يكن له غير معنى واحد من اثنين وهو اما ان يكون دريك ييل قد شك فيها ، وهذا احتمال شديد الخطورة ، واما أن يكون طردها حيلة وجزءا من خطـة عميقة ليحملها على أن تقدم على شىء ما .

وعندما بلغت مسكنها وجدت رسالة فى انتظارها تماما كما حدث بالأمس . كان زعيم عصابة الدائرة الحمراء رجلا مثابرا فيما يخصها هى بالذات . وفضت الرسالة وقرأت فيها ما يلى :

« أحسنت صنعا اذ نفذت تعلماتى بكل دقة . وتم التعارف بينك وبين ويلنجز كما وعدتك ، ولم تكن هناك صعوبة ما . أريد أن تعرفى هذا الرجل كل المعرفة وأن تكتشفى نقطة الضعف فيه . وأريد أن أعرف على وجه الخصوص ما يدور فى رأسه وأن أعرف رأى الوزراء فى اقتراحى . ان الثوب الذى كنت ترتدينه أثناء الغداء لم يكن لائقا بما فيه الكفاية . لا ترددى فى الانفاق على زينتك بسخاء . سوف يطردك دريك ييل اليوم ولكن لا حاجة بك الى الانزعاج لأنه لم يعـد لبقائك فى مكتبه أى داع . ستتناولين العشاء الليلة مع ويلنجز ، وهو يتأثر بالجمال بشكل محسوس فاعملى على أن يدعوك الى بيته فان عنده مجموعة من الأسلحة القديمة يفخر بها كل الفخر ، وفى مقدورك عندئذ استكشاف البيت » .

والقت نظرة داخل المظروف فرأت ورقتين ماليتين كل منها بمائة جنيه فوضعتهما فى حقيبتها وقد ارتسمت على وجهها امارات الجد .

الفصل الخامس والثلاثون

اجتماع الدائرة الحمراء

كان مستر رفائيل ويلنجز نتاج عصره . لم يكن قد تجاوز الأربعين الا بقليل ومع ذلك فقد بلغ منصب الوزير بعصاميته وقوة شكيمته . واذا نحن وصفناه بأنه وزير شعبى فاننا نمط هذه الكلمة الى أقصى حدود المستطاع ، فهو لا يتمتع بأية شعبية ، لا بين زملائه ولا بين المواطنين الذين على الرغم من اعترافهم بقدرته العجيبة ، وعلى الرغم من أنهم يعتبرونه خطيبا قديرا فانهم كانوا لا يولونه ثقتهم اذ ثبت لهم عدم ولائه مرارا ، والغريب انه أفلح في الوصول الى المركز الذى يشغله على الرغم من كل ذلك . ولكن كان ذلك بفضل عدد من أتباعه ... وهم رجال ثابتو العقيدة كان يعتمدعليهم فى الانتخابات ، وكانت الحكومة تعمل لهم ألف حساب ولا تجرؤ على مناهضتهم .

وكان يتمتع بسمعة سيئة بين زملائه ، ولا داعى لأن نقدم كشفا عن المناسبات التى تدل على سوء هذه السمعة .. ولكن كانت هناك حقيقة معروفة وهى انه افلت مرة وبشق النفس من الظهور فى قضية طلاق . وقد بلغ من سوء سمعته أن البوليس هاجم نادى ميروس وناديا ليليا آخر كان هو عضوا فيه ويختلف اليه بصورة مستمرة . وذلك للتشكيك فى أمره . وكان هذا الهجوم بايعاز من زوجة أحد زملائه . ولم تغب هــذه الحقيقة عن ويلنجز والدليل على ذلك ان الجريدة التى يملكها حملت حملة مفرضة شعواء على زوج هــذه الزوجة بحيث لم يجد هذا الأخير مفرا من اعتزال الحياة العامة .

وكان رجلا متين البنيان ، يميل الى السمنة . بدأ الصلع يفشي راسه . كان فى مجموعه مقبولا يكاد يعتقد انه أفلح فى تلك الطريقة التى دبرها بنفسه للتعرف على تاليا دراموند ، ولو أنه عرف ان الفتاة التى أفلح فى التعرف عليها قد صدرت اليها أوامر الدائرة الحمراء لكى يتم التعارف بينهما لأصابه الذعر والهلع . والحق أنه كان للدائرة الحمراء اعوان كثيرون فى كل مكان وفى كل فرع من فروع الحياة وفى كل طبقة من الطبقـــات ... كان عددهم مائة بينهم

المحاسبون ، ومدير للسكك الحديدية ، وطبيب ، وثلاثة رؤساء خدم . وكان يدفع لهم بسخاء ويقومون فى نظير ذلك بأعمال تافهة . وكان من بين هذه الأعمال مثلا التدخل بين شخصين لاتمام التعارف بينهما . ولكن كانت التعليمات تصدر اليهم فى كل مرة بطريقة مماثلة . كان لكل منهم مهمة يقوم بها خير قيام ، وكان الجزء الذى يقوم به أعضاء العصابة يدعو الى العجب فى أكثر الأحايين لبساطته وعدم أهميته .

وقد حدث أن بعض أعضاء العصابة استولى عليهم الذعر وأدلوا بأقوالهم الى البوليس فى ادارة الأمن العام ، وعلم هؤلاء بساطة الأعمال التى يكلفهم بها ذلك الرجل الغامض المدعو بالدائرة الحمراء .

وكان زعيم العصابة قد دبر الأمر بحيث لا يخشى العواقب التى قد يجرها عليه خيانة بعض رجاله . وكانت طريقته بارعة حقا لأنه لم يكن فى مقدور أى منهم تزويد رجال البوليس بأية معلومات تؤدى الى القبض عليه أو حتى معرفة شخصيته . وكانت له فوق ذلك سبلا غريبة فى التجسس على رجاله كما حدث فى ذلك اليوم الذى تناول فيه دريك ييل طعام الغداء مع مدير البوليس ، فقد استدعى كل أعضاء عصابته للاجتماع به لأول مرة وزودهم بكافة التعليمات التى يجب عليهم أن يتبعوها الى حد أنه ذكر لكل منهم نوع الثياب التى يجب أن يرتديها والوسائل التى يتخذها كل منهم ليمنع زملاءه من معرفته . وقد أغفل الزعيم دعوة الوشاة والخونة الذين أسرعوا وأدلوا بأقوالهم لرجال البوليس كما لو كان ذلك الرجل الغريب الغامض يقرأ أفكار كلا من رجاله .

ولن تنسى تاليا دراموند ذلك الاجتماع طول حياتها فهو الذكرى الحية المثيرة التى ظلت عالقة بخيالها .

وفى قلب لندن كنائس كثيرة قديمة . وأقدم هذه الكنائس كنيسة سانت أجنس ، فقد أفلتت بمعجزة من الحريق الكبير وأقيمت حولها البيوت والمساكن ذات الجدران العالية التى تفوقها علوا حتى كادت أن تغطى عليها بحيث لم يعد يختلف اليها الا عدد لا يزيد على أصابع اليدين كل أسبوع . ويقع أحد أبوابها فى آخر زقاق مسدود . وقد أمها فى ذلك اليوم الذى نحن بصدده عدد كبير من الناس على غير العادة ، ولا عجب فقد حددت الكنيسة مكانا للاجتماع الأول والأخير لأفراد عصابة الدائرة الحمراء .

كان كل شىء فى هذه الناحية مرتبا ومنسقا بطريقة تدعو الى العجب

كذلك ، فقد صدرت لكل منهم تعليمات دقيقة تحدد له الطريق الذى يجب أن يسلكه والوقت الذى يجب أن يحضر فيه بحيث لا يأتى شخصان فى وقت واحد . أما كيف حصل الدائرة الحمراء على مفاتيح الكنيسة وكيف دبر خطته بحيث يتم الاجتماع فى الحقبة التى تقع بين داوريتين من داوريات رجال الأمن فهذا ما لم تعرفه تاليا دراموند .

وقد اجتازت الزقاق المسدود وصعدت الدرجتين الأماميتين للباب الذى انفتح عند اقترابها منه وأغلق بعد مرورها على الفور . ولم يكن هناك أى ضوء فيما عدا النور الخافت الذى يأتى من الشارع خلال زجاج النافذة الملون .

وسمعت صوتا يقول لها : سيرى أمامك واجلسى فى آخر مقعد الى اليمين .

وكان بالكنيسة أشخاص كثيرون لم تتمكن من تمييز ملامح أحد منهم . وكانوا يجلسون فى صمت . وعندما اكتمل العدد ترك الرجل الذى كان يستقبل الوافدين ويرشدهم الى اماكنهم مكانه وصعد الى المحراب . وأدرك الجميع على الفور أنه هو نفسه الدائرة الحمراء .

وكان صوته خافتا مكتوما ، وأدركت تاليا أنه يضع على وجهه القناع الذى كان يلبسه فى أول يوم التقت به فيه .

قال : أيها الرفاق ... لقد جاءت اللحظة التى لابد أن تحل فيها جماعتنا ، فلا شك أنكم قرأتم جميعا الاقتراح الذى قدمته للحكومة ، ويهمكم جميعا نجاحه لأنه فى نيتى أن أوزع عليكم ٢٠ فى المائة من المبالغ التى سوف أحصل عليها ، واذا كان هناك منكم من يخشى ان يقاطعنا أحد فدعونى أدخل الطمأنينة الى قلوبكم وأقول ان الداورية المقبلة لرجل الشرطة لن تتم قبل ربع ساعة ، ثم أن صوتى من الخفوت بحيث لا يسمعه أحد خارج الكنيسة .

وأمسك لحظة ثم استطرد فى صوت أشد خشونة : أما الذين يفكرون فى خيانتى ويتصورون ان أنباء هذا الاجتماع قد تسربت فاننى أرد عليهم وأقول أننى اتخذت كافة الاحتياطات وأنه لن يستطيع أحد القبض على الليلة ...

« سيداتى وسادتى ... لا أخفى عليكم ان الدائرة الحمراء فى خطر الآن ، ففى مرتين أوشكت ظروف لم أكن أتوقعها أن تكشف حقيقتى لرجال البوليس فان المخبر السرى الكبير دريك بيل يطاردنى وكذلك المفتش بار ، وهو الآخر لا يستهان به . وفى هذه اللحظة بالذات

أطالب كلا منكم بأن يبذل مجهودا كبيرا فقد ستتسلمون تعليمــــات محددة ، وضعوا نصب أعينكم انكم تجازفون مجازفة كبيرة ، وأنا نفسى أتعرض لهذه المجازفة .. ولكنى سأكافئكم بسخاء . والآن يمكنكم أن تنصرفوا . وليمض كل منكم بعد الآخر بنصف دقيقة ... وليبدأ الجالس على أول مقعد الى اليمين بالانصراف ، ثم يليه الأول الى اليسار ، وهكذا ...

وانصرف الموجودون فى بطء ونظام كما قيل لهم . وأغلق الباب بالمفتاح ..

وانتظر الزعيم حتى خلت الكنيسة .. ثم خرج بدوره ، واجتاز الزقاق فى طريقه الى الشارع واستقل سيارة أجرة .

وكانت تاليا دراموند قد سبقته منذ ربع ساعة . وركبت سيارة اجرة كانت تقلها الى نفس المكان من المدينة . وعملت عندئذ على تغيير هيئتها فخلعت قبعتها السوداء الثقيلة ومعطفها الواقى من المطر فبدا تحته معطف آخر من الحرير الرقيق يغطى ثوبا رائعا من ثياب السهرة لم يكن هناك اى شك فى انه يحظى باعجاب مخدومها الغامض هذه المرة .

واعادت تمشيط شعرها وتنسيقه بقدر ما استطاعت ، وعندما دخلت نادى ميروس بعد ذلك وناولت عامل النادى حقيبتها الصغيرة التى أودعت فيها معطفها الواقى من المطر وقبعتها السوداء تحولت اليها جميع الأنظار وبهرتهم بجمالها الأخاذ ، وكان جاك بيردمور موجودا مع بعض أصدقائه ، وكان قد اقبل على الرغم منه ، وقد كره حياة الليل عندما وقعت عيناه عليها وعصفت الغيرة بكيانه .

وقال أحد أصدقائه : من هذه الفتاة ؟ .

فأجابه آخر : اننى لا أعرفها ولـكنى أعرف الرجل الذى يسرع للقائها .. انه الوزير رفائيل ويلنجز .

وكانت تاليا قد رأت الشاب ، وقد ساءها ذلك الاستياء .. ولم تعر كلمات مستر ويلنجز اذنا صاغية حتى نطق بكلمة نبهتها ، وجعلتها توليه اهتمامها وهتفت تقول وهى تنتفض :

ــ أسلحة قديمة ؟ .. سمعت أن لديك مجموعة كبيرة منها يا مستر ويلنجز ..

ــ هل تهمك الأسلحة الأثرية ؟ ..

فأجابته : نعم ... قليلا ... أعنى ، كل الاهتمام .

ولم تنطق بالمزيد اذ لم يسعفها القول . وكان ذلك على غير عادتها .

وأسرع الوزير يقول : هل استطيع ادعوك لتناول الشاى فى بيتى لكى أريك هذه المجموعة ؟ .. من النادر أن تهتم امرأة بمثل هذه الأشياء ... ما رأيك فى الغد ؟ ..

فأسرعت تقول : كلا .. ليس غدا .. ربما بعد غد ..

واخذ عليها هذا الوعد وسجله فى مفكرته ..

ورات جاك ينصرف دون أن يلقى عليها نظرة واحدة ، وتملكها الحزن لانها ودت لو ان تتحدث اليه . وكانت تأمل ان يتدبر الأمر بحيث يمر بالقرب منها .

واصر مستر ويلنجز على ان يرافقها حتى مسكنها ، وغادرته أخيرا وهى تتنهد فى ارتياح اذ لم ترق لها صحبته الليلة بالذات .

وكان البيت الذى تقيم فيه يقع فى مكان منعزل يفصله عن الشارع ممر صغير ، فبعد أن ودعت مستر ويلنجز وقطعت نحو عشر خطوات فى طريقها الى الباب تبينت رجلا ينتظرها فى الظلام ، على مقربة من باب البيت ، فوقفت حتى اختفت سيارة ويلنجز ثم مضت الى الرجل وتبادلت معه الحديث لحظة فى همس .. ثم افترقا دون أن يصافح أحدهما الآخر ،. فدخلت هى البيت أما هو فمضى الى الشارع ..

وعلى الرغم من أنه لم يصدر منه ما يدل على ذلك فقد أدرك ان هناك من يتعقبه ويقتفى أثره . وكان قد انتظر قدوم الفتاة مدة طويلة ، ورأى فى وضوح الرجل المختبىء تحت سقيفة أحد المحلات على الطوار المقابل . وعلى الرغم من ذلك استأنف سيره من غير أن يبدو عليه أنه فطن الى مطارده . وكان يعرف جيدا أن هناك شخصا يسير خلفه وان ذلك الشخص سوف يحاول أن يسبقه لكى يحاول أن يرى وجهه . وتحول الى شارع آخر قليل الضوء وخفف من سرعته . وعندئذ لحق الجاسوس به بالقرب من مصباح غازى والتفت اليه ليرى وجهه . ولكن الرجل أصـــابه بلطمتين على وجهه وقع على أثرهمـــا . وفى نفس الوقت خرج من جوف الظلام ثلاثة رجال احاطوا به .

وعندما عاد الجاسوس الى رشده ورأى وجه الرجل الذى تجسس عليه تحت ضوء المصباح هتف يقول :

ـ ياللسموات ! .. اننى أعرفك ..

فأجابه الرجل وهو يبتسم : ولكنك من تجنى شيئا من معرفتك يا صاحب .

الفصل السادس والثلاثون

سأراك غدا ان كنت لاتزال على قيد الحياة

عاد جاك بيردمور الى بيته فى تلك الليلة وهو فى اشد حالات اليأس والجزع . فقد كانت تاليا دراموند تشغل كل فكره ، ومع ذلك فقد كان لديه من الأسباب ما يحمله من احتقارها ، وراح يرمى نفسه بالحماقة والجنون وهو يذرع غرفة مكتبه جيئة وذهابا .. واحس فى هذه اللحظات بأنه يود لو أن يجرح شعورها كما جرحت شعوره من غير أن تدرى . وتهالك فوق مقعد واخذ رأسه بين يديه وقضى ساعة وهو نهبة الأفكاره السوداء .

ونهض اخيرا وهو يكاد لا يملك نفسه من فرط الانفعال ، وسار الى الخزانة وأخذ حزمة المستندات وجلس الى مكتبه وبدأ يفحصها . ولفت اهتمامه المظروف المغلق المعنون باسم ابيه والذى لم يفض بعد ، وود لو أن يفضه لا لشىء الا نكاية فى تاليا ..

لماذا أبدت كل هذا الانزعاج بالصورة ، ولماذا أكدت عليه بألا يراها ؟ أكان ذلك اهتماما منها بمارل ؟ وتجهم وجهه عندما تذكر انها قضت مع هذا الأخير بعضا من الوقت فى الليلة التى لقى فيها مصرعه بتلك الطريقة الغامضة ؟ .. ونهض وأخذ الأوراق وذهب بها الى مخدعه . وكان متعبا بحيث أن الفضول لم يدفعه لرؤية صورة الاعدام . وانتفض لمجرد فكرة ما فى تلك المستندات من خطورة ، والقى بالحزمة فوق الطاولة وبدأ يخلع ثيابه وهو عابس الأسارير .

وكان يتوقع الا يغمض له جفن طوال الليل ، ولكن الانفعال الذى مر به والحالة التى عصفت بكيانه أحدثا رد الفعل الذى يحدث عادة فى مثل هذه المناسبات ، فغرق فى نوم عميق بمجرد أن القى راسه فوق الوسادة . ثم بدأ يحلم ورأى فى أحلامه أن تاليا فى قبضة غول تشبه راسه رأس المفتش بار ، كما رأى مارل براسه المخيفة القبيحة وجدة المفتش بار التى يشعر نحوها بأكبر الخوف .

ما الذى أيقظه ؟ .. اهو ذلك الضوء الذى انعكس فجأة على المرآة القائمة فوق طاولة الزينة والذى اختفى فجأة عندما هب من نومه ؟ ..

وعلى الرغم من أنه لم يكن قد استيقظ تماما فقد كان متيقنا من انه رأى انعكاس الضوء .

وصاح يقول : من هناك ؟ ..

ومد يده ليأخذ المصباح الموضوع على الطاولة بجانب الفراش ، ولكن المصباح لم يكن موجودا .. لقد اخذه بعضهم ..

وسمع حركة بجوار الباب فأسرع اليه وامسك بشـــخص حاول التخلص منه بكل قواه . وأخلى جاك سبيله فجأة وهو يرسل من بين شفتيه صيحة دهشة لانه أدرك أنه يمسك امرأة ... وخامره احساس بأنها تاليا دراموند ..

ومد يده يبحث عن زر الكهرباء ، وسطع النور فى الفرفة فجأة ..

كانت هى تاليا نفسها .. ولكنها كانت شاحبة اللون كالموتى تكاد لا تملك نفسها من الانفعال ، وتخفى شيئا خلف ظهرها وتحاول أن تواجه نظرته المخزونة بنوع من التحدى المؤسى ..

وتمتم وهو يجلس فى اعياء : تاليا ! ..

تاليا فى غرفته ... ماذا كانت تفعل فيها ؟ ..

وصاح يسألها فى صوت محموم : لماذا جئت ؟ وماذا تخفين ؟ .

فقالت فى حدة : لماذا جئت بهذه الأوراق الى غرفتك ؟ ... لو انك تركتها فى الخزانة ... أواه ، لماذا لم تتركها فى خزانتك ؟ ..

ورأى أنها تمسك فى يدها بالمظروف المختوم المحتوى على صورة الاعدام فتمتم يقول :

ـ ولكن ... ولكنى لا أفهمك يا تاليا ... لماذا لم تقولى لى ؟ ..

ـ قلت لك ألا تنظر الى الصورة .. وما ظننت قط أنك قد تأتى بها هنا .. انهم كانوا هنا الليلة يحاولون الاستيلاء عليها ..

كانت مبهورة الأنفاس على وشك البكاء ..

ـ هنا ؟ .. هذه الليلة ؟ .. من هم ؟ .

ـ الدائرة الحمراء .. كانوا يعرفون أن الصورة معك وقد اقتحموا مكتبك . وكنت بالبيت عندما أقبلوا فرحت أصلى وأبتهل الى الله ... ابتهلت اليه ان يعثروا عليها ..

وراحت تلوى يديها واستطردت تقول فى انزعاج :

ـ ولكنهم سوف يعتقدون الآن أنك رأيت الصورة ... أواه ، لماذا فعلت ذلك ؟ ..

ونهض فارتدى الروب فوق منامته وأحس عندئذ بأنه استعاد بعض ثباته وقال :

ـ اننى لا افهم شيئا مما تقولين ؟ .. لا افهم غير شىء واحد هو ان اللصوص سطوا على بيتى ... الا تأتين معى ؟ ..

وتبعته الى أسفل حيث غرفة مكتبه ... ورأى عندئذ انها لم تذكر غير الحقيقة فقد كان باب الخزانة مفتـــوحا وفى وسطه ثقب كبير . وتبعثرت محتويات الخزانة فى ارجاء الغرفة مما يدل على أن اللصوص قاموا بتفتيش سريع دقيق ، كمـــا افرغت ادراج المكتب وتناثرت محتوياتها فوق الأرض ، وحتى سلة الأوراق المهملة افرغت مما كان فيها هى الأخرى .

وتتمتم جاك وهو يسدل ستائر النوافذ : اننى لا أفهم شيئا ..

وقالت تاليا : سوف تفهم .. وان كنت ارجو ان تظل على عدم فهمك .. خذ ورقة واكتب ما سوف أمليه عليك .

فسألها مشدوها : ولمن أكتب ؟ ..

فقالت : للمفتش بار .. اكتب « عزيزى المفتش ... ارسل اليك رفق هذا الصورة التى استلمها ابى فى اليوم السابق لموته والتى لم يرها .. انا ايضا لم أرها . ولكنى أعتقد انها قد تفيدك ... » .

وسطر ما أملته عليه من غير ان يحاول الاعتراض ووقع باسمه ، وأخذت تاليا الرسالة والصورة فوضعتهما فى مظروف آخر وقالت :

ـ والآن ، اكتب العنوان واكتب فى اعلا المظروف : الراسل جاك بيردمور .

وبعد ان انجز ما أمرته به اخذت المظروف وسارت نحو الباب . واذ بلغته التفتت اليه قائلة :

ـ سوف أراك غدا ان كنت لا تزال على قيد الحياة ..

وأراد ان يضحك ولكن شيئا فى سحنتها وفى شفتيها المرتعشتين كتم ضحكته بين شفتيه .

الفصل السابع والثلاثون

القبض على تاليا

مضى اسبوع منذ اجتماع مجلس الوزراء ، وبدلا من قبول شروط الدائرة الحمراء اعلنت الحكومة انها ترفض التعامل مع الدائرة أو مع اعوانه رفضا باتا ..

وبعد ظهر ذلك اليوم تأهب مستر ويلنجز لاستقبال زائرة ، فان مسكنه الخاص فى حدائق اونسلو كان مشهورا بانه يضم مجموعات فريدة من الأسلحة الأثرية واللوحات الفنية النادرة .

وابتسم مستر ويلنجز وهو يتامل مجموعاته فقد اتته رسالة غفلا من التوقيع يقول له مرسلها المجهول ان تاليا دراموند تعشق التحف والآثار النادرة . ما الذى يضيره لو ان تاليا دراموند تسرق تحفة ذهبية ثمينة أو كتابا نادرا طالما أظهرت رضاءها عنه .

وعندما اقبلت الفتاة استقبلها خادم تدل هيئته على انه اجنبى فتذكرت عندئذ أن مستر رفائيل ويلنجز لا يلحق بخدمته غير الايطاليين . ونظرت الى الغرفة التى دخلتها فى شيء من الدهشة فقد كانت بها نوافذ مفتوحة فى كل ناحية وكانت تتوقع أن يتناولا الشاى فى خلوة . وكانت الغرفة تضم مجموعات كبيرة من التحف فوقفت تردد البصر حولها مبهورة الانفاس .

واقبل مستر ويلنجز فرحب بها فى حرارة وقال فى حركة مسرحية :

ـ لناكل ونشرب ونتمتع لأننا سوف نموت غدا .. ان لم يكن اليوم ... ألا تعرفين الانباء ؟ ..

واذ هزت رأسها بالنفى استطرد يقول فى مرح : انا الضحية المقبلة للدائرة الحمراء ولا ريب انك تقرأين الجرائد وتعرفين كل شيء عن هذه المنظمة المشهورة .

واستطرد يقول وهو يضحك : وقد وقع على الاختيار لكى اكون الضحية الأولى و ... لكى يتشجع بى زملائى ...

وأدهشها أن تراه مرحا بهذه الصورة على الرغم من الموقف ، اما هو فقد استطرد يقول : وحيث أن المأساة يجب ان تقع فى هذا البيت بعد ظهر اليوم فانى التمس منك أن تقبلى ...

وطرق الباب فى هذه اللحظة ودخل خادم ذكر شيئا باللغة الايطالية وهى لغة لا تفهمها تاليا ، وأومأ ويلنجز برأسه اليه وقال لتاليا :

ـ ان سيارتى بالباب فما رأيك فى أن نتناول الشاى فى بيتى الريفى الصغير ... سوف تكون هناك بعد نصف ساعة .

ولم تكن تاليا تتوقع ذلك التغيير الذى طرأ فى البرنامج فقالت :

ـ واين هذا البيت الريفى ؟ ..

وذكر لها أن البيت يقع بين بارنيت وهارتفيلد . وقالت :

ـ اننى أوثر تناول الشاى هنا ؟ ..

ولكنه هز رأسه وقال : صدقينى يا سيدتى الصغيرة ... ان تهديدات الدائرة الحمراء لا تفزعنى أبدا . ان هذا البيت هو الجنة بالنسبة لى ما دمت معى ولكن رجال البوليس أقبلوا بعد ظهر اليوم وقلبوا خططى راسا على عقب عندما قلت لهم اننى دعوت صديقا لتناول الشاى معى . سمحوا لى أن اذهب الى الريف كما لو كنت قررت ذلك فجـــأة . وانا للأسف لست حرا . وارجو الا تفسدى الساعات الجميلة الهادئة التى يمكن أن نتذوقها معا . لقد أرسلت رجلين من خدمى الى الريف لاعداد كل شىء ويسعدنى جدا أن أريك أجمل بيت ريفى فى كل ضواحى لندن .

ولم يسعها الا أن تقبل .. واسرع ليأخذ معطفه وقبعته ... ووقفت تنظر فى فضـــول واعجاب الى التحف الأثرية والأسلحة القديمة ... وعندما عاد مستر ويلنجز وجدها تتأمل الاسلحة الشرقية وقال : اليست مجموعة جميلة ! .. من دواعى الأسف أن الوقت لا يسعفنى لأطلعك على أصل كل قطعة من هذه القطع الأثرية .

ثم غير لهجته فجأة وقال : غريب ! ... ان الخنجر الأشورى قد اختفى .

والحق أنه كانت هناك قطعة ناقصة من مجموعة الاسلحة ... فقد كان مكانها شاغرا والبطاقة التى تدل عليها ما زالت فى مكانها .

وقالت تاليا : لقد لحظت ذلك انا ايضا .

وقطب مستر ويلنجز حاجبيه وقال : لا ريب ان أحد الخدم نقله من مكانه مع انى اصدرت اليهم الأوامر بألا يلمسوا أى قطعة فى غيابى .

وتردد لحظة ثم قال : ولكن هذا غير مهم الآن ... سوف اتحرى هذا الأمر عند عودتى ... هلمى بنا .

وتقدمها حتى سيارة فارهة من طراز الليموزين تنتظر بالخارج . والظاهر أن مسألة الخنجر ظلت تشغل باله فقد قال :

– اننى أعلم ان هذا الخنجر كان فى مكانه بالأمس لاننى عرضته على سير توماس سومرز ، فهو يبدى اهتماما كبيرا بالأسلحة الأثرية الشرقية . أما الخدم فلا أظن أن أحدا منهم يجرؤ على لمس أى منها . ولم يدخل الصالون أحد منذ امس فيمـا عدا ذلك الموظف الـكبير فى ادارة الأمن ... هناك سر طبعا فى هذه المسألة ... سوف أهتم به فيما بعد .

واحاطها برعايته واهتمامه طول الطريق : وبدا شخصا مهذبا رقيقا لا يهمه شىء غير ادخال البهجة والسرور على رفيقته الجميلة . وكان بيته الريفى يقع على طريق هاتفيلد ، أو بوجه أصبح على بعد ثلاثة كيلو مترات من الطريق العام وفى جوف الغابة ، وكان بيتا جميلا .

وتقدمها الى غرفة كبيرة تحوط بجوانبها ألواح من الخشب الموجنى المشغول وقال فى لهجة تختلف عن لهجته الأولى : أخيرا وحدنا ..

وأحست تاليا أن اللحظة الحاسمة قد دنت ، ومع ذلك لم تهتز يدها وهى تصب الشاى . وما كادت تفرغ وتقدم اليه السكرية حتى اندفع اليها من غير مقدمات فاحتواها بين ذراعيه وقبلها .

ولم تقاوم ولكنها حدقت فى عينيه وقالت : أريد أن أقول لك شيئا.

فقال وهو يشدد الضغط عليها ويقبلها : قولى كل ما تشائين .

وعندئذ حاولت التملص منه مطبقة قواعد المصارعة التى تعلمتهـا فى المدرسة ، ولكنه كان على دراية بها فلم تفلح فى التخلص منه . واخذ يجرها وهو يكاد يحملها حملا نحو خلوة صغيرة تفصلها عن الغرفة الكبيرة ستارة عريضة ، وراحت تقاومه فى يأس ، لكن فى صمت . وحاولت أن تتكلم مرتين ، ولـــكنه أطبق بيده على فمها واقترب وهو يجرها جرا من الخلوة .

وكان هناك خادمان ايطاليان فى المطبخ فى آخر البيت ، فسمعا فجأة صرخة عالية فتبادلا النظر ثم اندفعا نحو مصدرها . ولم يكن باب المخدع موصدا بالمفتاح فدخلا ووقع بصرهما على سيدهما طريحا فـوق الأرض بجوار الستارة والخنجر الأشورى مغـروز بين كتفيه والفتاة واقفة بجواره شاحبة اللون .

وانتزع أحد الخادمين الخنجر من الجرح ونقل مستر ويلنجز فوق الأريكة فى حين أسرع زميله الى التليفون . وحاول الأول ايقاف الدم الذى ينساب من الجرح وهو يتمتم بكلمات مخاطبا الفتاة التى لم تسمعه.

وخرجت فى بطء من الغرفة كما لو كانت تعيش حلما من الاحلام ، ولم تلبث ان ألفت نفسها فى الهواء الطلق .

ورات أمامها السيارة الليموزين التى اقبلت فيهـــــا مع مستر ويلنجز ، ونظرت حولها فى وجل ومرت بها لحظات ثم تمالكت جأشها ووثبت الى العربة وأدارت المحرك . ولكن لم تلبث أن اعترضتها عقبة فقد كان باب الحديقة الحديدى مغلقا وتذكرت أن السائق كان قد هبط من السيارة ليفتحه عند قدومهم ، ولم يكن لديها ما يكفى من الوقت فارتدت بالسيارة الى الخلف بضعة أمتار ثم انطلقت بهـــا بكل سرعة نحو الباب الحديدى . وسمع صوت زجاج يتحطم والتوى الباب الحديدى ولكن السيارة مرت وانطلقت مسرعة فى طريقها الى لندن وقد تحطم مصباحاها الأماميان والاكسدام .

وعندما بلغت غرفتها أخيرا أسرعت الى التليفون وسردت على الرجل الذى اتصلت به قصة غريبة وهى تنشج فى صوت مرتفع بحيث أن محدثها وجد مشقة كبيرة فى ادراك ما حدث .

وصاحت تقول بعد أن فرغت من قصتها : كفانى كل ما حدث ... كفى ... لا أستطيع المضى فى هذه المسألة ... لا أريد ... لقد كان هذا مروعا ... مروعا ...

والقت السماعة مكانها ورددت البصر حولهـــا بعينين شاردتين وتمتمت تحدث نفسها انه لابد لها من أن تتمالك اعصابها بأى شكل والا فسوف يغمى عليها . وشدت قامتها ومرت ساعات قبل أن تشعر بأنها أصبحت فى حالتها العادية .

وفى المساء فتحت الباب لطارق غير متوقع : دريك ييل . وسألته قائلة : ماذا تريد ؟ ..

واردفت تقول عندما رات رجلا آخر يقف بالبسطة :

ــ ومن صاحبك ؟ ..

فأجابها ييل فى جفاء : تاليا دراموند ... ان معى أمرا بالقبض عليك .

فرفعت عينيها اليه وقالت : ثانية ! .. هل قدر لى أن أجد نفسى بين أيدى رجال البوليس من وقت لآخر ... ما هى التهمة هذه المرة ؟ ..

فأجاب ييل : محاولة قتل الوزير رفائيل ويلنجز ... وانى أحذرك بأن كل ما سوف تقولين منذ الآن قد يتخذ ضدك .

وتقدم زميل ييل وأمسك الفتاة من ذراعها ..

وقضت تاليا دراموند الليل فى مركز بوليس ماريلبون .

الفصل الثامن والثلاثون

نظام السجن

قال يبل يحدث المفتش بار الذى راح يصغى اليه فى اهتمام :

ــ لست أعلم بعد كل ما حدث . فقد وصلت الى مسكن ويلنجز عقب رحيله مع تانيا دراموند الى منزله الريفى ، ولم يشأ الخدم اخبارى فى بادىء الأمر ولكنى لم ألبث أن أقنعتهم . وعلينا الآن ان نعلم ان كانت هى التى استمالته اليهـا اذ ان كان هو الذى اغواها . ومهما يكن فليس هناك أى شك فى انها هى التى اثرت عليه وان كانت قد تظاهرت بأنها ترافقه على غير غرض منها . انني اشتبه فى أمر هذه الفتاة منذ وقت طويل وأعتقد انها رسول الدائرة الحمراء ، وقد استولى على الانزعاج طبعا ، واسرعت الى البيت الريفى الذى يملكه ويلنجز على مقربة من هارتفيلد ولكنى وصلت متأخرا فقد وجدت ويلنجز غارقا فى دمائه ، وتاليا دراموند قد هربت فى سيارة الرجل الذى حاولت قتله . ان هذه الفتاة لها اعصاب من حديد .

ــ وكيف حال ويلنجز ؟ ..

ــ سوف يشفى ... ولكن لدينا الآن الدليل على أن الجريمة ارتكبت عمدا فان الخنجر الذى استخدمته الفتاة لم يختف الا فى اللحظة التى غادر فيها ويلنجز الصالون وتركها فيه . وهو يظن انها أخفته فى فردة كم معطفها .. وهذا يبدو معقولا .

وسأله بار : وأين وقعت المحاولة..أعنى فى أى غرفة من الغرف ؟.

ــ فى غرفة صغيرة ملحقة بالغرفة التى يطلق عليهـا ويلنجز اسم الغرفة التركية . وهى مؤثثة على الطراز التركى ، وأظنها كانت مسرحا لمشاهد خليعة لا حصر لها لأن ويلنجز لا يتمتع بسمعة طيبة من الناحية الأخلاقية . وقد وجد ويلنجز ممددا فوق أريكة بجوار الستارة التى تفصل بين الغرفتين .

كان بار مستغرقا فى أفكاره بحيث ان يبل حسبه نائما ، ولكن المفتش كان يفكر فى تلك اللحظة فى حقيقة مذهلة وهى أن القاء الضوء على جريمة أخرى من جرائم الدائرة الحمراء يرجع الى يبل ، ولكن

لم يبد عليه انه يغار من ذلك . وبدون سابق انذار انتقل الى نقطة اخرى بعيدة كل البعد عن الموضوع الذى يتحدثان فيه فقد قال :
ــ ان كبار المجرمين يقعون لأنهم يرتكبون غلطة بسيطة .
ابتسم ييل وقال : ان الغلطة البسيطة فى هذه القضية هى أن تاليا دراموند لم تفلح في القضــاء على ويلنجز ... ومع ان موت هــذا الأخير ليس خسارة كبيرة الا انني سعيد لأن الطعنة لم تكن قاتلة .
فقال بار فى بطء وهو ينهض : لم أكن اعنى تاليا دراموند بملاحظتى هذه ... انما كنت أشير الى أكذوبة صغيرة ألقاها على سمعى رجل كنت انتظر ان يكون أكثر حكمة .
وبعد أن ألقى هذه الكلمات الغامضة خرج ومضى الى مسكن جاك بيردمور .
ومن الغريب أن جاك كان أول شخص فكر فيه ، واراد ان يطلعه على نبأ القاء القبض على تاليـــا دراموند . كان يميل الى الشاب ويعرف أكثر من ييل الصدمة التى سيصاب بها الشاب اذا نمى الى علمه ما وقع للفتاة التى يحبها .
ولكن جاك كان قد هزته الصدمة لأن الجرائد كانت قد نشرت آخر الأنباء ، ومن بينها نبأ القبض على الفتاة . وعندما وصل بار كان الفتى صورة ناطقة لليأس .
وقال : يجب أن نعين لها اكبر المحامين . لم أكن أعلم انه سيأتى يوم ابثك فيه أشجانى وهمومى يا مستر بار . ولكنك ستكون طبعا فى الجانب الآخر .
فأجابه بار : طبعا .. ولكن لن يمنعنى هذا من اظهار عطفى على تاليا ، فأنا مهما يكن من البشر ولا أحمل اى ضغينة نحو المجرمين الذين القى القبض عليهم . ومثال ذلك ترولاند الذى تخصص فى القتل بالسم والذى أرسلته الى الليمان ، فهـــو من أرق المخلوقات الذين التقيت بهم .. وقد شعرت بالميل اليه بعد أن توثقت معرفتنا .
ارتجف جاك : لا تحدثنى عن القتل بالسم وعن تاليا دراموند فى نفس الوقت . هل تظن حقا انها هى الروح المحركة للدائرة الحمراء ؟.
زم بار ما بين شفتيه وقال : لو أن أحدا جاءنى وقال لى ان كبير اساقفة انجلترا هو الدائرة الحمراء لما دهشت أقل دهشة يا مستر بيردمور . ولكننا سنرى العجب العجاب قبل أن نفرغ من هذه القضية ، وقد بدات تحرياتى واضعا نصب عينى أن اى رجل يمكن ان يكون الدائرة الحمراء . قد يكون انت أول مارل أو مدير البوليس

او يبل أو تاليا .. انني لم استثن احدا تقريبا .
وسأله الشاب وهو يبتسم : وهل أضفت نفسك الى هذه القائمة ؟.
ولم يكذب بار هذا الاحتمال وأردف يقول : ان ماما تظن ...
وفي هذه المرة ضحك جاك وقال : لا ريب ان جدتك شخصية رائعة حقا .. ما رأيها في الدائرة الحمراء ؟ ..
فأجابه بار في قوة : انها أبدت رأيها فيه منذ أن ارتكب جريمته الأولى ، فقد وضعت أصبعها على النقطة الحساسة يا مستر بيردمور . وانني ادين لها بكل ما بلغته من نجاح .
وأمسك فجأة ... ولم يحاول جاك أن يحثه على الحديث ، فقد احس في أعماق نفسه بالاشفاق على هذا الرجل المسكين ، غير المهم في عمله والذى وصل الى الوظيفة التى يشغلها بالصبر والمثابرة . ففي الوظائف الحكومية يبلغ الانسان أسمى المراكز بالاقدمية المطلقة ...
والحق انه كان من الغرابة أن يحاول هذا الرجل المسكين الاهتداء الى حقيقة الدائرة الحمراء في الوقت الذى فشل فيه أذكى الأذكياء .
وقال جاك : يجب أن ازورك مرة أخرى لأزداد معرفة بعمتك و ..
فقاطعه بار : انها انتقلت الى الريف ، وانا الآن أعيش بمفردى .
وأحس جاك بالارتياح اذ انتقل بهما الحديث الى موضوع آخر ، ولكن مستر بار عاد الى الأمر الذى كان يشغله فقال : سوف يتم استجواب تاليا دراموند غدا ثم توضع في الحبس الاحتياطى .
ــ أظن انه ليس هناك اى امل في اطلاق سراحها مؤقتا ؟ .
ــ كلا .. انها ستنقل الى سجن هولواى . ولن يضرها هذا ، فهو احسن السجون .. ولعله يسعدها أن تستريح قليلا .
ــ كيف حدث أن يبل هو الذى ألقى القبض عليها ... ظننت أن هذه القضية قضيتك أنت .
فقال بار : انا الذى كلفته بذلك ، فهو قد انضم الى رجال البوليس رسميا . ونظرا الى انه قام بالتحقيق المبدئي في مسكن ويلنجز ، فقد رايت أن أدعه يباشر نشاطه في هذه القضية الجديدة .
وكما توقع المفتش بار تم استجواب تاليا دراموند في صباح اليوم التالى ، وأيدت التهمة الموجهة اليها . ولم يكن مستر ويلنجز في حالة تمكنه من القدوم للادلاء بشهادته ، ولكن كان في مقدوره استخدام القلم لأنه ارسل استقالته في نفس اليوم الى رئيس الوزراء . وقد سارع هذا الأخير بقبولها بحيث أحس ويلنجز بالحزن والأسى لأنه راى انه مهما كانت نتيجة الحوادث فقد افتضح نهائيا امام الرأى

العام وضاع مستقبله السياسي الى الأبد ، فان الشعب لا يسعه الا أن يثور ازاء القضية التى وقعت له فقد اصطحب الى بيته الريفى فتاة لم يمض على تعارفه بها غير وقت قصير وحاول اغتصابها وأصيب بطعنة خنجر أثناء مقاومتها له .

وذهب بار لزيارة تاليا دراموند في سجنها ، ولـكنها رفضت أن تستقبله فى زنزانتها ، وأصرت على أن تتم المقابلة فى غرفة الزوار العامة فى حضور الحارسة . وقالت تفسر موقفها هذا عندما جلسا .

ـ أرجو انتلتمس لى العذر لأننى لم أقبل استقبالك فى زنزانتى ، فان رسلا كثيرة للدائرة الحمراء انتهت حياتهم وهم فى عنفوان الشباب وفى أتم الصحة على أثر مقابلة مع رجل من رجال البوليس فىزنزانتهم .

فقال بار فى غباء : ان الحالة الوحيدة التى أذكرها هى حالة سيبلى .

ـ وقد كان مثلا ساطعا للحماقة والطيش ..

وافتر ثغرها عن ابتسامة وأردفت : ولكن ، ماذا تريد مني ؟ .

ـ أريد أن تذكرى لى ما حدث منذ وصولك الى حدائق أونسلو .

وروت له كل ما حدث فى ذلك اليوم بكل دقة وامانة . وسألها :

ـ متى اكتشفت أن الخنجر لم يكن فى مكانه ؟ ..

ـ عندما نظرت الى مجموعة الأسلحة ، بعد أن ذهب مستر ويلنجز ليحضر معطفه وقبعته . كيف حاله ؟ .

فأجاب بار : ان حالته لا بأس بها ... أخشى أن يشفى ..

واستدرك يقول : أعنى انه يسرنى ان اقول انه سوف يشفى .. هل كانت هذه أول مرة اكتشف فيها ويلنجز غياب الخنجر .

أومأت تاليا بالايجاب فعاد يسألها : هل تلبسين فروة فى كميك ؟.

فأجابت : نعم .. اهو المكان المفروض أننى أخفيت فيه الخنجر ؟ .

ـ هل كنت تلبسين هذه الفروة عندما ذهبت الى بيته ؟

فكرت لحظة ثم أومأت قائلة : نعم ..

نهض المفتش وقال : هل يقدمون لك كل ما تحتاجين اليه ؟ .

فأجابت فى توكيد : نعم .. ان طعام السجن يناسبنى كل المناسبة. وأشكرك . ولا اريد من أحد أن يكون من الكرم بحيث يرسل الى بما لذ وطاب من الطعام من الخارج ، طبقا للنظام المسموح به للموضوعين فى السجن الأحتياطى .

حك بار ذقنه وقال : أعتقد أنك عاقلة ..

الفصل التاسع والثلاثون

الفرار

أثار نبأ الاعتداء على رفائيل ويلنجز الذعر بين أعضاء الوزارة . وقد عرف مستر بار مدى هذا الذعر عند عودته الى ادارة الأمن . وكان رئيس الوزراء على حق فى قلقه فان الدائرة الحمراء لم يذكر متى ستكون ضربته الثانية ولا من سيكون ضحيته .

وارسلت ادارة الأمن المفتش الى شارع داونتج واجتمع برئيس الوزراء لمدة ساعتين ، وكانت هذه أول مشاورة خاصة أعقبها اجتماع مجلس الوزراء كما ذكرت الجرائد فيما بعد ، وسرت الشائعات بأن الدائرة الحمراء هدد رئيس الوزراء وأن حياة هذا الأخير فى خطر ، وكانت اشارة لا تستند على أساس ولكن أولى الأمر لم يكذبوها كما أنهم لم يؤيدوها رسميا .

وعاد دريك ييل فى تلك الليلة الى بيته ، فوجد المفتش بار ينتظره أمام باب مسكنه فسأله مسرعا :

ـ ما الخبر ؟ ..

فأجابه بار : اريد معاونتك ..

ولم ينطق بعد ذلك حتى جلس فى مقعد وثير أمام المدفأة فقال :

ـ انت تعلم يا ييل انه لابد لى من الذهاب ، ورئيس الوزراء يفكر فى التعجيل بقبول استقالتى قبل الوقت الذى كنت أتوقعه . وقد قرر أن يجتمع مجلس الوزراء لمناقشة الأساليب التى استخدمها فى التحقيق ، وقد طلب مدير البوليس منى أن أقدم بيانا فى هذا الشأن فى الاجتماع الذى سيعقد غدا فى بيت رئيس الوزراء .

فسأله ييل : وما هى الفكرة من وراء ذلك ؟ .

فأجاب بار فى كرب : سوف أدلى ببيان أشرح فيه الأساليب التى استخدمتها فى محاولتى لكشف النقاب عن الدائرة الحمراء . ولا ريب انك تعلم اننى خولت سلطات استثنائية لم أكشف عنها للوزراء ، ولكنى سأكشف عنها غدا مساء وانا فى حاجة الى مساعدتك .

فقال ييل فى حرارة : اننى رهن أمرك يا صديقى العزيز .

واستطرد بار يقول : ما زالت هناك اشياء مستغلقة تتعلق بالدائرة الحمراء ، ولكنى بدات أراها في وضوح ويخامرنى الآن شعور بأن للدائرة الحمراء شريكا فى ادارة الأمن .

فأسرع بيل يقول : هذا رأيى انا ايضا . ولكن لماذا تقول لى ذلك ؟ .

فأجاب بار فى تؤدة : حسنا .. سأضرب لك مثلا .. ان بيردمور الشاب عثر وهو يبحث فى أوراق أبيه على صـــــورة فوتوغرافية فأرسلها الى داخل خطاب . وقد جاءنى الخطاب وكانت اختامه سليمة تدل حالتها على أنها لم تمس ، ومع ذلك فعندما فضفضته لم اجد بداخله غير بطاقة بيضـــاء . وقد اكتشفت انه أعطى الصورة لتاليا دراموند لكى ترسلها الى وقد أقسم انه ظل واقفا بالباب يراقبها حتى ألقت المظروف فى صندوق الخطـابات الـكائن على الرصيف المقابل ، واذا صح هذا فمعناه أن المظروف فتح هنا فى ادارة الأمن واعيد اغلاقه فى براعة بعد أن أخذت منه الصورة .

فسأله بيل فى فضول : وما نوع هذه الصورة ؟ ..

ــ كانت صورة أخذت ساعة تنفيذ الاعدام ... صورة ذلك المجرم المدعو لايتمان وقد أخذت له فى اللحظة التى هوت فيها السكين وتوقفت قبل أن تصل الى عنقه . وقد تسلم بيردمور العجوز هذه الصورة فى اليوم السابق لمقتله .. ويبدو ان أشياء كثيرة تقع لضحايا الدائرة الحمراء فى اليوم السابق لمصرعهـــا . وقد عثر جاك عليها وارسلها الى كما قلت لك ...

فقال بيل فى لهجة ذات مغزى : بل ارسلتها تاليا دراموند ... اعتقد ان فى مقدورك تبرئة رجال ادارة الأمن العام فان هذه الفتاة متغلغلة فى عصابة الدائرة الحمراء أكثر مما تتصور . اننى فتشت مسكنها الليلة . وقد عثرت على هذا ...

ومضى الى غرفة مجاورة وعاد ومعه ربطة من الورق الأسمر فتحها أمام المفتش بار واخرج منها قفازا طويلا من الجلد وسكينا كبيرا ذا مقبض وقال :

ــ هذا القفاز يشبه ذلك الذى عثرنا عليه فوق مكتب فروايانت . وهذه السكين اخت التى قتلت ذلك الرجل المسكين .

أخذ بار القفاز وفحصه جيدا ثم قال : نعم ... هذا هو القفاز الخاص باليد اليسرى . اما الذى وجدناه فوق مكتب فروايانت فكان لليد اليمنى . انه من ذلك النوع الذى يلبسه السائقون . ترى ، من يكون صاحبه ؟ .. جرب قدرتك فى الاستنتاج يا بيل .

فهز الآخر رأسه وقال : لقد حاولت ذلك ، ولكن القفاز مر بأيدى كثيرة بحيث اختلط الأمر . ومهما يكن من أمر فان هـذا الاكتشاف يؤكد لنا أن تاليـــا دراموند ضالعة في جرائم الدائرة الحمراء الى حد بعيد .

واستطرد يقول وهو يعيد لف القفاز والسكين فى عناية كبيرة :

ـ ومهما يكن من أمر فاننى أعود الى حديثى الأول وأقول لك انه يسعدنى أن أساعدك .

فقال بار : ان ما أطلبه منك هو أن تسد الثغرات التى قد تكون فى قصتى .

وهز رأسه ثم قال : ليت ماما كانت موجودة ! ..

فقال ييل فى دهشة : ماما ؟ .

وعاد بار يقول فى اعتدال : أعنى جدتى .. فهى المخبرة السرية الوحيدة فى انجلترا بعدك وبعدى .

كانت هذه أول مرة يتحقق فيها ييل أن بار يميل الى الدعابة والمزاح .

كان من الطبيعى فى تلك الأيام أن يكون اسم الدائرة الحمراء على كل لسان وأن تشغل وقائع هذه العصابة الرأى العام . ولكن الحادث الوحيد الذى كان له أكبر الوقع على الجميع عامة والذى أذهل دريك ييل وهو جالس فى فراشه هو قراءته لآخر أنباء الصباح وهو « فرار تاليا دراموند » .

والناس يهربون من السجن فى الروايات الخيـــالية . وهذه الروايات تأتينا بأنباء غريبة عن هربهم من سجن دارتمور المخيف من وقت لآخر ، وان كان هذا قد حدث جدلا فلم يسبق قط فى تاريخ سجون انجلترا أن هربت امرأة من سجن هولواى ، ومع ذلك فعندما دخلت الحارسة صباح ذلك اليوم الى زنزانة تاليا دراموند وجدتها شاغرة .

وقد أثار هذا النبأ دهشة ييل وكاد يصعق . وقرأ الخبر كلمة كلمة ، وما أن اتى على آخر كلمة منه حتى ازدادت دهشته .

وهذا هو نص ذلك النبأ المثير الذى نشرته جرائد ذلك الصباح والذى أيدته الحكومة .

.. نظرا لأهمية السجينة والتهمة الموجهة اليها فقد اتخذت كافة الاحتياطات وضوعفت الحراسة فى الممر الذى تقع فيه زنزانتها . وكلفت الداورية بالمرور كل نصف ساعة بدلا من كل ساعة كما هو

المتبع . وليس من عاده هـــذه الداورية فحص كل زنزانة أثناء مرورها ، ومع ذلك فان مسز هاردى ، حارسة الليل ألقت نظرة على زنزانة السجينة فى الســـاعة الثالثة صباحا وتحققت من وجودها . ولكن عندما فتح الباب فى الساعة السادسة من صباح اليوم نفسه كانت تاليا دراموند قد اختفت . والغريب فى الأمر أن قضبان النافذة سليمة لم تمس وكذلك قفل الباب .

« وبدأ البحث فى أنحاء السجن على الفور وفى الأماكن المجاورة ولكنه لم يسفر عن شىء فلم يعثر أحـد على أثر للسجينة . ومن المحال قطعا أن تكون اخترقت الجدران ، وكذلك من المحال أن تكون مرت من الباب العمومى للسجن لأنه كان يتعين عليها فى هــذه الحالة اجتياز ستة أبواب مختلفة . وقد دلت التحريات على أن هذه الأبواب لم تغتصب ، ولم ير الحارس شيئا يثير الانتباه .

« وفرار تاليا دراموند يدلنا على القوة الجبارة التى يتمتع بهـا الدائرة الحمراء ، ويثير حيرتنا فى نفس الوقت ، خاصة وأن فرارها على هذه الصورة تم فى الوقت الذى تهدد فيه تلك العصابة الجهنمية حياة قادة الشعب » .

نظر ييل الى ساعته فألفاها الحادية عشرة ، فوثب من فراشه ومن غير أن يتناول افطاره أسرع الى ادارة الأمن العـام حيث وجد المفتش بار يقرأ الأخبار وهو مشرق الأسارير وصاح يقول :

ـ ولكن هذا لا يصدق ... هذا محال ... لابد أن لها أصدقاء فى السجن .

فقال بار : هذا رأيى ايضا . وقد قلت لمدير البوليس نفس هذه الـكلمات ... لابد أن لها أصدقاء فى السجن .

وامسك هنيهة ثم قال : والا فكيف استطاعت الفرار ! ..

نظر ييل اليه فى شك . كان الوقت غير مناسب للاستخفاف ، ومع ذلك فقد كانت لهجة المفتش بار يشوبها الاستخفاف .

الفصل الأربعون

من هو الدائرة الحمراء ؟

لم يعلم بيل شيئا اكثر مما طالعه فى جرائد الصباح واستقل سيارة أجرة الى مكتبه . وكان لم يذهب اليه منذ يومين .

كان فرار تاليا دراموند مسألة ذات أهمية على غير ما يعتقد بار ... بار ! خطر لبيل فى تلك اللحظة خاطر فظيع ... جون بار ! هذا الرجل الغبى الأحمق ... هذا مســتحيل ! ... وهز رأسه واخذ يجمع فى ذهنه كل الوقائع التى اشترك فيها المفتش بار . وتمتم يقول أخيرا وهو يرفض عرض عامل المصعد : هذا مستحيل !

وبلغ مكتبه وهو غارق فى أفكاره . وكان اول شيء لفت نظره عندما فتح الباب هو أن صندوق خطاباته كان فارغا . كان صندوقا كبيرا مثبتا فى الباب من الداخل ومصنوعا بطريقة خاصة بحيث لا يمكن لأحد أن يلتقط ما يوضع فيه من رسائل ولكنه كان مع ذلك فارغا ... لم يكن فيه حتى ولا نشرة واحدة .

واغلق الباب فى هدوء ومضى الى غرفته الخاصة وما كاد يتقدم خطوة حتى توقف كالمصعوق فقــد رأى الأدراج مفتوحة وخزانته الحديدية كذلك . ونظر تحت المكتب حيث يقع درج سرى بين درجين لا يمكن لغير خبير أن يفتحه وقــد أخفى فيه أشـــد مستندات الدائرة الحمراء خطورة ، ولكنه لم يجد مكانه غير لوح محطم الأثر الذى تركه المقص المعدنى الذى استعمل فى قطعه .

ووقف مدة طويلة عاقــدا ذراعيه ، مطـرق الرأس لا يبدى أى حراك . ولم يكن بحاجة الى التفكير لكى يعرف من الذى فعل هذا . ومع ذلك قام بالتحرى اللازم . وقدم اليه عامل المصعد كل المعلومات التى يبحث عنها فقال له :

ــ نعم يا سيدى .. لقد جاءت سكرتيرتك صباح اليوم وبقيت بالمكتب ساعة ثم انصرفت .

ــ وهل كانت تحمل حقيبة ؟ ..

ــ نعم يا سيدى ..

فشكره بيل واسرع الى ادارة الأمن فروى للمفتش بار ما حدث ثم اردف يقول :

ـ سأذكر لك الآن شيئا يا بار .. شيئا لم أذكره حتى لمدير البوليس . لا شك ان عصابة الدائرة الحمراء يديرها رجل ، وقد اتفق ان نمى الى علمى أن تاليا دراموند التقت بذلك الرجل وانه أوقفها على أدق اسرار عصابته ولكنى عرفت كذلك انه وان كان هو الزعيم الا ان التعليمات كانت تأتيه كما تأتى نغيره من الرئيس الحقيقى للعصابة ، وأعنى به تاليا دراموند نفسها .

فصاح المفتش : يا للسماء ! ..

ـ لعلك تتساءل الآن لماذا الحقتها بخدمتى ؟ .. لقد سبق أن قلت لك اننى اعتقد انها ستقودنا الى الدائرة .. وقد كنت على حق .

فسأله الآخر مسرعا : ولكن لماذا طردتها ؟ ..

ـ لأنها أقدمت على شىء استحقت الطرد بسببه . ولو أننى لم اطردها لأدركت اننى استبقيها لغرض .

واردف يقول ضاحكا : وقد كان فى مقدورى أن اوفر على نفسى هذا الازعاج لأن العمل الذى أقدمت عليه صباح اليوم يدل على انها تعرف نواياى نحوها .

وعبست أساريره وامسك لحظة ثم استطرد فى حدة :

ـ وعندما تفرغ من القاء بيانك على رئيس الوزراء واصدقائه فسوف أذكر انا لهم قصة صغيرة سوف تثير دهشتك .

فقال بار : لا شىء مما قد تقول يمكن أن يثير دهشتى ..

وتلقى بيل الصدمة الثالثة عند عودته الى سكنه . وكانت عبارة عن مفاجأتين الأولى غيـــاب خادمته وهى امرأة تأتى فى التاسعة صباحا وتبقى حتى التاسعة مساء ، ولم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة بعد . والمفاجأة الثانية كانت عندما أضاء النور ورأى على الفور أن يد التفتيش قد امتدت الى مسكنه هو الآخر . وبعد لحظات أقبلت الخادم من الخارج وروت له قصة غريبة وهى أنهـا تلقت رسالة منه يدعوها فيها أن تذهب للقائه فى قرية صغيرة تبعد بنحو ساعتين من البيت ، وانها دهشت اذ لم تجده فى انتظارها ... وادرك بثاقب نظره أن تاليا دراموند وجدت الوقت الكافى لكى تفتش مسكنه تفتيشا دقيقا .

وصاح يقول فى صوت مرتفع : لله درها من فتاة ذكية ! .

وأعجب بها فى صراحة ، ففى اقل من اثنتى عشرة ساعة تمكنت من الفرار من سجنها ومن السطو على مكتبه ومسكنه والاستيلاء على مستندات على غاية من الأهمية تتعلق بالدائرة الحمراء .

وارتدى ثيابه فى عناية كبيرة وهو يتساءل عما سوف تقدم عليه هذه الفتاة العجيبة بعد ذلك . اما هو فقد كان واثقا مما سوف يقع ، ففى خلال أربع وعشرين سوف يكون بار رجلا محطما . وتناول من احد ادراجه مسدسا ونظر اليه لحظة فى تفكير ثم دسا فى جيبه . سوف تكون نهاية مطاردة الدائرة الحمراء مذهلة ... نهاية لا يتوقعها أحد من الحاضرين .

وفى قاعة رئيس الوزراء رأى شخصا اثار وجوده اهتمامه الشديد . ولم يكن ذلك الشخص غير جاك بيردمور ، فقد تعذب فعلا من نشاط الدائرة الحمراء ولكنه لم يشترك فى الحوادث الأخيرة .

وضحك جاك وهو يشد على يد ييل ويقول : لا شك ان وجودى هنا يثير دهشتك يا ييل . والحق أننى انا نفسى دهشت عندما وصلتنى الدعوة لحضور هذا الاجتماع .

ـ ومن الذى أرسلها اليك ؟ .. بار ؟ ..

ـ ارسلها الى سكرتير رئيس الوزراء اذا اردت الحقيقية ... ولكنى أعتقد ان ذلك كان بايعاز من بار . الا تشعر بالرهبة فى هذا الجو ؟ .

فابتسم ييل وقال وهو يربت على كتف الشاب : ليس كثيرا .

واقبل سكرتير شاب فأدخل الرجلين الى قاعة كبيرة اجتمع بها اثنا عشر رجلا كانوا يقفون فى جماعتين تتبادل كل جماعة منهما الحديث فيما بينها .

وأسرع رئيس الوزراء الى استقبال الرجلين وهو يقول :

ـ لم يأت المفتش بار بعد .

وتحول الى جاك مستفهما وقال : اظنك مستر بيردمور ... لقد أصر مستر بار على حضورك بالذات واظن انه سيلقى بعض الضوء على موت جيمس بيردمور المسكين . وبهذه المناسبة كان أبوك صديقا حميما لى .

وأقبل المفتش فى هذه اللحظة ، وكان يرتدى بدلة سوداء رات اياما افضل من ايامه هذه لها ياقة منخفضة وربطة عنق معقده . وكان يبدو كأنه فى غير مكانه الحق فى هذا الجو الذى يسطع ثقافة ورقة . وأقبل الكولونيل مورتون بعده بلحظات فأومأ لباد ثم

انتحى برئيس الوزراء وتبادلا حديثـــا جرى بينهما فى همس مده لحظات ، ثم تقدم الكولونيل الى جاك ويبل وسألهما فى فروغ صبر :
ــ هل لديك فكرة عما سيذكره بار لنا ؟ . كان يخامرنى شعور بأنه دعى الى القاء هذا البيان ولكن رئيس الوزراء قال لى الآن ان هذا الاجتماع قد تم بناء على اقترح بار نفسه ، وقد ذكر انه يريد القاء الضوء على قصة الدائرة الحمراء ، وارجو الا يخيب ظننا فيه .
ولكن جاك بيردمور اسرع يدافع عن المفتش بار قائلا : لا اعتقد ذلك يا سيدى .. فاننى كبير الثقة فى بار .
نظر مدير البوليس الى الشاب مستفهما فقدمه يبل اليه وقال :
ــ اننى اوثر أن أبقى مكانى اذا سمحت يا سيدتى ، فاننى لست خطيبا منوها وأريد أن أتحدث ببساطة كما لو كنت اتبادل حديثا عاديا مع اى واحد منكم .
وبدا بيانه فى صوت خافت ، وكان مترددا فى بادىء الأمر يحاول ان ينتقى كلماته ولكنه لم يلبث أن استرسل فى حديثه فى صوت ثاقب واضح النبرات . قال :
ــ ان الدائرة الحمراء هو رجل اسمه لايتمان ... مجرم ارتكب جرائم قتل عديدة فى فرنسا وحكم عليه بالاعدام فى تولوز وافلت من الموت بسبب عطب اصاب سكين المقصلة واسمه الكامل فرديناند والتر ليبمان . وكان عمره فى ذلك الوقت ثلاثة وعشرين عاما وأربعة شهور . وقد اعيد الى السجن عقب ذلك ونقل الى الليمـــان ، ولكنه تمكن من الهرب بعد أن قتل أحد الحراس وفر الى استراليا وعمل فى أحد مخازن ملبورن سنتين التحق بعدهمـا بخدمة مزارع اسمه مكدونالد ، وبقى فى خدمته سنتين وخمسة شهور . ولكنه غادر استراليا على عجل بعد ان صدر أمر بالقبض عليه لمحاولته تهديد مخدومه .
« ولا ندرى ما وقع له بعد ذلك ، ولكن لم يلبث أن ظهر فى انجلترا مجرم غامض يبتز من ضحاياه أموالهم بالتهديد فاطلق على نفسه اسم الدائرة الحمراء ، وبفضل دهائه وصبره وسعة حيلته وجبروته جمع حوله عددا من الأعوان لا يعرف أحد منهم اى شىء عن الآخر ، وكان ينتقى أعوانه ممن يعانون ضائقة مالية او يخشون الوقوع فى قبضة العدالة . وكان يتحرى عنهم قبل أن يضمهم الى عصابته ويلتقى بكل منهم فى عربة مقفلة يقودها هو بنفسه . وكان اللقاء يتم عادة فى أحد ميادين لندن التى يؤدى اليها أربعة او خمسة

شوارع والتى يكون الضوء فيها ضعيفا ، ولعلكم تعرفون أيها السادة أن ميادين لندن أسوأ شوارع المدينة اضاءة .

« وثمة حقيقة أخرى وهى أن الدائرة الحمراء كان يسارع الى مساعدة المجرمين الذين تدينهم العدالة ، وبهذه الطريقة أوقع سيبلى ، وهو بحار محدود الذكاء كانت تدور حوله شكوك فى أنه ارتكب جريمة قتل قبل ذلك ، وكان هو الرجل الذى يصلح لأغراض الدائرة الحمراء .

وتوقف لحظة ثم استطرد : وقد تمكن من العثور على اللص والمجرم الذى قتل مدير شركة السكك الحديدية بهذه الطريقة ، واستطاع أن يضم اليه المالى برابازون ، وكان يوشك أن يضم اليه فليكس مارل بهذه الطريقة أيضا . ولكن لسوء حظ هذا الأخير كان مشتركا معه فى جرائمه الأولى التى أوشك أن يفقد حياته بسببها يوم أن كان معروفا باسم لايتمان وسوء حظ مارل كذلك أنه عرف لايتمان عندما التقى به فى لندن ، وهذا هو السبب فى أن الدائرة الحمراء قتله مستخدما فى ذلك طريقة بارعة تدل على سعة حيلته ومبلغ ذكائه .

واستطرد يقول فى حين كان الجميع يصغون اليه فى اهتمام كبير :

ــ ولكم أن تفهموا أيها السادة أن الدائرة الحمراء ..

ــ ولماذا أطلق على نفسه اسم الدائرة الحمراء ؟ ..

كان دريك ييل هو الذى قاطع المفتش . وسكت بار فجأة كمن أخذ على غرة ثم أجاب :

ــ انه أطلق على نفسه اسم الدائرة الحمراء لأنه عرف بهذا الاسم بين زملائه فى الليمان لأنه توجد حول عنقه دائرة حمراء جاءت معه يوم مولده ... ولسوف أحطم رأسك اذا أتيت بحركة واحدة ! .

وصوب مسدسه الثقيل نحو دريك ييل وقال :

ــ ارفع يديك .

ومد يده فجأة وانتزع ياقة ييل البيضاء التى تغطى عنقه ونظر الجميع وهم يلهثون مشدوهين الى الدائرة الحمراء التى تحوط بعنقه كما لو كانت قد رسمت بالدم .

الفصل الحادى والأربعون

ماما

ظهر بالغرفة ثلاثة رجال بطريقة غامضة ، وكانوا هم نفس الرجال الثلاثة الذين القوا القبض على الجاسوس الذى هاجم بار قبل ذلك بليلتين وأحاطوا بييل . وحاول هذا ان يخرج مسدسه ولكنهم اسرعوا فأخذوه منه ووضعوا الأصفاد بين يديه ، وغطى أحدهم رأسه بكيس ثم دفعوه خارج الغرفة .

وجفف مستر بار العرق المتصبب من جبينه وتحول الى سامعيه المشدوهين وقال :

ـ اذا سمحتم أيها السادة فسوف اردى لكم كل القصة غدا .

واحاط به الجميع وراحوا يمطرونه بالأسئلة ، ولكنه لم يزد على أنه هز رأسه .. وأسرع مدير البوليس الى مساعدته فقال :

ـ انه مر بأوقات رهيبة ، ولا يدرى أحد ذلك أكثر منى انا ، وأكون ممتنا يا سيدى الرئيس اذا قبلت رجاءه وسمحت له أن يؤجل بقية التفاصيل حتى الغد .

فقال رئيس الوزراء : ربما يقبل المفتش تناول الغداء معنا غدا ..

وقبل الكولونيل مورتون الدعوة نيابة عن المفتش بار .

اما بار فقد تأبط ذراع جاك بيردمور وخرج معه واستقلا سيارة اجرة ..

وقال جاك عندما اسعفه النطق : خيل لى أننى فى منام . دريك بيل ! .. هذا محال . ومع ذلك ...

فضحك بار وقال : ومع ذلك فهى الحقيقة ...

ـ كانت تاليا دراموند تعمل معه اذن ؟ ..

ـ هذا صحيح ..

ـ ولكن كيف أهتديت الى هذه الحقيقة أيها المفتش ؟ .

ـ ان ماما هى التى ارشدتنى اليها ... لا يمكن أن تعلم مدى ذكائها ..

انها قالت لى صباح اليوم ..

ـ اذن فهى قد عادت ..
ـ أجل .. واريدك أن تتعرف بها . انها متعسفة فى رأيها بعض الشيء ، ولكنها تميل الى المناقشة ، وقد تعلمت أن أدعها تتكلم .
ضحك جاك على الرغم منه وقال : لك أن تطمئن انني سوف افعل أنا أيضا .. هل أنت واثق انك ألقيت القبض على الدائرة الحمراء ؟
ـ كل الثقة ، وثوقى من انى أراك امامى ، ووثوقى من أن جدتى اعقل امرأة فى العالم .
ـ لزم جاك الصمت هنيهة ثم قال : معنى هذا اذن هو أن تاليا ضائعة حقا ، فان بيل لن يتركها وشأنها .
ـ كلا طبعا ، ولكن لماذا تشغل بالك بأمر تاليا دراموند بهذا الشكل ؟ ..
فصاح الشاب فى قوة : لماذا ؟ .. لأننى احبها ؟ ..
وضحك بار وقال : أعلم أننى غبى بعض الشيء ، ولكنى لست الغبى الوحيد فى لندن يا مستر بيردمور ، وانى أنصحك أن تنسى تاليا دراموند ، واذا كان قلبك مفعما بالحب حقا فأعط حبك لماما .
هم جاك بأن يقول قولا غليظا بخصوص جدة بار ولكنه تمالك نفسه . ووقفت السيارة أخيرا امام مسكن بار .
وهتف هذا الأخير يقول وهو أسفل الدرج : هالو ماما .. اننى أتيت بمستر بيردمور معى ..
سمع جاك صيحة دهشة ، وقال مستر بار : تفضل يا مستر بيردمور لكى أقدمك الى ماما .
دخل جاك ، ولكنه ما كاد يفعل حتى وقف مصعوقا فقد كانت تقف أمامه فتاة تبتسم فى شيء من الشحوب والاعياء . ولم تكن تلك الفتاة الا تاليا دراموند ! ..
وشد كل منهما على يد الآخر ثم أجلسته بينها وبين مستر بار ، أمام المائدة التى صفت عليها أصناف الطعام وقالت :
ـ بابا ... قلت لى انك ستأتى بمدير البوليس معك .
فهتف جاك : بابا ؟ .. ولكن ... ولكن ...
فقاطعته باشارة من يدها وقالت : ان بابا يحب المزاح ، وهم يدعوننى هنا ماما لأننى أقوم بكل شيء فى البيت منذ وفاة امى ... وابى يذهب الى أبعد حدود الدعابة فيدعونى بجدته ، وهو قول يجب أن تغفره له ..
ـ ابوك ؟ ..

فأومات تاليا براسها قائلة : ان اسمى بالكامل هو تاليا درامويد بار ، واننى اشكر الله على انك لست من رجال البوليس والا لكنت عرفت سرى منذ وقت طويل، والآن تفضل يا مستر بيردمور ... لقد طهوت هذا الطعام بنفسى .

ولم يستطع جاك ان يأكل او يشرب قبل ان يعلم الشيء الكثير . وقالت تاليا :

ـ عندما ارتكب الدائرة الحمراء أولى جرائمه وكلف ابى بالتحقيق فيها ادركت ان امامه عمل شاق وانه قد يبوء بالفشل . وكان لأبى أعداء كثيرون فى ادارة الأمن . وقد طلب منه مدير البوليس ، وهو ربيبى بالتنحى عن هذه القضية . ولكن أبى اصر على رايه لانه كان يرى أن واجبه يحتم عليه ان يقوم بكل شيء بنفسه . وقد مرت به أوقات ندم فيها على هذا القرار الذى اتخذه . وانا شخصيا اظهرت طول عمرى اهتماما وميلا الى الأعمال البوليسية ، ولما علم أبى ان الدائرة الحمراء كان يجمع اعوانا له قررت أن اسلك حياة الاجرام .

« وقد استلم أبوك انذاره الأول قبل تنفيذ مشروعى بثلاثة شهور ، وتقدمت بعد يومين من ذلك والتحقت بصفة سكرتيرة لمستر فروايانت لسبب واحد وهو أن أملاكه تجاور أملاك ابيك ، وكانا صديقين . وأتاح لى عملى هذا مراقبة ما يدور ، وقد حاولت الحصول على نفس العمل لدى ابيك ولكنى لم افلح . على ان افظع ما مر بى هو أننى كنت فى الغابة عندما قتل . وكانت هذه لحظة حرجة بالنسبة لى فلم أستطع أن اتبين من الذى أطلق الرصاص ولكن أسرعت نحو ابيك وكما رايت انه أصيب اصابة قاتلة وانك تأتى من الناحية الأخرى آثرت الهرب ، لا سيما واننى كنت امسك مسدسا اذ كنت قد رأيت شخصا يتجول فى الغابة واردت ان اطارده .

وبعد أن مات ابوك لم يكن هناك اى سبب يدعونى للبقاء لدى فروايانت ، واردت أن أتصل اتصالا مباشرا بالدائرة الحمراء ، وكانت احسن وسيلة لذلك هى اثارة اهتمامه بأن أغدو مجرمة بدورى . ولم تلعب الصدفة شيئا عندما رايتنى وانا خارجة من محل الرهونات بعد أن رهنت التمثال الذهبى الذى سرقته من فروايانت، فقد كان الأمر مدبرا بحيث يتم ذلك امام دريك بيل ، او بمعنى أصح فرديناند لايتمان سابقا . ولم اكن اتعرض لأى خطر فقد

أصدر القاضي حكمه باعتبار السرقة سابقة أولى ، ولكن سمعتى تقوضت ، وكما توقعت استدعانى الدائرة الحمراء ، وتم لقاؤنا ذات مساء فى ميدان ستير ، وأعتقد أن أبى لم يكن بعيدا عنى فى ذلك الوقت

فقال مستر بار ضاحكا : كنت على بضعة أمتار يا ماما ... وكنت خائفا عليك .

ــ وطلب الدائرة الحمراء منى ان التحق بصفة سكرتيرة للمالى برابازون . وقد أثار هذا الأخير حيرتى ، اذ لم استطع أن أتحقق ان كان رجلا شريفا أو لا ... ولم اتصور فى بادىء الأمر بالطبع انه من أعوان الدائرة الحمراء هو الآخر ... وكان لابد لى من أن أقوم بتجربة لمعرفة ذلك ، فأقدمت على سرقة أخرى . وقد وبخنى مخدومى المجهول لذلك وان كان هذا العمل قد وطد قدمى فتعرفت بعصابة أخرى من المجرمين وذهبت الى مسكن فليكس مارل فى الليلة التى قتل فيها .

كان غرض ييل هو أن يوجه الشبهات الى . ومهما يكن فقد كان ينوى أن يقتلنى يوما ما . وفى الليلة التى قتل فيها فروابانت استدعانى الى البيت ومعى قفاز وسكين شبيهين بالقفاز والسكين اللذين استخدمهما هو نفسه .

فسألها جاك : ولكن كيف فررت من السجن ؟ .

فنظرت اليه فى خبث وقالت : لعل من الأصوب أن تسألنى كيف كان يمكننى البقاء فيه . لقد رافقتنى مدير السجن بنفسه حتى البيت .

وقال بار : كنا نريد أن نرغم ييل على العمل ... هل فهمت ؟ .. وعلى كل حال ما كاد يعلم أن تاليا قد فرت حتى اضطرب وأخذ يستعد للفرار . وعندما رأى أن مكتبه اغتصب ادرك تمام الادراك أن تاليا دراموند ليست كما كان يعتقد .

الفصل الثانى والأربعون

بقية البيان

حضر جاك مع مستر بار حفلة الفداء التى أقيمت فى اليوم التالى فى مسكن رئيس الوزراء ، وكذلك حضرت تاليا اذ كانت بطلة الساعة . وبعد أن فرغوا من تناول طعام الفداء اتم المفتش بار البيان الذى بداه بالأمس فقال :

ـ اذا عدتم بذاكرتكم الى الوراء أيها السادة فسوف ترون أن شخصية ييل لم تظهر على المسرح الا بعد ارتكاب الجريمة الأولى للدائرة الحمراء .. صحيح انه كان قد افتتح مكتبـــا خاصا له لمباشرة تحقيقاته منذ مدة طويلة ، وانه نشر الاعلانات الضافية التى يمتدح فيها مواهبه ولكنه لم يهتم بقضية واحدة لأنه كان يعد العدة لضربته الكبرى . وبعد الجريمة الأولى عرض على احدى الجرائد الكبرى أن يستخدم مواهبه التخمينية فى الاهتداء الى القاتل .

« ولم يكن ذلك عسيرا عليه ، فقد كان يعرف القاتل أكثر من غيره ، فهو الذى زوده بالسلاح . ومن هنا بدات شهرته ، وهذا ما كان يرمى اليه .

« وعندما كان ييل يتصل بضحاياه كان يحاول اقناعهم بالدفع فاذا ما رفضوا قتلهم بواسطة اعوانه ، وكان فروايانت بين الذين دفعوا ولو لم يتملكه الغضب وقام بالتحقيق بنفسه واستطاع من نقطة ضعيفة الوصول الى شخصية ييل والتأكد من أنه هو لايتمان نفسه لما قتل . وفى الليلة التى قتل فيها اســــتدعانا ليوقفنا على اكتشافه ، واشفاقا من أن يقوم ييل بلعبة من الاعيبه فقد اصدر تعليماته باضاءة كل الأنوار وجعل تحت يده مسدسين على الرغم من انه لم يكن يحب المسدسات .

« والذين قرأوا منكم التقارير الرسمية عن هذه القضية يتذكرون أن فروايانت اراد أن يتحدث تليفونيا مع مدير البوليس وأنه طلب منا مغادرة مكتبه . وقد بدأت أنا بالخروج وانتهز ييل هذه الفرصة متظاهرا بأنه يتحدث مع مستر فروايانت وطعنه على غرة فى صدره ، وكنت قد لاحظت أن ييل يحتفظ بيده اليمنى فى جيب معطفه ،

وكان يلبس فيها قفازا طويلا عثرنا عليه فيما بعد ، ويخفى فى كمه الخنجر الذى استخدمه فى جريمته .

فسأله رئيس الوزراء : ولكن لماذا هذا القفاز ؟ ..

ـ لكى لا تتلوث يده بالدم عقب ارتكابه جريمته ، وقد ارتكبها فى لحظة خاطفة وأنا اولى ظهرى له . ولا مراء فى أن فروايانت مات على الفور . وأسرع يبل فخلع القفاز وبدا كما لو كان يتبادل الحديث مع القتيل .

« وقد خمنت الحقيقة ولكنى لم اكن املك الدليل . وكان يبل قد أصدر اوامره الى ابنتى لكى تحضر الى المنزل ومعها قفاز وسكين يشبهان القفاز والسكين اللذين استخدمهما فى جريمته . وكان يعرف اننا سنقوم بتفتيش البيت ويأمل أن نلقى القبض على تاليا بتهمة قتل فروايانت ، ولـكن تاليا ساورتها الشكوك وبقيت فى انخديفة .

« ولكنى استبق الحوادث أيها الســـادة ، فقد كان يجب أن احدثـكم قبل ذلك عن مصرع جيمس بيردمور . لقــد جاءت لهذا الأخير خطابات تهديد من الدائرة الحمراء . ولكنا يعرف أن مستر بيردمور كان يشترى ويبيع الأراضى والعقارات . وكان على علاقات مستمرة بالسماسرة من كل نوع بما فيهم الطيب والخبيث . وكان ينتظر ذات يوم زيارة رجل يدعى مارل معروف بأن له ماضيا مريبا . وقد ذكر هذه الحقيقة لابنه ولكنه لم يطلع عليها يبل الذى اقامه حارسا له . وعندما وصــــل مارل أمام الفيللا رأى فجأة زميله السابق فى السجن وشريكه لايتمان . وكان لم يره منذ وقت طويل ، منذ أن غدر به ، وكان يعتقد انه مات .

« ولا ريب أن يبل كان يقف فى تلك اللحظة بجوار الفيضة ، على مقربة من الفيللا فلما وقعت عينا مارل عليه تملكه الرعب وتظاهر بالعودة الى لندن وهو فريسة لذعر لا يوصف ، وقد عقد العزم على أن يقتل يبل قبل أن يقتله هذا الأخير . ولكن كانت تعوزه الجرأة ، فقرر الرجوع الى الفيللا ليلا . وكتب رسالة ليبل ودفع بها من تحت نافذته وحرقها يبل بعد ان قرأها . ولا أدرى مضمون هذه الرسالة فيما عدا أنه قال له فيها انه يتركه لشأنه اذا تركه هو وشأنه . ولم يكن يدرى الدور الذى يقوم به دريك يبل فى ذلك الوقت . ولا ريب أن كلمتى « بلوك ب » كانت تعنى البلوك الذى كان لايتمان مسجونا به فى سجن تولوز .

« ومنذ تلك اللحظة اصبح مارل رجلا مقضيا عليه ، فان يبل ما كان ليدعه على قيد الحياة شاهدا عليه . وكان مارل يهدد من ناحية أخرى المالى برابازون ، وكيل الدائرة الحمراء ، ومما لا شك فيه أن برابازون اخطر يبل بذلك . وكان هذا الأخير يختلف الى المحل الذى ترسل اليه رسائل الدائرة الحمراء ويقرأ الرسائل المرسلة اليه بصفته مخبرا سريا دون ان يشك أحد فى حقيقته .

« وقد عزم برابازون على الهرب فى اليوم التالى لمقتل مارل ، وكان قد اعد عدته لذلك مقدما . وكان يعلم أن الشبهات ستحوم حوله فلجأ الى بيت بيردمور الكائن على الشاطىء . وقد قمنا بتفتيش ذلك البيت وكان يبل هو الذى صعد الى الغرفة المسحورة حيث كان برابازون مختفيا .

فقاطعه رئيس الوزراء : هناك نقطة ما زالت غامضة بالنسبة لى .. كيف اتفق أن وجدتم يبل غائبا عن وعيه ؟ .

فأجابه بار : كان هذا عملا رائعا منه جاز على فى بادىء الامر فقد أوثق يبل نفسه وتخدر بالكلوروفورم بعد أن وضع أموال فروايانت فى مظروف يحمل عنوان مسكنه والقاه فى صندوق خطابات المكتب . ولعلكم تذكرون أيها السادة أن الساعى قد أفرغ الصندوق قبل الاعتداء المزعوم بدقائق . وقد اكد لى انه اخذ مظروفا ضخما عليه عنوان يبل . ولسوء حظ هذا الأخير كنت قد أغلقت باب الدولاب الموجود فى غرفة مكتبه على تاليا دراموند قبل ذلك بدقائق، وقد رات من مكانها كل شيء واستطاعت بعد ذلك الحصول على زجاجة الكلوروفورم التى القاها فى درج مكتبه .

واستطرد بار يقول فى هدوء وثبات : اما بخصوص الضحية الأخيرة ، مستر رفائيل ويلنجز ، فهو لم يبق على قيد الحياة الا بسبب ميله الذى شعر به نحو ابنتى ، فقد كانت تقاومه بكل قواها عندما رات فجأة يدا تمسك خنجرا تمتد من خلف الستار الذى يفصل بين الغرفة والخلوة . وكان هذا الخنجر هو نفس الخنجر الأشورى الذى سرقه يبل من مجموعة ويلنجز الأثرية عندما زاره قبل ذلك بصفته من رجال البوليس الرسميين . وكان مصوبا نحو صدر مستر ويلنجز ، وقد بذلت تاليا مجهودا كبيرا بحيث دفعته جانبا فأصابته الطعنة فى كتفه . ولم يكن يبل بعيدا طبعا فأسرع يتهم ابنتى قائلا انها هى الوحيدة التى كان فى مقدورها القيام بهذا الاعتداء .

« ارايتم ايها السادة الى برأعة كل هذه الأعمال ، فقد وضع ييل نفسه فى مصاف كبار المخبرين السريين . وكان من السهل أن تصل الى علمه كل الاجراءات التى يتخذها رجال البوليس ضد الدائرة الحمراء ، بل انه تمكن بدهائه من أن يعين مساعدا لى ، وبذلك استطاع ان يطلع على قرارات ومستندات هامة . وبعض هذه المستندات لم تكن من الأهمية بمكان ، ولكن مستر بيردمور الشاب نجا من الموت المحقق فى احدى هذه المناسبات بسبب مظروف سرقه ييل ، وكان هو أول من فضه . كان هذا المظروف يحتوى على صورة اعدام ييل الذى لم يتم تنفيذه .

« والآن أيها السادة ... هل هناك نقطة ما زالت مستغلقة عليه وتريدون استجلاءها ؟ .. قلت لييل منذ يومين أن اغلب كبار المجرمين يقعون لأنهم يرتكبون غلطة بسيطة لا يفطنون اليها ، فقد كان من الغباء بحيث قال لى انه ذهب الى مسكن ويلنجز بلندن بعد رحيل هذا الأخير الى الريف فى حين انه لم يذهب اطلاقا الى هذا المسكن لسبب وجيه وهو أنه سبق الوزير الى منزله الريفى بساعتين .

وقال رئيس الوزراء : ان ما يثير حيرتى فى هذه المسألة هو اننى لا اعرف كيف أكافىء ابنتك يا مستر بار . ان ترقيتك أنت أمر طبيعى من غير شك ، وهى ترقية انت حقا جدير بها . وهناك وظيفة مساعد لمدير البوليس خالية فى الوقت الحالى . ولكننى لا أرى حقا ماذا أستطيع أن أفعل لها فيما عدا التعويض المالى الذى تستحقه طبعا لتعرضها للأخطار ومساهمتها للقبض على هذا الشقى .

وتدخل مستر جاك بيردمور عندئذ فقال فى صوت أجش :

ــ لا تزعج نفسك يا سيدى بمصير الآنسة بار ، فاننا سنتزوج قريبا .

وعندما فرغ القوم من تهنئتها تحول المفتش بار الى ابنته وقال فى لهجة العتاب :

ــ انك لم تخبرينى بشىء من ذلك يا ماما ..

فقالت تاليا وهى تنظر الى جاك مشدوهة : ولم اخبره ايضا بشىء من ذلك .

فقال الأب فى عجب : اتعنين انه لم يطلب منك أن تتزوجيه ؟ .

فهزت رأسها وقالت : كلا .. ولم أقل له اننى سأتزوجه . ولكن

كان يخامرنى الشك منذ وقت طويل من ان شيئا كهذا سوف يحدث ذات يوم .

كان لايتمان أو بيل سجينا مثاليا .. كانت شكواه الوحيدة تقتصر فى أن المسئولين لم يسمحوا بالتدخين وهم يقتادونه لتنفيذ الحكم فيه . وقال لمدير السجن :

ــ انهم يعنون بمثل هذه الأشياء فى فرنسا ، ففى آخر مرة أعدمت فيها ...

وابدى لقسيس السجن اهتمامه بتاليا دراموند وقال :

ــ انها واحدة فى المليون ! .. اعتقد انها ستتزوج جاك بيردمور ... ان هذا الشاب محظوظ حقا ... انا شخصيا لا احس بأى ميل نحو النساء، واعتقد ان سر نجاحى يرجع الى هذه الحقيقة ولكن اذا كان لى أن أتزوج فما كان لى أن أختار غير فتاة كتاليا دراموند .

واحس بالميل نحو القسيس لأنه كان انسانا ذا قلب كبير تحدث معه عن الأماكن والأشياء والناس التى كان يروق له الحديث عنها .

وفى يوم مكفهر من أيام شهر مارس دخل غرفته رجل أوثق يديه . ونظر بيل اليه وسأله قائلا :

ــ هل تعرف مستر باليون ؟ .. انه زميل لك فى هذه المهنة .

لم يجبه الجلاد لأن نظم السجن لم تكن لتسمح له بمبادلة الحديث مع المحكوم عليهم بالاعدام . وعاد هذا الأخير يقول له :

ــ يمكنك ان تسأل عن مستر باليون ، وان تأخذ من قصته موعظة فلا تقرب الشراب ابدا ... فانه كان سبب هلاكى ، فلو لم يشرب مستر باليون لما كنت تجدنى هنا اليوم .

وشغلته هذه الفكرة وهو فى طريقه الى غرفة الاعدام .

ووضعوا الحبل حول عنقه وغطوا وجهه بكيس أبيض .

وتمتم يقول : أرجو الا ينقطع الحبل فى اللحظة الحاسمة .

وكانت هذه آخر كلمات الدائرة الحمراء ..

(تمت)


مجلة
الابتسامة



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يونيو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

٢٠ قرشـــا



هذه الرواية

تعتبر الدائرة الحمراء احسن ما كتب ادجار والاس من حيث الاثارة والتشويق . وهي تحكى قصة عصابة من المهددين والمبتزين على رأسها زعيم خفي يعرف كل افراد العصابة في حين لا يعرف هؤلاء بعضهم بعضا . وهو يرسل للاشخاص الاثرياء المعروفين رسالات مختومة بخاتم من الكاوتشوك به دائرة حمراء يطالبهم فيها بمبالغ كبيرة . وهم يبادرون بالدفع عادة ولكن جيمس بيردمور ، الملليونير المعروف ابى أن يدفع ولهـذا قتل في قصره تحت سمع وبصر رجال البوليس . وقد وقع بيردمور الابن في حب تاليا دراموند ، سكرتيرة رجل ثرى وبخيل يتاخم قصره قصر المليونير ، ويعتقد البوليس أن تاليا ضالعة مع عصابة الدائرة الحمراء .

ويزداد خطر الدائرة الحمراء وتتوالى ضرباتها دون شفقة أو رحمة وتبلغ بها الجرأة الى حد أن تهدد الحكومة نفسها . ويتدخل المخبر الخاص دريك بيل ، وهو رجل يتمتع بقدرة فائقة على التكهن بما سوف يحدث ولكن المفتش يار الهادىء الرزين هو الذى يجلو سر العصابة في النهاية ..

Exclusive
For
www.ibtesama.com